عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

"شعر ابن سعيد الأندلسي (ت685هـ)؛
دراسة وجمع وتوثيق"

جمال عبد الحميد عبد المنعم عياد

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين
1432هـ - 2011م

"شعر ابن سعيد الأندلسي (ت685هـ)؛
دراسة وجمع وتوثيق"

مقدمة من الطالب

جمال عبد الحميد عبد المنعم عياد

بكالوريوس اللغة العربية وآدابها

من جامعة القدس/ كلية الآداب

المشرف

د. مشهور الحبازي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلّبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

جامعة القدس

2011م- 1432هـ

عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس
برنامج ماجستير اللغة العربية وآدابها

إجازة رسالة

"شعر ابن سعيد الأندلسي (ت685هـ)؛
دراسة وجمع وتوثيق"

اسم الطالب: جمال عبد الحميد عبد المنعم عياد
الرقم الجامعي: 20612205

المشرف: د. مشهور الحبازي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 21/5 /2011 من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. د. مشهور الحبازي	رئيس اللجنة	التوقيع:....................
2. د. جمال غيظان	ممتحنًا داخليًا	التوقيع:....................
3. د. حسن فليفل	ممتحنًا خارجيا	التوقيع:....................

القدس- فلسطين
2011م – 1432هـ

إقرار

أُقر أنا مقدم هذه الرسالة أنها قُدمت لجامعة القـدس لنيـل درجـة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمت الإشـارة لـه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

جمال عبد الحميد عبد المنعم عياد

التوقيع:......................

التاريخ:......................

الإهداء

إلى الذي طالما أرادني في هذا المقام والدي، تغمده الله بواسع رحمته.

إلى التي أشرقت شمسي من تحت قدميها، وفاض الدعاء من بين أناملها، أمي الغالية، أطال الله بقاءها.

إلى أم أبنائي، ورفيقة دربي، زوجتي العزيزة حفظها الله.

إلى مهجة قلبي وهناء حياتي، ولدي يحيى وزكريا جعلهما اللهُ من الصالحين.

إلى عوني وعضدي، إخوتي وأخواتي، أدام اللهُ بالهناء والسكينة أيامهم.

إلى أصدقائي وأحبتي.

ُأهدي هذه الثمرة المتواضعة.

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره، على توفيقه وما أنعم به علي من نعم ظاهرة وباطنة، حمدا وشكرا يليقان بجلال وجهه وعظيم مقامه. ثم أصلّي وأسلم على حبيبي محمد أفصح من نطق بالعربية صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم أتوجه بجزيل الشكر لأستاذي الدكتور مشهور الحبازي الذي أشرف على هذه الرسالة، وقدم لي النصائح النافعة، والإرشادات القيمة، ولا أملك له إلاّ الدعاء بأن يجزيه الله خير الجزاء، ويجعل عمله في ميزان حسناته، وإلى الدكتور حسن فليفل والدكتور جمال غيظان لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وإلى كل من كان له فضلٌ في إخراج هذا العمل.

الملخص

يأتي هذا البحث ليدرس ما تمكنتُ من جمعه من شعر ابن سعيد الأندلسي، وتوثيقه من مصادر التراث الأدبي والتاريخي، دراسةً موضوعيةً وفنية.

شكّل القرن السابع الهجري الذي عاش فيه ابن سعيد إطارا زمانيا للدراسة، في حين كان مكان الدراسة يترواح بين أراضي الدولة الموحدية في الغرب الإسلامي، والأيوبية في الشرق اللتين قضى فيهما الشاعر أكثر سني عمره.

وثمةَ أسباب دفعتني لهذه الدراسة، أبرزها: وجود موروث شعري كبير لابن سعيد الأندلسي لم يجمع في ديوان خاص –فيما أعلم- على أن المقّري ذكر أنه كان له ديوان من عدة أسفار لكني لم أعثر عليه. وهذا الشعر متنوع الأغراض، فهو يتوزع على: الوصف، والمدح، والحنين، والإخوانيات، والغزل، والرثاء، وغير ذلك. وجمع هذا الشعر سيضيف إلى مكتبة الشعر الأندلسي ديوانًا جديدا، يعود إليه الباحثون والقراء.

وتهدفُ هذه الدراسة إلى إخراج ديوانٍ شعري يجمع ما وصل إلينا من شعر ابن سعيد الأندلسي من مظانه المختلفة، وتوثيقه، ودراسته دراسةً موضوعية تُظهر عناصر الحياة التي عاشها ابن سعيد من خلال الأغراض التي قال فيها، ودراسته دراسةً فنية تُبرز السمات الفنية التي امتاز بها شعر ابن سعيد، كما تهدفُ هذه الدراسة إلى سد بعض النقص الحاصل فيما يتعلق بكثير من الشعراء المهمين أمثال ابن سعيد الأندلسي.

أما أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فكان أبرزها أنني ُأقدم للمكتبة الأندلسية والإسلامية شعر ابن سعيد الأندلسي في مجموع يسهلُ العودةَ إليه، وأن ما جمعتُه من شعر ابن سعيد ليس إلا جزءا من مجموع شعره الذي آملُ أن تُتاح لي أو لغيري من الباحثين فرصة العثور على ديوانه كاملاً، وجاءت لغةُ هذا الشعر موائمةً للغة شعراء العصر، ومحاكيةً لطبيعة الحياة التي عاشها الشاعر، وأَسقطتْ هذه الحياةُ ظلالها على شعره فكان لوحةً رسمتْ بألوانِ الطبيعة المختلفة، ما جعله يزدحم بالصور الفنية والتشبيهات والبديعيات، بالإضافة إلى أن هذه الحقبة ما زالت بحاجة إلى هذا النوع من الدراسة والبحث لإثراء المكتبة العربية بأكبر عدد من المصادر التي لم يتسن لها الوصول إلينا.

وأوصت هذه الدراسة بالاتجاه نحو هذا اللون من الدراسات، للإسهام في إيضاح ملامح شعر كثير من الشعراء المهمين، وتطبيق الدراسات الحديثة على شعر ابن سعيد كالأسلوبية وغيرها.

Jamal Abdel-Hamid Abdel Mon'men Ayyad

Poetry Ibn Saeed Al-Andalusi :Study, collect and documentation

Abstract

The study is a collection and documentation," to examine what i had been able to collect from Ibn Saeed Al- Andalusi poetry and its documentation from literary and historical heritage sources as an objective and artistic study.

The seventh century AH, which Ibn Saeed lived in, has formed a time framework for the study, while the place of study is not limited due to the life of movement and travel, which Ibn Saeed lived while the Almowahadi state was in the West of Muslim world , and the Ayyubid in the East.

The thesis aimed at collecting the heritage poetry for Ibn Saeed Al-Andalusi. This poetry has diverse purposes, it does contain description, praise and nostalgia, and so on. the collection of this poetry will add to Andalusian poetry library a new old poetry volume which will be a reference for researchers and readers.

This study aims at concluding a poetry volume that combines what we have got from the poetry of Ibn Saeed Al-Andalusi of different supposition documents and study it objectivel, that shows the elements of life which Ibn Saeed lived through, the purposes he dealt with, and study it technically that highlights the technical features that his poetry is distinguished by .Moreover, this study aims at filling some of the shortfalls with respect to many important poets such as Ibn Said al-Andalusi.

The main findings of the study are to provide the Andalusian and Islamic library the poetry of Ibn Saeed Al- Andalusi a collection that will facilitate reference to it, and what I collected from Ibn Saeed Al-Andalusi was only part of his poetry which I hope will be made available to me or to others of researchers to find his volume in complete. The language of this poetry was adapted to the language of poets of the era, simulated nature of the life which the poet experienced. This life reflected its shadows on his poetry. It was a painting painted in different nature colors, the thing that made it crowded with technical images, similes and metaphors, in addition to that, this era is still in need of this type of the study and research to enrich the Arabic library with a number of sources that has not reached us.

This study recommended further studies, to contribute to the clarification of many important poets and the application of recent studies on the poetry of Ibn Saeed such as his style and other elements.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بحمده وشكره تحسن خواتيم الأمور، وأُصلي وأُسلم على خير من تعلم وعلم، وعلى آله وصحبه، وبعد؛

فتأتي هذه الدراسة بعنوان: "شعر ابن سعيد الأندلسي (ت685هـ)؛ دراسة وجمع وتوثيق"، لتدرس ما تمكنتُ من جمعه من شعر ابن سعيد الأندلسي، وتوثيقه من مصادر التراث الأدبي والتاريخي، دراسةً موضوعيةً وفنية.

ويمكن تحديد هذه الدراسة زمنيا بالقرن السابع الهجري، فيما حدودها الجغرافية تمتد من الأندلس في الغرب الإسلامي إلى العراق في المشرق الإسلامي، حيثُ حكم هذه الأرض الواسعة دولتا الموحدين والأيوبيين تحت سلطان الخلافة العباسية.

- وتأتي هذه الدراسة لأسبابٍ عدة، أهمها:

أولاً: بحثتُ عن ابن سعيد في المصادر المختلفة –ما استطعت-، فلم أجد أية إشارة أو معلومة حول وجود مخطوطة لديوان شعره في أي مكتبة في العالم، ولم أجد -في ما علمت- من جمع شعر ابن سعيد في ديوان.

ثانيا: تعلّق هذا البحث بحقبة أدبية زاخرة بنتاجها الأدبي والعلمي كما ونوعا، ما يزال قسم كبير منه مخطوطًا ينتظر من يحقّقه وينشره نشرا علميا، أو ضائع ينتظر من يبحث عنه، أو يقوم بجمع ما تبقى منه مبثوثًا في كتب الأدب والتاريخ، وتوثيقه، لعلّه يصنع منه مؤلّفًا جديدا.

ثالثًا: وجود موروث شعري كبير لابن سعيد الأندلسي لم يجمع في ديوان خاص –فيما أعلم- على أن المقّري ذكر أنه كان له ديوان من عدة أسفار لكنّه غير موجود. وهذا الشعر متنوع الأغراض الشعرية، فهو يتوزع على: الوصف، والمدح، والحنين، والغزل، والإخوانيات، والخمريات، والرثاء، وغير ذلك. وجمع هذا الشعر سيضيف إلى مكتبة الشعر الأندلسي ديوانًا حديثًا قديما، يعود إليه الباحثون والقراء.

رابعا: تناول هذا الموضوع يساهم في بلورة صورة الشعر العربي في الأندلس، وما له من علاقة وثيقة بالشعر في المشرق العربي.

فهذه الجوانب الأربعة؛ فضلاً عن الدافع النّفسي الذي ألح علي كثيرا في أن أكتب في هذا العصر، كانت دوافع كافية لكي أختار هذا الموضوع.

أما منهجي في هذه الدراسة فكان المنهج التكاملي؛ إذ اعتمدتُ المنهج التاريخي في رصد أخبار الشاعر، وأشعاره، ومقارنة الروايات التاريخية، والتحقق منها، وترتيب القصائد والمصادر وفقًا للأقدمية التاريخية. والمنهج الوصفي في دراسة سيرة الشاعر، والجمالي في دراسة شعره دراسةً فنية.

وقد جاءت هذه الدراسةُ في قسمين؛ الأول: الدراسة، وضمت: مقدمةً، وتمهيدا، وثلاثةَ فصول، وخاتمة؛ في التمهيد تحدثتُ باختصار عن الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية في المغرب والمشرق في القرن السابع الهجري. وفي الفصل الأول "سيرة ابن سعيد الأندلسي" تحدثتُ عن حياة ابن سعيد من خلال جمع الروايات التاريخية عنه، ومن خلال شعره، وكان ذلك باختصار –غير مخل- بحكم أن حياة الشاعر درسها الباحثون في العصر الحديث. وفي الفصل الثاني "الدراسة الموضوعية" حددتُ الأغراض التي قال فيها ابن سعيد، ثم درستُ هذه الأغراض من وصف، ومدحٍ، وحنين... وغيرها. وفي الفصل الثالث "الدراسة الفنية" تناولتُ القضايا الفنية التي أسهمت في إخراج شعر الشاعر على هذا النحو، من شكلٍ وبناء، ولغة، وموسيقا، وصنعة بديعية، وصورة شعرية. وفي الخاتمة وضعتُ أهم نتائج هذه الدراسة، وتوصياتها. والقسم الثاني: "شعر ابن سعيد الأندلسي". وقد أوردتُ فيه شعر ابن سعيد مرتبا حسب الحروف الهجائية للقوافي. ووضعتُ فهرستًا للمصادر والمراجع، وفهارس فنية مناسبة، ضمت فهرستًا للآيات القرآنية، وفهرستًا لأعلام الأشخاص والأماكن، وفهرستًا ألفبائيا لمطالع القصائد، والمقطعات، والنتف، والأبيات المفردة، التي جمعتها لابن سعيد الأندلسي، وفهرستًا للمحتويات.

واجهتُ عدة صعوبات في أثناء عملي لهذه الدراسة، تمثل أهمها في: قلة المصادر والمراجع التي نقلت شعرا لابن سعيد، ووجودها موزعة في مكتبات عدة، كما أن بعض المصادر ما زالت مخطوطة عدتُ إلى اثنين منها، وأخرى لم أتمكن من الرجوع إليها، للبحث فيها عن ترجمة أو أشعار لابن سعيد الأندلسي.

واعتمدتُ في جمع شعر ابن سعيد على مراجع عدة، أهمها: "الكامل" لابن الأثير (ت630هـ)، و"اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى"، و"المغرب في حلى المغرب"، و"رايات المبرزين وغايات المميزين"، و"الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة"، و"النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة" لابن سعيد الأندلسي (ت685هـ)، و"وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان"

لابن خلكان (ت681هـ)، و"الوافي بالوفيات" لصلاح الدين الصفدي (ت764هـ)، و"الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ)، و"نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب" للمقري (ت1041هـ)، الذي ترجم لابن سعيد بإسهاب، ونقل كثيرا من أشعاره، وغيرها. وأفدت منها إفادة كبيرة في بناء جميع أجزاء الدراسة.

منهجي في الجمع والتحقيق

يضم القسم الثاني من هذه الدراسة ما تمكنت من جمعه من شعر ابن سعيد الأندلسي في مظانه المختلفة، الذي بلغ (1091) بيتًا. ولم تختلف أي من المصادر التي عدتُ إليها حول نسبة أي من الأشعار التي جمعتها لابن سعيد.

وقد اتبعت في تحقيق شعر ابن سعيد الخطوات الآتية:

1. اعتمدتُ النص الذي ورد في مصنفات ابن سعيد نفسه، بدءا بالمصنف الأقدم، واعتمدتُ في المنزلة الثانية النص الذي أورده المقري في "نفح الطّيب"؛ كونه اطلع على ديوان ابن سعيد ونقل عنه، ثم الأقرب إلى عصر ابن سعيد من المصادر الأخرى.

2. قمتُ بتخريج النص الشعري من مظانه المختلفة، فقارنت ما وجدته في المظان والمصادر الأخرى من النص بالنص الذي وضعته في المتن (الأصل)؛ فإن زاد عما في الأصل وضعت ما زاد أصلاً ثانيا، وإن وجدت اختلافًا ما بين الأصل، وما ورد في المظان؛ المصادر، أو المراجع المختلفة أشرتُ إليه في الحاشية.

3. قمتُ بتوضيح بعض الأحداث التاريخية، وبتعريف أعلام الأشخاص والأماكن، اعتمادا على كتب التراجم والأدب والتاريخ المناسبة.

4. قمتُ بشرح المفردات التي اعتقدتُ أنها بحاجة إلى شرح، وقد جعلتُ الشرح موجزا ومتعلقًا بمعنى المفردات في موقعها من الأبيات الشعرية، وأحلتُ إلى مصدر الشرح اللغوي من لسان العرب هكذا: اللسان: مادة كذا. أما غيره من المعاجم فأحلت إليها كما في بقية المصادر.

5. استخدمتُ المختصرين (م.س) وتعني المصدر أو المرجع السابق، عند وجود فاصل بين المصدر أو المرجع. و(م.ن) وتعني المصدر أو المرجع نفسه، عندما لا يوجد فاصل بين المصدر أو المرجع.

6. قمتُ بشرح بعض المصطلحات والمفاهيم، التي اعتقدتُ أنها بحاجة إلى شرح بما يفيد في إتمام معنى الأبيات في ذهن القارئ.

7. حددتُ بحر كل قصيدة، أو مقطعة، أو نتفة، أو بيت مفرد بعد وزنه، ووضعتُ اسم البحرِ فوق آخر الشطر الثاني من أول بيت، كما رقمتُ القصائد، والمقطعات، والنتف، والأبيات المفردة بأرقام تسلسلية، وجعلتُ الأرقام بخط أسود غليظ، ووضعتها بين شرطتين في وسط الصفحة.

8. وضعتُ لكل قصيدة، أو مقطعة أو بيت مفرد عنوانًا يدل على موضوع النص الشعري هكذا: في الوصف، في المدح، في الحنين...إلخ، وذلك وسط الصفحة وتحت الرقم التسلسلي.

9. وضعتُ تقديما لكل نص شعري، أخذته من المصدر الأصل الذي ورد فيه النص، وأشرتُ في التخريج إلى ما قُدم به للنص –إن وجد- في المصادر المختلفة.

وبعد؛ فإني أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقتُ إلى ما سعيت، وهو صناعةُ ديوانٍ لابن سعيد الأندلسي، فإن أحسنتُ فهذا فضلٌ من الله ونعمة، وإن أخطأتُ فهي صفةُ ابن آدم، وحسبي أنني قمتُ بكل ما طالت يدي، وإن غاب عني بيتٌ من شعر ابن سعيد، أو أكثر، فذلك أنه لا يمكن لباحث أن يلم بكل ما تناثر منه في المصادر المختلفة.

القسم الأول - الدراسة

التمهيد

أولاً - الحياة السياسية.

ثانيا - الحياة الاجتماعية.

ثالثًا - الحياة الفكرية.

التمهيد

عاش ابن سعيد الأندلسي في القرن السابع الهجـري, وبالتحديـد مـا بـين سـنتي (610 و685هـ), مولوداً في مكان, وناشئاً في آخر, ثم راحلاً إلى غيره, وتراه يعود إلى الأمكنة نفـسها, وقد استطعتُ أن أقسم حياته إلى سبع مراحل, كانت الأولى منها: منذ ولادته في غَرناطة[1] حتـى رحيله إلى المغرب عام 636هـ, والثانية: التي قضاها بين المغرب وأفريقيـة (636-639هـ), والثالثة: التي قضاها في مصر (639-644هـ), والرابعة: التي قضاها في الشام والعراق (644-652هـ), والخامسة: التي قضاها في تونس (652-666هـ), والـسادسة: الرحلـة الثانيـة إلـى المشرق (666-675هـ), وأما المرحلة السابعة: فقد كانت رحلته الأخيـرة إلـى بـلاد الغـرب الإسلامي، فعاد إلى تونس سنة 675هـ, وقضى فيها عـشر سـنوات إلـى أن توفـاه الله سـنة 685هـ[2].

وقد قضى ابن سعيد أيامه في تلك الأماكن, واصفاً إياها, مـصاحباً لـشعرائها ووجهائهـا, عاملاً في بعضها, مرحباً به فيها أشد ترحيب, ولكنه كان لا يستقر له قرار, ويصعب تعقّبه والبحث عنه, فهو كالنحلة, يمكث حيث يطيب المقام, ويرحل حيث يسوء المزاج, يجنـي أطايـب الزهـر, ويجمع لنا شروحاً أدبية وتاريخية وجغرافية لم تأخذ نصيبها من البحث والدراسة, ونـرى أن ابـن سعيد قد جمع في مصنفاته بين المشرق والمغرب, وصاحب وجالس من علماء وشعراء القطـرين, ما زاد في الجهد الذي بذلته في تتبع تنقله في البلدان.

لقد كان من الصعب علي تتبع حياة ابن سعيد والبيئات التي عاش فيها, فقد قضى ابن سعيد حياته أخا سفر وترحال, ولو استقر ابن سعيد في الأندلس ما تجاوزتُ الوصف التاريخي والسياسي لهذا الإقليم, إلا أنني اضطررتُ لدراسة أهم محطتين في هذه البيئات التي تردد بينها, وهما: البيئة الأندلسية والمغربية, وبيئة مصر والشام في القرن السابع من جميـع جوانبهـا الفكريـة والأدبيـة والاجتماعية والسياسية.

---

(1) غَرناطة: ويقال أَغَرناطة، وتعني الرمانة بلغة عجم الأندلس، وهي مدينة أندلسية كبيرة، من مدن كورة إالبيرة، يشقّها نهر كبير من وسطها يسمى قلزم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 195/4.

(2) ينظر: محسن العيادي، ابن سعيد الأندلسي، ص ن-س.

أولاً- الحياة السياسية

1. الأندلس

يتميز القرن السابع الهجري –غالبا- الذي عاش فيه ابن سعيد المغربـي بأحـداث جـسام, هزت أركان دولة الإسلام في الأندلس, حيث أخذت عواصم هذه الدولة تتساقط واحدة تلو الأخرى, فما كاد المسلمون في الأندلس يفرغون مما أثاره سقوط طليطلة من حزنٍ وغَمٍ في القرن الخـامس, حتى رأينا القرن السابع قرناً تهاوى فيه عدد مفزع من الحواضر الأندلسية الكبرى في يد الإسـبان, ففي سنة (633هـ) سقطت قرطبة, وفي سنة 636هـ سقطت بلنسية, وفي سنة (641هـ) سقطت مرسية, وفي سنة (643هـ) سقطت قلعة جيان, وفي سنة (646هـ) سقطت إشـبيلية..... وبهـذا بدأت بلاد الأندلس تسقط بلداً إثر بلد وقلعة بعد قلعة في خلال ذلك القرن الأسود, ولم يبق للمسلمين في أندلسهم الخضراء سوى مملكة غرناطة التي يعجب أهل الفكر والسياسة لصمودها وحيـدة فـي تلك الحقبة حوالي ثلاثة قرون بعد سقوط أول مدينة, وكان ذلك عام 898هـ في عهد ملوكها بنـي الأحمر.[1]

مما لا شك فيه أن تلك الأحداث المؤسفة، وذلك المصير الذي بدا محتوماً على أهـل تلـك البلاد وعلى البلاد نفسها, وتلك النشوة التي غمرت قلوب أعدائهم الإسبان, قد تركت شيئًا كبيرا من الحرارة والحزن العميقين في نفوس المسلمين، كيف لا؟ وقد أخذ العقْد ينفرطُ من واسـطته لا مـن أطرافه.

كان حتماً على المسلمين في الأندلس -في تلك اللحظات- البحث عن مخرج لتلك الأزمـة التي باغتتهم من حيث لا يحتسبون, فتوجهوا إلى إخوانهم العرب والمسلمين في الشمال الإفريقـي, يستنجدون بهم على أعدائهم, فهذا الأمير (زيان) أمير بلنسية يبعث سـفيره الـشاعر ابـن الأبـار القضاعي إلى الأمير أبي زكريا الحفصي ملك تونس يطلب منه العـون والمـساعدة, فيـستنهض الشاعر السفير أمير تونس قائلاً[2]:

(البسيط)

أَدرِك بِخَـيـلك خَيـل اللهِ أَنْـدلُسـا ... إن السبِـيلَ إلى منْجاتها درسـا

وهب لَها من عزيزِ النصرِ ما الْتَمستْ ... فَلَم يزلْ منْـك عز النصرِ ملْتَمسا

([1]) ينظر: محمد حسن، ابن سعيد المغربي، ص6-7.

([2]) ابن الأبار، الديوان، ص408.

فنرى ابن الأبار يناشده بأبيات يلين لها الصخر، وتبكي لها سحب السماء, ولكن ابن الأبار يطلب العون مع معرفته بأن الأوان قد فات وانقضى، والسبيل إلى النجاة قد درس, ولكن لا بد من العمل والأمل.

إن السؤال الذي لا بد منه, ولا مناص عنه, هل كانت تلك الطامةُ بقوة الإسبان أم بغفلة المسلمين؟ وهل للمسلمين يد في ذلك؟ أقول: أجل. كان لهم يد من حيث لا يعلمون, وكان لهم ضلع من حيث لا يدرون، فهم مسؤولون بنسبة كبيرة عن ذلك المصير المؤلم الذي ألم بهم وببلادهم. كيف لا؟ وقد كانت لهم غفلةٌ عن عدو يجاورهم، متاخم لحدودهم، مظهر لهم رؤوس الأسنّة صباح مساء, لا تغمض له عين, ولا ينام له جفن, يتربصون الدوائر بالمسلمين, ويعملون بجد على استرجاع البلاد إلى بيضتهم, ولا يتوانون عن أية فرصة قد تلوح لهم, في الوقت الذي كان فيه المسلمون مشغولين بملاذّ وخلافات لم تخلف لهم سوى الخسارة والحزن.

شهد هذا القرن في مطلعه دولتين كبيرتين في العالم الإسلامي: الأيوبية في مصر والشام والجزيرة والعراق, والموحدية التي كانت تتولّى حكم الأندلس والغرب الإسلامي, ونحن الآن بصدد الحديث عن الدولة الموحدية التي ستشهد مصرعها منتصف هذا القرن, وهي وليدة ردة الفعل تجاه الأوضاع المضطربة إثر انهيار دول الخلافة والإمارة الكبرى أو تفسخها, وبعيد ازدياد خطر الدويلات النصرانية خلال مدة القرن وربع القرن المنصرمة, فالدولة الموحدية (542-667هـ), قد وقفت في وجه الإسبان ردحاً من الزمن, واستطاعوا إقامة دولة إسلامية كبرى تشمل الأندلس، والغرب الإسلامي.

تأسيس الدولة الموحدية

قامت دولة الموحدين على أساس دعوة دينية إصلاحية, تهدف إلى تحقيق وحدة إسلامية شاملة, وتأخذ طابع العظمة, وقد أسس هذه الدعوة محمد بن تومرت السوسي(1), الذي خرج من بلاد السوس في جبال أطلس, ثم رحل إلى المشرق، ودرس على يد علمائها، وبدأ دعوته فيها, ثم سار باتجاه بلاد المغرب في نحو سنة (510هـ), ثم دخلها مدينة بعد الأخرى, حتى وصل مراكش التي مني الموحدون فيما بعد بهزيمة على أبوابها(2), وكان متضلعا بأمور الدين وعلوم الفقه، فجمع حوله

(1) **ابن تومرت:** هو محمد بن عبد الله بن تومرت أبو عبد الله, الملقب بالمهدي المصمودي (ت 524هـ), لقي الغزالي والكياء الهراسي, وأبا بكر الطرطوشي, جاور بمكة المكرمة, وله شعر جيد. ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 45/5؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 261/3؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة, 254/5.

(2) الناصري, الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 78/1.

الناس، ثم رحل عن مراكش إلى بلاد السوس، فازداد أتباعـه، وبويـع هنـاك، وسـمى جماعتـه بالموحدين[1].

عملَ المرابطون على تشويه سمعة ابن تومرت وأتباعه للحيلولة دون انضمام القبائل إليـه، ولكنهم فشلوا، وانتشرت دعوة ابن تومرت أكثر فأكثر، وذاع صيته بين القبائل، فأخذ يغزو من لـم يخضع له من القبائل، بعدها توفي ابن تومرت سنة (524هـ) بعد معركة انتصر فيها المرابطـون على الموحدين في مراكش[2].

كان تأسيس هذه الدولة بداية لمرحلة زاخرة بالحركة والنشاط الفكري والأدبي التي سـيولد فيها ابن سعيد. فشهد الغرب الإسلامي ذروة نهضته الفكرية التي تمثّلها شخصياتٌ لامعةٌ في تاريخ الفكر والأدب العربي، كابن طفيل (581هـ), وابن رشـد (595هـ), ومحيـي الـدين عربـي (638هـ).

ثم ما لبثت ردةُ الفعل التي أسهمت في خلق هذه الدولة أن أُصيبتْ بإعياء واسترخاء, حيث شهدت هذه الدولةُ صراعاً داخلياً عنيفاً سهلَ للقوى المحلية المنافسة والقـوى الخارجيـة الغازيـة القضاء عليها, حيثُ اشتد الصراع على الحكم بين أمرائها وأشياخها, واضـطرت للتراجـع عـن الأندلس أمام الثورات المحلية والزحف الإسباني حوالي نهاية الربع الأول من هذا القرن[3].

ومن أجل محاولة فهم الجو السياسي الذي نشأ فيه ابن سعيد في هذه الحقبة, لا بد أن نـذكر أهم حادثين وقعا, وكان لهما الأثر البالغ في تغييرٍ جذري على أصعدة كثيرة. الأول: تمثلَ في وفاة السلطان الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور, قاهرِ جيوش الإسـبان فـي معركـة الأرك سـنة (591هـ), وهي آخر معركة ثبتَ فيها الوجود العسكري الإسلامي في الأندلس, وكانت وفاته سـنة (595هـ), ثم تولى بعده ابنُه محمد الناصر, هذا الخليفة الذي سيقود جيوش الموحدين إلى الهزيمة المنكرة في موقعة العقاب سنة (609هـ), التي كانت بداية النهاية في التاريخ الأندلـسي, والـذي سينعزل بعد ذلك في قصره بمراكش ليتلاشى في حياة لاهية[4].

([1]) الناصري، الاستقصا، 76/2.

([2]) الذّهبي، العبر، 60/4.

([3]) ابن خلدون، العبر، 218/4.

([4]) المراكشي, المعجِب,283-284.

أما الحادث الثاني: فتمثّل بسقوط إشبيلية عاصمة الأندلس الموحدية، وإحدى أهم قواعدها, بيد طاغية قشتالة فرديناند الثالث وذلك سنة (646هـ), وبذلك ينتقل كرسي المملكة الإسلامية بالأندلس إلى غرناطة، التي حكمها بنو الأحمر[1].

2. مصر وبلاد الشام

وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من العالم الإسلامي, نجد اضطراباً في أوضاع دول المسلمين بعد اشتداد الضغط الخارجي المتمثّل في الحملات الافرنجية منذ عام (490هـ), تأتي الدولة الأيوبية (569-648هـ) التي نشأت امتداداً لدولة نور الدين محمود زنكي، التي قامت بأعباء الحرب في الحملة الافرنجية الثانية (539هـ), أما في مصر فقد خلَفَتْ هذه الدولةُ الدولةَ الفاطمية, واستطاعت الدولةُ الأيوبية أن توحد مصر والشام، وأن تقفَ في وجه الحملات المتكررة وتهزم الصليبيين نهائياً, وأن ترفع قواعد نهضة أدبية علمية في مراكز دولتها الكبرى كالقاهرة ودمشقَ وحلب[2].

تأسيس الدولة الأيوبية

لما استشهد السلطان نور الدين زنكي، رحمه الله، تولّى ابنه الملك الصالح إسماعيل الملْك من بعده, وكان عمره إحدى عشرة سنة, وبايعه الأمراء والمقدمون بدمشق, فأقام بها, وأطاعه الناس بالشام, وخطب له صلاح الدين بمصر, وجعلتْ السكّة باسمه, وقام برعايته الأمير شمس الدين بن عبد الملك المعروف بابن المقدم[3].

كان الملك الصالح إسماعيل فرصةً سهلةً أمام من حوله من المنتفعين والطامعين, فبعد تعاون بعض أمرائه مع الفرنجة, واستغلال ابن عمه سيف الدين غازي الثاني صاحب الموصل لهذه الفرصة باستيلائه على نصيبين, وحران والرها, ما كان من صلاح الدين الأيوبي إلا أن تقدّم إلى دمشق سنة (570هـ) مع الأمير شمس الدين ابن المقدم, وما أن وصلها حتى أعلن ولاءه للملك الصالح إسماعيل, ثم سارت الأمور بعد ذلك بينه وبين أمراء الملك الصالح, فتقدم صلاح الدين إلى حمص وحماة, ثم توجه إلى حلب, فاستنجد الملك الصالح بابن عمه سيف الدين غازي, فهزمه صلاح الدين, وعقد الصلح بينه وبين أهل حلب, وعزل الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين, وقطع

([1]) الناصري, الاستقصا, 253/2.

([2]) العاصمي، سمط النجوم العوالي، 3/4.

([3]) ينظر: ابن الأثير, الكامل, 58/10.

الخطبة له, وأزال اسمه عن السكّة, ورحل عن حلب, وأقره الخليفة العباسي على ما فعل, وأرسل له الخُلَع وهو في حماة[1].

بقي صلاح الدين يحاول توحيد البلاد الإسلامية حتى تم له ذلك, بتوحيد سوريا والعـراق, باستثناء بعض مناطق الساحل الشامي, التي كانت بيد الفرنجة[2]. وكان ذلك في اثنتي عشرة سـنة, وهي السنوات الأولى لحكمه.

بعد ذلك تفرغَ صلاح الدين الأيوبي لترتيب شؤون دولته, فعين أولاده حكاماً لولايات دولته الرئيسة عوضاً عن إخوته وأقاربه, وعملَ على تفقد أحوال رعيته, وتوفيرِ كل ما يلـزم لهـم مـن أسباب المعيشة والحياة الهادئة[3].

وفي سنة (583هـ), كتب صلاح الدين إلى جميع البلاد الإسلامية يستنهض الناس للجهاد, فجمع عسكراً عظيماً وضع عليه ابنه الأفضل علي[4] قرب طبريا, ووقعت موقعة حطين الفاصـلة, التي مهدت لفتح بيت المقدس, في يوم الجمعة 27 رجب (583هـ), والتي صادفت ليلـة الإسـراء والمعراج[5].

بعد محاولة باءت بالفشل لدخول القدس من قبل ملك انجلترا, طلب الصلح من صلاح الدين, فصالحه المسلمون فيما عرِف بصلح الرملة سنة (588هـ), فأخذ الفرنجةُ من يافا إلى صور، وبقيةُ البلاد للمسلمين, وسمح للفرنجة بزيارة بيت المقدس[6], فعاد ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا إلـى بلاده, ثم سافر صلاح الدين إلى دمشق حيث توفي فيها في (صفر589هـ), ودفن في دمشق قـرب جامع بني أمية, بعد أن أدى أمانته على أتم وجه، رحمه الله تعالى[7].

---

(1) ينظر: ابن الأثير, الكامل, 59/10-69.

(2) ينظر: ابن الأثير, م.ن, 79/10-114.

(3) ينظر: ابن الأثير, م.س, 139/10.

(4) هو الملك الأفضل أبو الحسن نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي عاش ما بين (565 و622هـ), أكبر أبناء صلاح الدين, ولد بمصر, وتولى حكم دمشق, ثم تولى السلطة بعد أبيه, خَلَفَه عمه العادل وأخوه العزيز عليها, وأعطياه عوضا عنها صرخد, كان صحيح العقيدة يحب العلماء؛ ترجمته في: ابن خلكان, وفيات الأعيان, 419/3-421؛ الزبيدي, ترويح القلوب, ص69؛ ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, 262/6.

(5) ينظر: ابن الأثير, م.س, 144/10-154.

(6) ينظر: ابن الأثير, م.س, 215/10-217.

(7) ينظر: ابن الأثير, م.س, 215/10-224.

أحاط الملك العادل بأبناء أخيه حتى استولى على البلاد وحكمها، فأخذ دمشق، ثـم القـدس، حتى أصبحت البلاد بيده, وأمر أولاده عليها, فضعفت البلاد, واستغل الفرنجةُ ذلك فبدأوا بدمياط في مصر, ثم زحفوا نحو القاهرة بعد أن مات الملك العادل (سنة 615هـ)، فاتحد أبناء العادل، وقاموا باسترجاع دمياط سنة (618هـ)، وردوا الحملةَ الصليبية الخامسة، ولكن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً, فنشبت الخلافاتُ بينهم, وبدأ التباعد والتباغض[1].

([1]) ينظر: ابن الأثير, الكامل, 10/242-250.

ثانياً- الحياة الاجتماعية

1. الأندلس

كان مجتمع الأندلس في حقبة الدراسة مجتمع اضطراب واختلال, حيث ظهر هذا الاضطراب جلياً في الجانب الاجتماعي, كما أنه من الضروري أن ننتبه إلى أن بذور القلق والتقلبِ في المجتمع الأندلسي, وجدت لها تربةً خصبةً في فترات سابقة متتالية، كعهد الفتنة البربرية، وعصر ملوك الطوائف الذي أعقبه[1].

كان هناك جو من عدم الاستقرار يشمل نواحي الفكر والمعتقد, كما يتناول حياة الناس في خطوط سيرها, الذي يتمثلُ في التغيرات المعتادة من تعاقب أنظمة الحكم, وتغيرِ حظوظ الأفراد في كسبهم المعيشي, وهذا الأمر يظهر جليا في مصنّفات ابن سعيد الأندلسي, حتى إن مدينة كإشبيليةَ تُغَير حكامها في سنتين أربع مرات بين الموحدين وابن هود والباجي وابن الأحمر, وهنا نرى رجلاً مثل ابن سعيد الذي وهب نفسه للتصنيف قد تأثّر بهذه الأحداث, وكان يغير ولاءه بين المتنافسين, فهو الذي مدح الباجي عندما أبعد ابن هود عن إشبيلية, مع العلم أن ابن هود قد عين والده والياً على الجزيرة الخضراء, وكان هو نفسه يستظل بظله[2]. ثم ما لبث أن غير ولاءه ثانيةً عندما خضعت إشبيليةُ لابن الأحمر الذي قَتَلَ الباجي, فعاد ومدح قاتلَ ممدوحه السابق[3].

ومن هذه الظواهر التي برزت في هذا العصر, ظاهرةُ الوشايات, التي كثرت حتى إنها لم تدع أحداً في منصب معين, بل إنها كانت تؤدي –أحياناً- إلى هلاك من نُسجت ضدهم, ولعل ابن سعيد سجلَ لنا في مصنفاته ما يغني عن البحث من شواهد كثيرة انعكست في حياته وحياة من ترجم لهم, فهذا الأفلح اللخمي يسعى لوالد ابن سعيد عند ابن هود ليوليه إمرةَ الجزيرة الخضراء, ثم لا تلبثُ الوشايةُ أن تُوغر صدره فيسعى في تأخيره[4].

لقد أدى هذا الاختلالُ في حياة الناس وعلاقاتهم بعضهم ببعض إلى البحث عن مخرجٍ ومهربٍ يخرجون به من تلك الحياة القلقة, فكان من الطبيعي اللجوء إلى حياة الترف والميل إلى الملذات, وقد تمثلَ هذا الترف في الميل إلى الزخرف الأدبي شعراً ونثراً, وقد ظهر هذا الزخرفُ

([1]) ينظر: محمد عبد الله عنان, عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس, 195-199.

([2]) ينظر: ابن سعيد, المغرب, 103/2.

([3]) ينظر: ابن عذاري المراكشي, البيان المغرب, 270/3.

([4]) ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص142.

على معظم طبقات المجتمع من أمراء, وأغنياء، ومتوسطي الحال، وغيرهم. وانتشرت القصور، والحدائق، والبِرك, والمتنزهات، ومنها منَزه ببيسانة, الذي يقول فيه ابن سعيد: "وكذلك إذا قيل في المنازِه التي على النهر منزه ببيسانة, مال كل ذي سمعٍ وبصرٍ إلى ألحانِ أطيارِه، وأفنانِ أشجارِه المزدانة"[1].

إلى جانب هذه الظواهر, فقد برزتْ ظاهرةُ الميل إلى الغلمان, حيثُ ألقتْ هذه الظاهرةُ بثقَلها على العامة والخاصة، حتى اشتُهر بها وزراء وشعراء وكُتاب, والقارئ لمصنفات ابن سعيد, يجدها تعج بالأمثلة والشواهد التي تكفي أن تكون حجة في هذا الموضوع, وتُعطي صورةً كاملةً ودقيقةً حول هذه الظاهرة المتفشية[2].

ومن هذه الظواهر أيضاً, ظاهرة الجلاء التي برزت في هذا القرن، بعد أن كانت ملحوظةً في المجتمع الأندلسي في حقبة سابقة[3]. ففي بداية هذه الحقبة بدأت جماعاتُ الأندلسيين بالرحيل عن مدنهم وحواضرِهم إلى مدن أخرى تبعاً للظروف السياسية في ظل سقوط القواعد الأندلسية الكبرى, حتى اضطرت هذه الجموع في نهاية الأمر إلى النزوح جنوباً إلى غرناطة ثم غادرت الأندلس نهائياً.

2. مصر وبلاد الشام

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية في المشرق في هذه الحقبة, فإنني- كما ذكرتُ- أتحدثُ عن الدولة الأيوبية التي أقامت حكمها على أساسٍ إقطاعي تبعاً للدولة الزنكية من قبلها[4], فكان رأس الدولة يدعى سلطانًا, ويلقب بألقابٍ تتصلُ بالدين مثل: عماد الدين, ونور الدين, وصلاح الدين, وسيف الدين, وأسد الدين وغيرها. وهو يقسم إمارات البلاد الكبرى على أبنائه, فيبدأُ بالأكبرِ, فالأصغر، ثم الأصغر، ثم يوزع ما بقي على أقاربه[5].

---

(1) ابن سعيد, اختصار القدح, ص148.

(2) ينظر: ابن سعيد, م.ن, ص 8، 9، 77، 82؛ الغصون اليانعة, ص 13، 15، 45.

(3) ينظر: إحسان بن عباس, تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين, ص32-33.

(4) ينظر: محمد زغلول سلام, الأدب في العصر الأيوبي, ص47.

(5) ينظر: أبو شامة, الروضتين, 405/1.

أما عامةُ الشعب؛ فيتوزعون على أربع فئات: الأولى, القضاة والخطباء وكُتّـاب الإنـشاء والدواوين, وهذه الفئةُ كانت مقربةً من الحكام. والثانية, كبار التجار, وهذه الفئة كانت تعيش حيـاةً رغدة. والثالثة, صغار الباعة والحرفيين, وهذه الفئةُ كانت تعيش حياةً متوسطة. والرابعة, الفلاحون, وهي تُشَكلُ أغلبيةَ الشعب, وكانت تخدم في الإقطاعات, كما كثرت فـي هـذا العـصر الجـواري والغلمان[1].

ومن الظواهر الاجتماعية التي برزت بشكلٍ كبير في هذا العصر؛ ظاهرة التصوف، التـي برزت لسببين: الأول, الأخطار التي أحدقتْ بالمسلمين وبخاصة أخطار الفرنجة, والثـاني، كثـرةُ الكوارث الطبيعية, لذلك أولاهم الحكام اهتماماً كبيراً في هـذه الفتـرة، فبنـوا لهـم الخانقـاوات والأربطة[2].

(1) ينظر: ابن الوردي, تتمة المختصر, 171/2.

(2) ينظر: سعيد عاشور, مصر والشام, ص117.

ثالثًا- الحياة الفكرية

على الرغمِ من الأحداث السياسية الكبرى، والهزات العنيفة التي أحاطت بالعرب والمسلمين في هذا القرن, فإن الحركةَ الفكرية والأدبية لم تَخْمد جذوتُها. فقد بقي ذلك النـشاطُ الـذهني عنـد العرب والمسلمين ساطعاً غير خامد, وكأن الشعلةَ المضيئةَ في العصر العباسي ظلت فيها عناصـر الضوء والنورِ التي كانت تُمدها بأسباب البقاء حتى هذا العصر, والتي عمـتْ العـالم الإسـلامي بخافقَيه.

1. الأندلس

اتهم بعض الدارسين المحدثين الحياةَ الفكرية في الأندلس في هذه الحقبة بالخمول والبرود، قال محمد عبد الغني: "وإذا أمسكنا طرفَ الخيط العربي الإسلامي من الأندلس- وهي أقـصى مـا بلغه المسلمون غرباً في أوروبا- وجدنا أن انتفاض أمر العرب في الأندلس منـذ القـرن الـسابع الهجري، وعدوان نصارى الإسبان عليهم, وكثرةَ غاراتهم عليهم، وتصميمهم علـى طـردهم مـن البلاد، قد أثّر في الحياة العقلية أيما تأثير, كما أن اضطراب الأمور في المغرب لـم يـدع مجـالاً للحركة الفكرية أن تزدهر، ولا نستثني من ذلك في الشمال الإفريقي إلا تونس"[(1)].

لا أنكر أن تلك الأحداثَ والقلاقلَ قد أعملت معولَها في نفوس بعض العلماء والشعراء, لكن سرعان ما عادوا إلى الصف غير آبهين بهذه الاضطرابات والعقبات, وظهرت في نفوسـهم روح التحدي, تلك التي ظهرت جليةً عند ابنِ الأبار- أبرزِ المتحدثين بلسانِ أهل العلم في تلك الحقبـة- الذي بدأ بالإعداد لكتاب "التكملة" سنة (631هـ), في الوقت الذي كانت فيه كتائب أرجون تقتـرب من أسوار ولاية بلَنْسيةَ, وهو يعبر عن ذلك الموقف الخطير بعبارة تَنُم عن وعـيٍ كبيـر: "وكـان انبعاثي لهذا التقييد أول شهر المحرمِ سنة إحدى وثلاثين وستمائة.... ليعلم أنها (الأندلس) ما أقَلّـتْ أهلتُها, وإن أعضلت عللُها، وبطُلَتْ على البرء أدلتُها, ولا هوتْ نجومها، وإن أقْـوتْ رسـومها... ومع غُربة الإسلام فيها, وعجزِ قومها عن تلافيها, فالعلوم ما صرمت علَقُها ولا عـدمت بالجملـة حلَقُها- ومصداقُ ذلك وصلُ إحسانهم والحبلُ مبتور، ونَظْم جمانهم والشملُ منثور"[(2)].

وابن الأبار ليس وحده في هذا التيار, بل إن كثيراً من المثقفين حـاولوا تحـدي عـصرهم القاسي، ومجابهة ظاهرة الفناء والتشتت بمزيد من الأعمال العلمية, التي لا تفنى بعـدهم, حرصـاً

([1]) محمد حسن, ابن سعيد المغربي, ص23.

([2]) ابن الأبار, التكملة لكتاب الصلة, 6/1.

منهم على أمجاد الرجال الذين أفنتهم خطوب الدهر, وأرى في هذا تفسيرا معقولاً لكثرة التـواريخ وكتب التراجم والسير في هذه الفترة.

إن الذي يتصفح مصنفات ابن سعيد "كالقدح المعلّى", و"الغصون اليانعـة"، يـشعر بـالجو الثقافي المزدهر الذي كان يعيشه الإشبيليون, وكأن شيئاً لم يجرِ حولهم من قلاقل أو تهديدات بالغزو والإفناء والإجلاء.

ليس من الممكن في هذه التقدمة الموجزة أن نُؤرخَ للحركة الثقافية بشكلها الوافي وجوانبها كافة, إلا أنه لا بد من إطلالة سريعة على العلوم الأدبية وعلم الجغرافيا والرحلات التي كانت سائدةً في حقبة الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

لقد عبر الشعر في هذه الحقبة عن طابعها وروحها، عندما توزع فـي موضـوعاته بـين تسجيل الأحداث المتلاحقة, والنكبات المتتالية من ناحية, وبين الانصبابِ على وصف مجالس اللهـو والغزل الغلماني والخمريات من ناحية أخرى.

كما يعبر الشعر عن مشاعر الغربة عند الشعراء, وهذا ما سنرى ظلاله في شعر ابن سعيد نفسه.

ويبحثُ الشعراء عن صور جديدة, ويبالغون في استخدام المحسنات البديعية، تمشياً منهم مع "الزخرف" الذي عم جميع جوانب حياتهم. كما أن المصنفات الأدبية قد اعتنت عنايةً فائقةً بروايـة الشعر في هذا العصر, كما نجد عند ابن سعيد.

وفي هذا العصر واصل الأندلسيون الاهتمام بفن الموشح, فأخذ يـزداد عـدد الوشـاحين, وتنوعت موضوعاتُه, غير أن العنايةَ بالصنعة اللفظية أفقدت الموشح بعض رِقته[1].

([1]) ينظر: إحسان عباس, عصر الطوائف والمرابطين, 250-251.

أما النحو؛ فقد جاء فيه كلام كثير, وازدهر ازدهاراً كبيراً, فهذا ابن سعيد يخبرنا عن حركة نحوية قوية شهدها هذا القرن, فيقول: "النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، حتى إنهم في هذا العصر كأصحاب عصر الخليل وسيبويه"[1], ومن أبرز علماء النحو في هذه الحقبة ابن عصفور الإشبيلي، صاحب الشرح على "الجمل" المسمى بـ "المقرب في النحو", وقد عرف بأسلوبه التعليمي السهل في التأليف[2].

أما كتب التراجم؛ فلا شك في أن ابن سعيد وابن الأبار علمان على هذه الحقبة, فلابن سعيد عدة مصنفات في هذا المجال ككتاب "القدح المعلى"، و"الغصون اليانعة"، وغيرهما, ولابن الأبار كتاب "الحلةُ السيراء"، و"التكملة على كتاب الصلة" وغيرهما.

وعلى صعيد الجغرافيا والرحلات؛ فقد حقّق هذان العلمان تقدماً عظيماً في هذه الحقبة التي يمكن اعتبارها الفترةَ الذهبية، وعصر النضج في المغرب الإسلامي بعامة والأندلس بخاصة، ومن الكتب التي ظهرت في هذه الحقبة: كتابا "الجغرافيا" و"بسط الأرض في الطول والعرض" لابن سعيد الأندلسي.

كما ازدهرت في هذه الحقبة علوم كثيرةٌ, شملت علوم الطب, والفلسفة, والتنجيم, والموسيقى, وغيرها من العلوم الأخرى[3].

---

(1) ابن سعيد, اختصار القدح, ص152.

(2) ينظر: الغبريني, عنوان الدراية, ص188.

(3) ينظر: المقري, نفح الطيب, 3/184-186.

2. مصر وبلاد الشام

أما عن الحركة الفكرية في عصر الدولة الأيوبية, فلم تكن أقل منها في الأندلس, فقد شجع الأيوبيون العلم والعلماء واهتموا بهم, بل كان بعضهم علماء وأدباء وشُعراء وفقهاء, كما أحبوا العلماء, وقربوهم إليهم, وأغدقوا عليهم, وسيرهم خير دليل على ذلك. فقد بنوا المدارس والمساجد والبيمرستانات, فهذا صلاح الدين الأيوبي كان مهتماً بعلم الحديث الشريف, ومراعياً للأسانيد, وكان يشارك العلماء والفقهاء المجالس, ويبادلُهم الحديث, حتى إنه كان أعلم منهم بالأحكام الشرعية(1).

ونرى ابن سعيد قد حظي برعاية الملك الناصر يوسف صاحب حلب, وغيره من أمراء الأيوبيين, فأغدقوا عليه وأكرموه, وقربوه إليهم, وكان ذلك لحسن محاضرته, وحضور بديهته, وسعة روايته, وصدق خدمته, فنراه في مجلس الناصر مقرباً محبباً إليه, عاش في كنفه ورعايته ثلاث سنوات ويزيد, وسمع منه شعراً, وأسمعه شعره ومدائحه فيه(2).

وكان الملك الظاهر غياثُ الدين غازي بن صلاح الدين يهتم بالعلماء والشعراء، ويقربهم منه, يقول ابن خلكان: "كان ملكاً مهيباً، حازماً، محباً للعلماء، مجيزاً للشعراء"(3).

وكان الملك الكامل محمد بن الملك العادل يناقش الفضلاء في بعض المسائل, وله شعر جيد, وقال عنه ابن خلكان: "وكان سلطاناً عظيم القدر، جميل الذكر، محباً للعلماء, متمسكاً بالسنة النبوية.... كانت تبيت عنده كل ليلة جمعة جماعةٌ من الفُضلاء, ويشاركهم في مباحثاتهم, ويسألهم عن المواضيع المشكلة من كل فن, وهو معهم كواحد منهم.... وبنى بالقاهرة دار حديث"(4).

نلمس من ذلك أن الدولة الأيوبية قد اهتمت بالعلم والعلماء, وبنت المدارس, ومنارات العلم والمعرفة, كما أن ملوكها أنفسهم كانوا شعراء, وأدباء, وعلماء, وفقهاء, فانعكس ذلك على الرعية, فتوفر كل شيء يحققُ أي تقدمٍ على هذا الصعيد.

---

(1) ينظر: أبو شامة, الروضتين, 217/2.

(2) ينظر: المقري, نفح الطيب, 39/3.

(3) ابن خلكان, وفيات الأعيان, 6/4.

(4) ابن خلكان, م.ن, 81/5.

الفصل الأول- سيرة ابن سعيد الأندلسي

أولاً- اسمه ونسبه ومولده.

ثانياً- نشأته.

ثالثاً- أسرته, وعائلته.

رابعاً- شيوخه.

خامساً- رحلاته وصلته بأهل العصر.

سادساً- وفاته.

سابعاً- مصنفاته.

الفصل الأول- سيرة ابن سعيد الأندلسي

قمتُ في هذا الفصل بدراسة سيرة الشاعر ابن سعيد الأندلسي, من خلال المصادر التي تَرجمت له, ومن خلال شعره الذي جمعتُه فيها, وقد جاءت سيرته على النحو الآتي:

أولاً- اسمه ونسبه ومولده.

هو علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد الغرناطي القلعي ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن عبد الله بن سعيد بن عمار بن ياسر العنسي المذحجي(1), ويكنّى أبا الحسن(2). ويلقب نور الدين(3), ويعرفُ بابن سعيد(4). ولد ابن سعيد في غرناطة ليلة عيد الفطر سنة (610هـ/ 1213م)(5).

ينسب المؤرخون ابن سعيد إلى الأندلس مرة ، فيقولون: "الأندلسي"(6) وأُخرى إلى المغرب، فيقولون: "المغربي"(7)، ورأيتُ أن أنسبه حيثما ورد في هذا البحث إلى بلد مولده ونشأته، حيث ولد في غرناطة ونشأ في إشبيلية، لذلك فهو غرناطي أندلسي.

ثانياً- نشأته

لم تَذكُر لنا المصادر –التي تمكنتُ من الاطلاع عليها- شيئاً عن نشأة ابن سعيد في غرناطة, فمن الواضح أنه انتقل إلى إشبيليةَ مبكراً، أي في سن العاشرة, ففي سنة (621هـ ـ) نجده مع والده في إشبيلية, وكان والده حينئذ على اتصالٍ بالخليفة الموحدي الجديد عبد الواحد الذي بويع بالخلافة لتوه(8).

ويلاحظ أن ابن سعيد لا يتحدث عن أية ذكريات مبكرة له في غرناطة, بينما يورد كثيراً من ذكريات صباه في إشبيلية، ما يوحي بأنه ترك غرناطة قبل أن يعي الأشياء

(1) لسان الدين بن الخطيب, الإحاطة, 129/4. وينظر: ابن سعيد, المغرب, 172/2؛ اختصار القدح, ص1؛ ابن شاكر الكتبي, فوات الوفيات, 103/3؛ السيوطي، بغية الوعاة, 221/2؛ ابن القاضي, درة الحجال, 240/3؛ المقري, نفح الطيب, 29/3 وفيه "المدلجي"؛ الزركلي, الأعلام, 26/5.

(2) ابن سعيد, اختصار القدح, ص1؛ ابن القاضي, م.س, 240/3؛ المقري, م.س, 29/3.

(3) ابن شاكر الكتبي, م.س, 103/3.

(4) ابن سعيد, اختصار القدح, ص1, ابن الخطيب, م.س, 129/4؛ ابن القاضي, م.س, 240/3.

(5) ابن الخطيب, م.س، 135/4؛ السيوطي, م.س, 222/2؛ ابن القاضي, م.س, 241.

(6) ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، 4/1؛ ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 29/1؛ حاجي خليفة، كشف الظّنون، 1747/2.

(7) ينظر: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 143/1؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 232/1.

(8) المقري, م.س، 362/2.

والحوادثَ وعياً كاملاً, أما بعض أشعاره التي يتشوقُ فيها إلى جلسات لهـوه فـي غرناطـة؛ فسنرى أنها تعود إلى مرحلة شبابه عندما كان يتنقلُ بين المدن الأندلسية[1].

رحل ابن سعيد –وهو ابن أربعة عشر عاما- مع والده من إشبيلية إلى مراكشَ, وكانا بصحبة الملك العادل[2].

فنشأ ابن سعيد في بيئة متعلمة حاكمة، وكان مقربا من أهلها منذ نعومة أظافره، فوالده الذي أشرف على تربيته عالم وشاعر، وهو بدوره قربه من أهل الحكم.

ثالثاً- أسرته وعائلته

نشأ ابن سعيد في أسرة مثقفة عالِمة, هي أسرةُ بني سعيد التي برز منها عدد كبير من العلماء والشعراء والأدباء, وقد صنف ابن سعيد كتاباً في حق ُأسرته سماه: (الطالع السعيد في محاسن أعلام الكرام بني سعيد)[3]، لكنّه لم يصل إلينا, إلا أن المقري نقل عنه نصوصاً فـي نفح الطيب, منها قوله: "والحكاية هي ما حكاه أبو الحسن ابن سعيد في الطالع السعيد..."[4].

على الرغم من أن ابن سعيد ترجم لنفسه في كثير من مصنفاته إلا أنه لم يذكر أمـه, وهذا شيء وارد في كثيرٍ من كتب التراجم, كما أنه لـم يـذكر أي إخـوة أو أخـوات لـه, واقتصرت أسرته الداخلية عليه وعلى والده موسى الذي سأتحدثُ عنه بعد قليل.

كما أن ابن سعيد -من خلال تتبعي لحياته في كتبه وكتب التـراجم الأخـرى- لـم يتزوج, بل بقي حراً طليقاً, زوجه العلم, ورفيقه السفَر والترحال, وقد أخبرنا عن ذلك بنفـسه حين قال[5]:

(الكامل)

أَنَا شَاعر أَهوى التخَـلي دون ما	زوجٍ لِكيما تَخْلُص الأَفْكَـار
لَو كُنْتُ ذَا زوجٍ لَكُنْتُ منَغصـًا	في كُل حينٍ رِزقُهـا أَمتَـار
دعني أُرِح طولَ التغَربِ خَاطرِي	حتى أَعود ويستَـقر قَـرار
كَم قَائِلٍ قَد ضاع شَـرخُ شَبـابِه	ما ضيعتْه بِطَـالَةٌ وعقَـار
إِذْ لَم أَزلْ في العلْمِ أَجهد دائِمـًا	حتى تَـأَتـتْ هذه الأَبكَـار
مهما أَرِم من دونِ زوجٍ لَم أَكُن	كلا ورِزقي دائِمـًا مـدرار
وإِذَا خَرجتُ لِفُرجـة هنـيـتُها	لا ضيعةٌ ضاعتْ ولا تَذْكَـار

---

(1) محمد الأنصاري, ابن سعيد المغربي, ص64.

(2) ابن سعيد, اختصار القدح, ص211.

(3) ذكره ابن سعيد, اختصار القدح, ص104؛ ابن الخطيب, الإحاطة, 130/4؛ المقري, نفح الطيب, 271/2.

(4) المقري, م.س, 190/1.

(5) القصيدة رقم 95.

فابن سعيد لا يستقر به قرار في مكان معين, والزواج بحاجة إلى استقرار, وهو يعكر الأفكار. والعلم هو هدفه الأول, ورزقه متوفر. وهو يحب السفر والرحلات ولا يطيقُ المكوثَ طويلاً في بلاط الملوك, فكيف بزوجة تحبسه طوال العمر؟!.

أما أسرتُه الكبيرة, وهي أسرة بني سعيد, فتشمل أباه وأعمامه وأولاد أعمامه, وأجداده, ولست هنا بصدد التوسع في الحديث عن أسرته الكبيرة, حيث إن كل واحد منهم علَم من أعلام الأدب والتاريخ, لكنّي لا بد وأن أتحدثَ عن والده الذي رباه ورعاه.

1. والده:

هو أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد, ولد في غرناطة سنة (573هـ)، وتوفي سنة (640هـ)[1], كان عالماً بالتاريخ، ومصنفاً، وشاعراً، وقد نقل عنه ابن سعيد في كثير من مصنفاته، فيقول ابن سعيد في اختصار القدح: "وقال أبو عمران بن سعيد: ركبتُ معه للقاء ابن هود...."[2]. وفي موضع آخر يقول: "وأخبرني والدي موسى بن سعيد..."[3].

وكان أبو عمران عالماً, أديباً, محبباً عند الآخرين, ويظهر هذا من خلال رسالة كتبها إليه أبو الحسن سهل بن مالك, ومنها : "ويعلم اللهُ أيها العلَم علما وفهماً, أنّي لولا مخاطبتُك, وامتثالُك لمت أسفاً وغماً... وأنت أيها المصقَع الخطيب, والمبدع الأديب؛ كيف استمطرتَ من خاطر أخيك جهاماً, وقدرت من براعة فكرك سيفاً كهاما. أستغفر اللهَ لولا الارتياد من بحرِك لما تعطلَ لي غمام, ولولا صقلُ خطابك وشحذُ كتابك لما مضى لي حسام..."[4].

لقد لازم الابن والده ردحاً من الزمن, فأخذ عنه أطيب ما عنده, وعلم الأب ابنَه وأحسن تربيتَه وتدريبه, هذا عدا كونه شاعراً مجيداً, يدرب ابنَه على قول الشعر بنفسه, قال المقري[5]: "قال أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد, أقبلتُ عليه مرةً – يعني جبل طارق- مع والدي فنظرنا إليه على تلك الصفة، فقال والدي أجِز:

---

(1) ينظر: ابن سعيد, المغرب, 170/2؛ المقري, نفح الطيب, 234/2.

(2) ابن سعيد, اختصار القدح, ص61.

(3) ابن سعيد, المغرب, 334/1.

(4) ابن سعيد, م.ن, ص64-65.

(5) المقري, م.س, 160/1.

(المجتث)

انْظُر إلى جبل الفَتْـ ـحِ راكباً متْـن لُـج

فقات: وقَد تَفَتح مثْـلَ الـ ـأفْنَانِ في شَـكْل سـرجِ

ومن شعره يوصي ابنَه قُبيل السفر[1]:

(السريع)

قَلـالـتـجـارِبِ أُمور إِذَا طَالَعـتَـها تَشْحذُ من همـتك

فَلا تَنَـم عن وعيها ساعةً فَإِنهـا عـون إلى يقْـظَـتك

فَلَيس يدرى أَصلُ ذي غُربة وإِنما تُعرفُ من شيـمـتـك

ولا تُجـاِلس من فَشَا جهلُه واقْصد لِمن يرغَب في صنْعتك

ولا تُجـادلْ أَبدا حاسـدا فَإِنـه أَدعـى إِلى هيـبـتـك

وامشِ الهوينَى مظْهِرا عفةً وابغِ رِضا الأَعينِ عن هيئَـتك

أَفْشِ التـحيـات إِلى أَهلها ونَبـه النـاس على رتْبـتـك

ولم يكن والد ابن سعيد عالماً بالتاريخ وشاعراً فحسب, وإنما كان من فضلاء الأندلس, إذ أُعجب به ابن هود وولاه الجزيرة الخضراء[2].

إذن هذا هو المربي الأول لابن سعيد, الذي أخذ منه الأخلاقَ والآداب والعلم والورع, وهذه هي الأسرةُ التي نشأ فيها ابن سعيد، وبعد معرفة كل هذا؛ فلا عجب أن يخرج من صلب هذه الأسرة الشهير بالمشارق والمغارب أبو الحسن بن سعيد.

2. أُسرتُه الخاصة

لم يقدر لابن سعيد أن يكون أُسرةً خاصة، إذ إنه لم يتزوج، وقد كانـت لـه أسـباب خاصة دفعته إلى عدم الزواج ذكرها في شعره.

---

(1) المقري, نفح الطيب, 112/3.

(2) المقري, م.ن, 351/2.

رابعاً- شيوخه

لقد درس ابن سعيد على عدد من الشيوخ، كان أبرزهم والده موسى بن سعيد, وآخرون ممن التقاهم في إشبيلية والأماكن التي رحل إليها، وتمكنتُ من معرفة عدد من شيوخه، ودرستهم حسب الترتيب الألفبائي لأسمائهم، وهم:

1. الأعلم البطليوسي (ت646هـ):

هو أبو إسحق إبراهيم بن قاسم المعروف بالأعلم البطليوسي صاحب التواليف، كان نحويا مؤرخًا، ومن المؤكّد أن ابن سعيد درس عليه النحو والتاريخ بعد دخوله إشبيلية سنة (621هـ) [1]. يقول فيه ابن سعيد: "قرأتُ عليه بإشبيلية ولم أر في أشياخ الأدباء أصعب خُلُقاً منه"[2].

2. أبو علي الشلوبين (ت 645هـ):

هو عمر بن محمد بن عمر الأزدي الأندلسي الإشبيلي النحوي, ولد سنة (562هـ), انتهت إليه معرفة العربية في زمانه, تصدر لإقراء النحو ما يقرب ستين عاما, له تصانيفُ كثيرةٌ بلغت الخمسين, منها كتاب: "التوطئة على الجزولية"[3]، قرأ عليه ابن سعيد النحو في إشبيلية، توفي بإشبيلية سنة (645هـ)[4].

3. أبو الحسن الدباج (ت 646هـ):

هو علي بن جابر بن علي أبو الحسن الدباج الإشبيلي, كان من أهل الفضل والصلاح, تصدر علماء الأندلس في إقراء القرآن نحو خمسين سنة, توفي سنة (646هـ) وهو يقرأ كتاب سيبويه[5]. قرأ عليه ابن سعيد في إشبيلية، وأشار إلى ذلك في المغرب, فقال: "قرأتُ معه (أي مع إبراهيم بن سهل الإسرائيلي) في إشبيلية على أبي الحسن الدباج وغيره"[6]، وأظنه أخذ عنه علم القراءات، لأنه كان متصدرا لإقراء القرآن في الأندلس.

---

(1) ينظر: المقري, نفح الطيب, 451/3؛ السيوطي, بغية الوعاة, 389/2؛ ابن فرحون, الديباج المذهب, 8/1.

(2) ابن سعيد, المغرب, 369/1.

(3) ينظر: المقري, م.س, 184/3.

(4) ينظر: الذهبي, العبر, 186/5؛ ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب, 232/5؛ الفيروز أبادي, البلغة, 162/1؛ الزركلي, الأعلام, 62/5.

(5) ينظر: صلاح الدين الصفدي, الوافي بالوفيات, 171/20؛ الذهبي, سير أعلام النبلاء, 209/23.

(6) ابن سعيد, المغرب, 269/1.

4. **أبو الحسن بن عصفور النحوي (ت 663هـ):**

هو علي بن مؤمن بن محمد بن علي، أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي, حاملُ لواء العربية في زمانه بالأندلس, وقد أخذ عن الدباج والشلوبين, وأظن أن ابن سعيد قد أخذ عنه النحو في إشبيلية، لأنه لم يكن عنده شيء يؤخذ سواه، ولم يتأهل لغير ذلك[1], قال عنه الصفدي: "ولم يكن عنده ورع, وجلس في مجلس شراب فلم يزل يرجم بالنارنج إلى أن مات في رابع عشر ذي القعدة سنة (663هـ)"[2], وله تصانيف كثيرة منها: "شرح الجزولية", و"مختصر المحتسب" وغيرهما[3].

لم يذكر ابن سعيد في مصنفاته إلا عددا قليلاً من شيوخه وأساتذته الذين أخذ عنهم، أو أن أسماءهم ضاعت بضياع العديد من المصنفات.

نرى من خلال ما سبق أن ابن سعيد تتلمذَ على يد ثُلة من علماء الأندلس الأفذاذ, الذين ما زال عدد كبير من آثارهم ومصنفاتهم موجودا حتى هذا اليوم, ونجد أن هؤلاء العلماء قد برزوا في جانب النحو واللغة, على عكس ما ظهر به ابن سعيد من أدبٍ وشعرٍ, وأظن أنه اكتسب الأدب والشعر من والده وملازمته إياه, ومن شيوخه اللغةَ والنحو.

خامساً- رحلاته وصلته بأهل العصر

قام ابن سعيد برحلات كثيرة بدأت من غرناطةَ مسقط رأسه في الأندلس, ووصلت إلى مصر والعراق، مرورا بعدد من دول ومدن الغرب الإسلامي وشرقه، ليستقر به القرار في تونس حيث توفي رحمه الله.

ومن الطبيعي أن يلتقي في هذه الرحلات بعلماء وأدباء وشعراء، وأن ينزلَ في بلاط الملوك والأمراء, خصوصاً كونُه مغربياً جاء إلى المشرق, فجالس بعضهم, وصاحب آخرين, وتقرب من السلاطين, فكان ذا حظوة عند الكثيرين منهم, وسنبدأ مع ابن سعيد منذ خروجه من غرناطة ودخوله إشبيليةَ سنة (621هـ) برفقة والده.

لقد التقى ابن سعيد في إشبيلية بعدد من الشخصيات العلمية, التي زادت في علمه وخبرته, وإن لم أستطع تحديد موعد تلك اللقاءات بشكل دقيق, لكن الراجح أنها كانت بين

---

(1) ينظر: السيوطي, بغية الوعاة, 210/2؛ وترجمته أيضاً في: ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب, 330/5؛ ابن حزم وابن سعيد والشقندي, فضائل الأندلس, ص26؛ الزركلي, الأعلام, 27/5.

(2) صلاح الدين الصفدي, الوافي بالوفيات, 166/22.

(3) ينظر: ابن العماد الحنبلي, م.س, 330/5.

سنتي (630-632هـ), وقد تحدث ابن سعيد عن هذه اللقاءات في مصنفاته, ومن أبرز مـن التقى بهم:

1. أبو محمد عبد الحق الزهري القرطبي[1], لقيه ابن سعيد في إشبيلية ومالقة، قال: " وكثيراً ما جالسته بإشبيلية ومالقة..."[2], وكانت لهما مجالسات ومساجلات شـعرية, يقـول ابـن سعيد: "وكنت معه يوماً بمالقة على الساحل، فجاء غلام بديع الصورة, وتجرد وشق البحر كالسيف المهنّد فقال :[3]

(المجتث)

يخْفى كسيـف يغـمـد ويـنْـتَـضى للمضاء[4]
جِسم هو المـاء لُطْفـًا وارتْـه شُـقـةُ مـاء

2. أبو المتوكل الإشبيلي[5], لقيه ابن سعيد في إشبيلية, وأظن أنه كان صغيراً وقتئـذ, حيـث يقول: "وعهدي به عند والدي في دار المختص بإشبيلية..."[6], ويبدو أن اللقاء تكرر بعـد ذلك فيقول[7]: "أنشدني لنفسه بإشبيلية قوله:

(البسيط)

يجفَى الفَقير ويغْشى الناس قَاطبةً باب الغَني كذا حكْم المقَادير
وإنما الناس أَمثَالُ الفَـراش فَهم يحيثُ تَبدو مصابيح الدنانير

---

(1) والزهري: هو الأديب أبو محمد عبد الحقّ الزهري القرطبي, من حفاظ الأندلس ومؤرخيها وأدبائها, وهو كاتب وأديب وشاعر, عمل بالقضاء في إشبيلية, ولم تذكر المصادر سنة وفاته. ترجمته في: ابن سعيد, المغرب, 120/1؛ اختصار القدح, ص135؛ المقري, نفح الطيب, 315/3.

(2) ابن سعيد, اختصار القدح, ص13.

(3) ابن سعيد, م.ن, ص135.

(4) ينتضى: يستل من الغمد؛ اللسان: مادة نضا.

(5) هو: أبو المتوكل الهيثم بن أحمد بن أبي غالب بن هيثم الإشبيلي, (ت 631هـ), حافظ إشبيلية, ومما روي عنه أنّه كان يملي على شخص شعراً وعلى ثانٍ موشّحة, وعلى ثالث زجلاً, وكل ذلك ارتجالاً دون توقف. ترجمته في: ابن سعيد, رايات المبرزين, ص47؛ المغرب, 258/1؛ اختصار القدح, ص158-160؛ ابن الأبار, التكملة, 149/4؛ المقري, نفح الطيب, 377/3.

(6) ابن سعيد, اختصار القدح, ص158.

(7) ابن سعيد, رايات المبرزين, ص47.

3. أبو بكر الصابوني[1], لقيه ابن سعيد في إشبيلية, وجالسه وسمع منه شعراً, وأنـشد عنـه, فيقول: "أنشَدنا بإشبيلية لنفسه"[2], ويقول أيضاً: "ورأيته أيضاً بمجلـس البـاجي المتنـزي بإشبيلية"[3].

4. إبراهيم بن سهل الإسرائيلي[4], شاعر أندلسي مجيد, لم يشتهر بإشبيلية شاعر بعـد ابـن الصابوني اشتهاره, لازمه ابن سعيد في فترة الشباب, وخرجا معاً إلى متنزهات إشـبيلية, فكان حديثهما شعراً أكثر مما كان نثرا, و لم أر في مصنفات ابن سعيد أحداً أكثر صـحبةً له ومجالسة, ولا أثنى على أحد كثنائه عليه, فيقول فيه: "وعهدي بابن سهلٍ في بلده كالبدرِ في هالته, لا يوازيه أحد من أهل عصره في مكنته في هذه الـصفة – يعنـي الـشعر- وجلالته, هذا وما بلغ عمره العشرين, وخلقتُه تقتحمها قلوب المحبين والمبغضين"[5].

درس ابن سعيد وابن سهلٍ مدةً من الزمن على أبي الحسن الدباج[6], وأمضيا زمانـاً من شبابهما معاً, يتنقلون بين متنزهات إشبيلية, مبادرين لأنواع الملذات من أنهـارٍ وأشـجارٍ وظلالٍ وأزهار, وكل ما يروح النفس ويسر الخاطر, يقول ابن سعيد: "وبادرنا لأنواع اللـذات ميداناً فميداناً؛ وكان مهوى هوانا, ومجمع لذاتنا ومنانا بمرج الفضة والعـروس, والـسلطانية وشنتبوس, لا نكاد نخلو من التفرج في تلك الأدواح والقصور, وظل الشباب ممدود، وهـوى النفْس هنالك مقصور..."[7].

---

(1) هو: أبو بكر محمد بن أحمد الصابوني, (ت 636هـ), شاعر إشبيلية الذي لم يشهد بها في الشعر إلا إليه, رحل إلى إفريقية, ثم إلى مصر, ومات بالإسكندرية. ترجمته في: ابن سعيد, رايات المبرزين, ص50؛ ابن سعيد, المغرب, 263/1؛ ابن سعيد, اختصار القدح, ص69.

(2) ابن سعيد, رايات المبرزين, ص50.

(3) ابن سعيد, اختصار القدح, ص70.

(4) هو: أبو اسحق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي, (ت 649هـ) كان يهودياً، ثم أسلم, وله قصيدة يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم, أكثر شعره كان في غلام يهودي اسمه موسى, وله ديوان مطبوع, مات غريقاً في طريقه من سبتة إلى إفريقية. ترجمته في: ابن سعيد, اختصار القدح, ص73-85؛ صلاح الدين الصفدي, الوافي بالوفيات, 5/6؛ ابن شاكر الكتبي, فوات الوفيات, 67/1؛ ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب, 244/5؛ إدورد فنديك, اكتفاء القنوع, ص278.

(5) ابن سعيد, اختصار القدح, ص73.

(6) ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص73.

(7) ابن سعيد, م.ن, ص73.

وكانا يتبادلان الزيارات في مساجلات شعرية لطيفة، قال ابن سعيد: "دعوتُه يوماً إلى مرج الفضة بهذه الأبيات، فكان منه أطوع مجاوبٍ وآت[1]:

(الطويل)

هلُـم أبا إسحـاقَ نحو نَزاهـة	كمثْل التي عودتَ بالدوحِ والنهـرِ
ونُبدي لِزهرِ الروضِ والْورد وجنَةً	وثَغْرٍ فَمٍ أَنْـدى من الْورد والزهرِ
وإن عبتُمونَا في التصابي جهالَةً	فَعصر الشبابِ الغَض يغْني عن الْعذْرِ

وجوابه الذي تقدمت عليه الإحالة, وهيهات أن يبتدع مجاوب مثاله[2]:

(الطويل)

1. أبا حسـنٍ لا حسـن اللهُ حـالَـةً	تُحوج أرباب الشـبابِ إلى العـذْرِ
2. ولا من ينَـادى نَحـو نَهرٍ ودوحة	ووجه أخي حسـنٍ يقَـابلُ بالبـدرِ
3. فَلا تَتْرك الأَشْغَـالَ طُـرا وتَرتَقي	إلى أُفُق اللـذات جهـرا بلا سـر
4. أعد دعوةَ اللقْيا على مسمعي الذي	بلَـذ بما أودعـتَـه دائِـم الدهـرِ
5. ولا تَنْس ذكْر الكَأس فَهو كمـالُها	وحسن لَها الإِغْفَالَ من حلْبـة الذكْرِ
6. بها حليـتْ حالي ومالِـي عيشَـةً	سواها وإلا فَالسـلام على العـمرِ
7. فَواللهِ ما في الأرضِ مجلس راحة	بِغَيرِ حلَى الراحِ التي سكَبتْ صبري
8. سـآلَفُـها إِلْفَ العتـيق كتـابـه	ولا أَشْتَهي وردا سواها لَدى الحشْرِ

ولابنِ سعيد معه منادماتٌ كثيرة, ومجالس طويلة, ويظهر ذلك من خلال الأشعار التي ساقها لكليهما في مصنفاته[3], ونرى من خلال هذه الأشعار أن ابن سعيد قضى في إشبيلية مع ابن سهل مدةً من أجمل أيام عمره, في شباب غض, وصحبة فَتية, وطبيعة غَناء.

كما التقى ابن سعيد في إشبيلية بعدد من أهل العلم والشعر والأدب، كأبي الحجاج بـن عتبة[4], وأبي بكر الأندي[5]، وغيرهما.

(1) المقطعة رقم 110.

(2) ابن سعيد، اختصار القدح، ص73.

(3) ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص73-85؛ ابن سعيد, رايات المبرزين, ص51-52.

(4) هو يوسف بن عتبة الإشبيلي (ت630هـ)، كان شاعرا وأديبا وطبيبا، رحل من الأندلس زمن ابن هود إلى القاهرة عند ابن يغمور، وتوفي هناك: ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص161؛ صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 114/29؛ المقّري، نفح الطيب، 111/2.

(5) هو أبو بكر محمد بن عمر الأندى، ينسب إلى أندة، رحل إلى إشبيلية، والتقى بابن سعيد فيها، درس مع ابن سعيد وابن سهل الأدب والشعر، تركه ابن سعيد فيها: ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص168؛ المغرب، 338/1.

وبعد تدهور الأحوال في إشبيلية؛ خرج ابن سعيد مع والده، متجهين إلى الجنوب الشرقي في المنطقة الواقعة بين مرسية ومالقة سنة (633هـ), لجمع ما فاتهما من كتاب "المغرب"[1], ودخلا معظم المدن الأندلسية التي في طريقهما.

ففي قرمونةَ التقيا بشاعرها ابن البلارج القرموني[2], ثم نزل مالقة وأقام فيها مدة من الزمن, حيث التقى بقاضيها أبي عبد الله بن عسكر المالقي[3], وهناك قرر الرحيل إلى المشرق وعقد النيةَ على ذلك، حيث يقول: "وكانت نيةُ الرحلة المشرقية, والزورة النبوية قد ثارت حينئذ بخاطري..."[4]. ومما يؤكّد نيته الرحيل إلى المشرق؛ أن ابن عسكر المذكور أودعه أبياتًا من الشعر ليلقيها بالروضة النبوية الشريفة[5]. وآخر أخبار ابن سعيد في الأندلس كان بمرسية سنة (636هـ), حينما اجتمع بواليها أبي بكر الأزدي, كما اجتمع فيها بعدد من علمائها وشعرائها, ومنها في السنة نفسها رحل إلى تونس[6].

كانت تونس في ذلك الوقت في ظل الإمارة الحفصية، التي استطاعت أن تكون بمثابة الإمارة القوية المستقرة, المشجعة للعلم والعلماء, إضافةً إلى أن أغلب رجال العلم في الأندلس وجدوا لأنفسهم ملاذاً هناك فتوجهوا إليها, فمن الطبيعي أن يتوجه ابن سعيد ووالده إلى تونس بعد مغادرتهما الأندلس, أضف إلى ذلك أن َأحد بني سعيد وهو أبو عبد الله بن الحسين[7], كان قائداً بارزاً في الدولة الحفصية[8].

---

(1) ينظر: محمد الأنصاري, ابن سعيد المغربي, ص69.

(2) لقيه ابن سعيد في قرمونة سنة (633هـ)، وهو كما ذكر ابن سعيد، شاعر ضعيف: ينظر: ابن سعيد, المغرب, 300/1. ولم أعثر له على ترجمة أخرى.

(3) هو محمد بن علي بن عسكر الغساني(ت638هـ)، قاضي مالقة، كان عالما وأديبا وشاعرا، وله تصانيف كثيرة، يروي ابن سعيد أنّه ألّف كتابا في نسب بني سعيد: ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص130؛ السيوطي، بغية الوعاة، 196/1.

(4) ابن سعيد, م.س, ص130.

(5) ينظر: ابن سعيد, م.س, ص130.

(6) ينظر: ابن سعيد, م.س, ص146.

(7) وابن الحسين هو: أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين بن سعيد, ابن عم الشاعر، ووزير صاحب تونس أبي زكريا الحفصي. ترجمته في: ابن سعيد, المغرب, 168/2-169؛ ابن الأبار, التكملة, 119/4؛ الذهبي, تاريخ الإسلام, 173/43.

(8) ينظر: محمد الأنصاري, ابن سعيد المغربي, ص70.

نزل ابن سعيد ووالده في خدمة أمير تونس أبي زكريا الحفصي (ت 645هـ)[1], وامتدحه في قصائد عدة, وذكر صفاته ومحاسنَه, ومن شعره فيه قولُه[2]:

(الكامل)

الأفْقُ طَلْقٌ والنسيم رخَاء   والروض وشتْ بُرده الأنْداء
والنهر قد مالتْ عليه غُصونُه   فكأنما هو مقْلةٌ وطْفَاء
وبدا نثار الجلنار بصفْحه   فكأنما هو حيةٌ رقْطاء
والشمس قد رقمتْ طرازا فوقه   فكأنما هي حلةٌ زرقاء

وفي أثناء مكوث ابن سعيد في تونس، تولى قراءةَ ديوان المظالم بفضل وساطة ابن عمه, الذي ما لبث أن انقلب عليه, وأخذ يسعى ضده عند أبي زكريا الحفصي، حتى نجح في تأخيره عن ديوان المظالم, وكان سبب هذا الانقلاب هو تقرب ابن سعيد من منافس ابن عمه الوزير ابن جامع (ت 639هـ)[3], الذي أولاه من العناية ما عوض عليه جفاء ابن عمه, غير أن سعي ابن عمه لم يتوقف, فخافَ ابن سعيد من نجاح تلك المساعي, ورأى أنه من الأفضل ترك تونس تجنّباً للخلافات, فاستأذن ابن جامعٍ بالرحيل إلى المشرق برسم الحج, ولكن ابن جامع رفض ذلك ولامه على تخوفه, وألح عليه بالبقاء, ولم تفلح أمداح ابن سعيد ومعاتباتُه في إقناع الوزير. ثم ما لبث أن توفي ابن جامع, فلم يبقَ حينئذ لديه من نصير في تونس, وهنا عزم على الرحيل من تونس[4].

ورثى ابن سعيد الوزير ابن جامع بقصيدة طويلة منها قوله[5]:

(الطّويل)

وطَيب نَفْسي أنه ماتَ عنْدما   تَنَاهى ولَم يشْمتْ به كُل حاسد
ويحكُم فيه كُل من كان حاكما   علَيه ويعط الثأر كُل معاند

---

(1) ينظر: المقري, نفح الطيب, 44/3, وأبو زكريا هو: يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، (ت 645هـ)، حكم تونس، ودعا لنفسه عندما ضعف أمر ملوك الموحدين، وحكم مدة ثلاثةً وعشرين سنة وامتدت مملكته إلى تلمسان وسجلماسة وسبتة، وبايعه أهل إشبيلية وشاطبة والمرية ومالقة، وكانت وفاته في آخر جمادى الآخرة عن تسع وأربعين سنة. ترجمته في: ابن خلدون، العبر، 239/7؛ الذهبي، م.س، 244/50؛ المقريزي، السلوك، 451/1-452.

(2) المقطعة رقم 5 الأبيات 1-4.

(3) وابن جامع: هو أبو العلاء إدريس بن علي بن أبي العلاء بن جامع، (ت 639هـ)، كتب له ابن سعيد الأندلسي. ترجمته في: ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص48؛ المقري، م.س، 386/4.

(4) ينظر: محمد الأنصاري, ابن سعيد المغربي, ص71-72.

(5) النتفة رقم 79.

وفي أثناء إقامة ابن سعيد بتونس التقى عــددا مــن علمائهــا, ومــنهم ابــن الأبــار القضاعي[1]، أحد كبار مصنفي القرن السابع الهجري في الأندلس, وتعود أهميةُ هذا اللقاء إلى أنهما لم يلتقيا بالأندلس, ويظهر ذلك من خلال ابن سعيد نفسه, حيث يقول: "... ولم اجتمع به إلا في هذه الحضرة العلية"[2], وجرت بينه وبين ابن سعيد مجالساتٌ ولقاءاتٌ كثيرة.

ومن الشخصيات العلمية، والصداقات المثمرة التي كونها ابن سعيد خلال هذه الفترة؛ صلتُه بالكاتب الأديب أبي العباس الغساني[3], الذي كان يتولى الكتابة للأميــر أبــي زكريــا الحفصي، حيث يقول ابن سعيد: "وهو الآن لسان الدولة العلية، وكاتب سرها"[4], وهو أيــضاً شاعر بليغٌ وصاحب خط رائِع على حد قول ابن سعيد: "تصرفَ في أنواع البلاغــة وســائر فنونها, وأتى بأبكارِ المعاني المختَرعة ومنتخَبِ عيونها؛ يفتح مــن خطّــه الرائــق أزهــار الرياض...."[5].

وله مع ابن سعيد جلساتُ أُنسٍ وسمر, تبادلا فيها الشعر وغيره, ومنها قولُ ابن سعيد: "ودخلتُ بتونس مع أبي العباس الغساني حماماً, فنظرنا إلى غلمان في نهاية الحسن ونعومــة الأبدان, فقلت مخاطباً له[6]:

(السريع)

دخَلْــتُ حمــاما وقَصدي بِه   تَنْعــيم جِســمٍ فَغَــدا لي عــذاب

قُلْتُ لَظى فاعتَرضتْ حوره   وقُلْــتُ عــدن فَنَــهاني التهــاب

وأنتَ في الفضــل إمام فكُن   في الحكْمِ ممن حاز فصلَ الخطاب

---

(1) وابن الأبار: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي (595-658هـ), قرأ على والده وغيره من علماء عصره, عني بالحديث, وكان عارفاً بالتاريخ, إماماً في العربية, فقيهاً, مقرئاً, إخبارياً, له يد في البلاغة والإرشاد, وله مصنفات كثيرة, وقد كمل الصلة لابن بشكوال, وهو شاعر مجيد؛ ترجمته في: ابن سعيد, اختصار القدح, ص191؛ صلاح الدين الصفدي, الوافي بالوفيات, 283/3؛ الذهبي, سير أعلام النبلاء, 336/23؛ ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب, 295/5.

(2) ابن سعيد, م.س, ص191.

(3) وأبو العباس الغساني: هو الفقيه أبو العباس أحمد بن إبراهيم الغساني, كاتب دولة بني حفص بإفريقية, وشاعر مشهور؛ ترجمته في: ابن سعيد, اختصار القدح, ص12.

(4) ابن سعيد, اختصار القدح, ص12.

(5) ابن سعيد, م.ن, ص12.

(6) المقطعة رقم 13.

فقال[1]:

(السريع)

لا تأمنِ الحمـام في فعـله   فليس ما يأتيه عندي صواب
فمـا أرى أخـدع منه ولا   أكذب إلا أن يكون السراب
يبدي لك الغيد كحورِ الدمى   ويلبس الشـيخَ برود الشباب
ظُـن به النـار فلا جنـةٌ   للحسنِ إلا ما حوته الثـياب

لقد أثرى ابن سعيد ثقافته بتكوين هذه الصداقات مع أهم شخصيات هذه الحقبـة فـي تونس, فاكتسب علماً وأدباً أسهما في صقل شخصيته الأدبية والشعرية.

بعد وفاة ابن جامع سنة (639هـ)، خرج ابن سعيد ووالده من تونس متوجهين إلـى مصر, وكان سلطان مصر حينئذ الملك الصالح نجم الدين بن أيوب (ت 647هـ)[2], فنـزلا الإسكندرية, ثم ترك ابن سعيد والده الذي أنهكه السفر ورحل إلى القاهرة, وهي دار الـسلطنة آنذاك, ولكنه اضطر إلى العودة إلى الإسكندرية بعد اشتداد المرض على والده، الـذي وافتـه المنيةُ في شوال سنة (640هـ), ثم عاد إلى القاهرة التي كان له فيها مطارحاتٌ ومـساجلاتٌ مع عدد من شعرائها البارزين آنذاك[3].

مكث ابن سعيد في القاهرة ثلاثَ سنوات حتى سنة (643هـ)[4]، استطاع خلالها أن يدخلَ مجتمع مصر الأدبي، وأن يكون صداقات كثيرةً ووثيقة مع أهم أدبائها وشعرائها، ممـا أضفى عليه شيئاً من الأنس بعد الوحشة التي حطتْ عليه بعد وفاة والده, ورفيقه في الـسفَر, وأنيسه في الغربة[5].

([1]) المقري، نفح الطيب، 56/3.

(2) والصالح بن أيوب: هو الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل بن العادل محمد, (603-647هـ), له سير وأوصاف جميلة وحميدة, وهو زوج شجرة الدر, كان ممدوح الصفي الحلي, بنى المدرسة الصالحية بالقاهرة, توفي في إفريقية, وكان ذلك ليلة النصف من شعبان سنة (647هـ)؛ ترجمته في: صلاح الدين الصفدي, الوافي بالوفيات, 35/10؛ الذهبي, العبر, 193/5؛ العاصمي, سمط النجوم العوالي, 16/4-17.

(3) ينظر: م.س, نفح الطيب, 96/3.

(4) ينظر: محمد الأنصاري, م.ن, ص75-76.

([5]) المقري، م.س، 99/3.

وممن لقيهم ابن سعيد في القاهرة؛ ابن أبي الإصبع[1], وسيف الدين المشد[2], وغيرهما[3]. كما سيظهر معنا في شعر ابن سعيد.

ثم يرحل ابن سعيد في هذه السنة إلى حلب، بصحبة كمال الدين بن العديم (ت660هـ)[4], الذي أدخله على الملك الناصر يوسف صاحب حلب (ت659هـ)[5], فما لبث أن تعرفَ بالناصر، حتى أصبح من مجالسيه الذين يستمع إليهم ويحادثهم في جلساته العلمية والشعرية، ويداعبهم ويتبادل معهم النوادر, كما أن الملك الناصر خلع عليه، وأغدق عليه بالعطايا وتواقيع الأرزاق ما لا يوصف[6].

من الواضح أن ابن سعيد قد ارتاح في حضرة الملك الناصر, وأكثر ما يدل على ذلك تلك القصائد التي أثنى عليه ومدحه بها, ومنها قوله[7]:

(الكامل)

الناصر الملك الذي عزماتُه	أبدا تكون مع العساكرِ عسكرا
ما كان أنبا الفتح يأزم لامه	والجمع من أعدائه متكسرا
الدين أصلحه وعم صلاحه الدنيا	وأصبح ناصرا ومظفرا
فكأن كُنْيتَه غدتْ موضوعه	من ربه والوصفُ منه مقررا

([1]) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن محمد الأديب (ت 654هـ)، ويكنى بأبي محمد العدواني ، ويعرفُ بابن أبي الإصبع المصري الشاعر المشهور الإمام في الأدب، وشعره رائق، عاش نيفا وستين سنة. ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 5/19.

([2]) هو علي بن عمر التركماني الياروقي (602-656هـ)، له ديوان مشهور، تولى الدواوين في عصر الملك الناصر في دمشق، كان ظريفًا طيب العشرة، تام المروءة، روى عنه الدمياطي، والفخر إسماعيل وغيرهما. ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 234/21؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 275/48؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 112/2.

(3) ينظر: المقري, نفح الطيب, 272/2.

(4) وابن العديم: هو كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي المشهور بابن العديم, (588-660هـ), زار دمشق وبغداد والقدس والقاهرة, درس وأفتى وصنّف, وجمع تاريخاً لحلب, ناب في سلطنة دمشق, وكان خطّه في غاية الحسن, وكانت له معرفة تامة بالحديث والتاريخ, وأيام الناس؛ ترجمته في: اليافعي, مرآة الجنان, 158/4؛ ابن تغري بردي, النجوم الزاهرة, 210/7؛ ابن العماد الحنبلي, شذرات الذهب, 303/5.

(5) والملك الناصر هو: يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاي بن الناصر صلاح الدين، هو صاحب حلب ثم صاحب الشام، (627-659هـ)، ولد بقلعة حلب، وكان سمحا جوادا حليما حسن الأخلاق محببا إلى الرعية فيه عدل وصفح ومحبة للفضلاء والأدباء وكان سوق الشعر نافقة في أيامه؛ ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، م.س، 137/29؛ ابن شاكر الكتبي، م.س، 667/2.

(6) ينظر: المقري, نفح الطيب, 273/2.

(7) القصيدة رقم 89 الأبيات 5-8.

وكعادته، يتفاعل ابن سعيد مع الجو الثقافي في كل مكانٍ يحل فيه, ويوطد العديد مـن العلاقات الثقافية والأدبية والشعرية عند السياسيين وغيرهم, فالتقى بابن العـديم، وبالـشهاب التلعفري[1]، وآخرين ممن دارت معهم محاوراتٌ ومطارحات شعريةٌ وأدبيةٌ.

ومن حلب تحول إلى دمشق, فنزل على ملكها توران شاه (ت648هـ ـ)[2]، وحـضر مجالس خلوته, والتقى بمن فيها من أهل الأدب والعلم والشعر, ولم يمكث بها سوى عامٍ واحد, وكان ذلك ما بين (647-648هـ)، لأن توران شاه قد قُتل في تلك السنة. فرحلَ فـي هـذه السنة إلى بغداد، وزار الموصلَ والبصرة[3].

وفي سنة (651هـ), يبدو أن رجاء ابن سعيد قد تحققَ بزيارة الروضة الشريفة، ويدل على ذلك ما نقله القلقشندي عن ابن سعيد، قوله: "سألتُ أهلَ البحرين حـين لقيـتُهم بالمدينـة النبوية سنة إحدى وخمسين وستمائة عن البحرين..."[4]. فجاءت هذه الزيارة لمدينة رسول الله ،صلى الله عليه وسلّم، بعد حجه في مكة المكرمة.

ويظهر لنا من خلال رواية القلقشندي مدى اهتمام ابن سعيد بجمع أكبرِ قدرٍ ممكنٍ من المعلومات في كل مكانٍ يذهب إليه, وحنكته في اغتنام الفرص لتقييد الفوائد العلمية.

اثنتان وعشرون سنةً من الحل والترحال, والعمل والعلم والجمع والتأليف والتصنيف, حتى يدق الحنين قلب الرحالة المغربي، يدعوه إلى العودة إلى تونس, فيمر بحلب مودعاً ولي نعمته الملك الناصر يوسف صاحب حلب، الذي رعاه أحسن رعاية، وأحبه وقربه إليه, فيعـز الفراقُ على الملك الناصر، فيأبى رحيله، إلى أن حضر عنده وأنشده أبياتاً منها[5]:

(السريع)

باللهِ يا أكْـرم من قـد رأتْ	عينَاي بِالْمغْرِبِ والْمشْرِق
انْظُر لِقَولي منْصفـًا مفْكـرا	حينًا وعوقْ بعد أو أطْلق
قَضيتُ خَير الْعمرِ في أرضكُم	فَمتـعوا أهلـي بِما قَد بقي

([1]) هو شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري نسبةً إلى تل أعفر في الموصل (593-675هـ)، شاعر مفلق ومعروف، وله ديوان مطبوع. ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 167/5؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 203/50؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 349/5.

(2) هو توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب (648هـ)، كان نائبا لأبيه على حصن كيفا، عاد إلى المنصورة بعد وفاة أبيه الملك الصالح، وهزم الفرنجة فبايعه الناس واستبشروا به، ولكن سرعان ما قام عليه مماليك أبيه حتى قتلوه. ترجمته في: ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 271/1؛ صلاح الدين الصفدي، م.س، 274/10؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 364/6؛.

(3) ينظر: المقري, م.س, 273/2.

(4) ينظر: القلقشندي, صبح الأعشى, 396/1؛ ابن خلدون, تاريخ ابن خلدون, 118/4.

(5) المقطعة رقم 143.

فيرق قلب الناصر لهذه الأبيات الجميلة, التي فيها من الرقة والاستعطاف مـا يلـين الصخر, ليصل تونس سنة (652هـ)[1].

بعد عودة ابن سعيد إلى تونس اتصل بأميرها الحفصي أبي عبد الله المستنصر، الـذي ذاع صيته في حقلي العلم والسياسة؛ نظراً لاتساع نفوذه وتشجيعه للعلم والعلماء، وأقـام فـي كنفه[2].

وأفاده ذلك بتدوين مشاهداته, وترتيب ما جمعه في رحلته الأخيرة.

مكث ابن سعيد في تونس أربع عشرة سنة, حتى خرج منها متوجهاً مرةً أخرى إلـى المشرق, وكان ذلك سنة (666هـ)، حيث رحل إلى الإسكندرية[3]. فوصلها سنة (666هـ), وأولُ شيء قام به هو السؤال عن أصدقائه وأحبائه, وكان على رأسهم الملك الناصر صـاحب حلب, فعلم أنه قُتل على أيدي التتر الذين ارتكبوا في حلب ما تصم عنه الأسماع, كما قُتل في تلك الحادثة كمال الدين بن العديم[4].

لقد فقد ابن سعيد عدداً من أعز الأصدقاء والمعارف, ولكن لـم يكـن أمامـه سـوى المتابعة والمسير, فلا بد للمصنفات أن تكتمل, وللمشاهدات أن تُسجل, وللـرحلات أن تأخـذ مداها, غير أن كتب التاريخ والمصادر لم تسعفني بمعرفة تفاصيل هذه الرحلة, ولكنني أستنتج أنها كانت باتجاه خراسان, حيث يقول في القدح: "وسار ما بين عبادان وقزوين"[5], فأرى من خلال هذه العبارة أنه اخترق بلاد العجم من جنوبها إلى شمالها.

بعد هذه الرحلة المشرقية الثانية، يعود ابن سعيد إلى تونس سنة (675هـ)[6]، ليقضي فيها ما بقي من سنوات عمره قبل وفاته. ولم تذكر المصادر –التي اطلعتُ عليها- شيئًا عـن حياته خلال هذه الفترة أو المناصب التي تولاها, أو الأدباء الذين لقيهم أو ترجم لهم, ولكنه في هذه الفترة انتهى من كتاب "القدح المعلّى" الذي أهداه إلـى أبـي زكريـا الحفـصي الثـاني (ت675هـ)[7] قبل وفاته, ولكنه بقي بين يدي مؤلفه بعد وفاة أبي زكريا. حيثُ نجد ابن سعيد يضيف إليه بعض التراجم، كابن طلحة الذي يذكر خبر مقتله سنة (681هـ)[8].

---

(1) ينظر: المقري, نفح الطيب, 273/2.

(2) ينظر: محمد الأنصاري, ابن سعيد المغربي, ص80.

(3) ينظر: المقري, م.س, 368/2.

(4) ينظر: المقري, نفح الطيب, 364/2.

(5) ابن سعيد, اختصار القدح, ص3.

(6) ينظر: محسن العيادي, ابن سعيد الأندلسي, ص131.

(7) هو الابن الأكبر لأبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي, ولم أعثر له على ترجمة.

(8) ينظر: ابن سعيد, اختصار القدح, ص114-117.

سادساً- وفاته.

لقد ذكرت المصادر خبرين عن وفاته، هما:

1. ذهب ابن شاكر الكتبي إلى أن ابن سعيد توفي بدمشق في شعبان سنة (673هـ)[1], وهذا الذي ذهب إليه السيوطي أيضاً. فقال: "ومات حادي عشر شعبان سنة (673هـ)"[2].

وبالعودة إلى كتاب "القدح المعلّى"، نجد أن هذه الرواية غير صحيحة, حيث إن ابن سعيد يذكر لنا وفيات سنة (681هـ), فلا يمكن أن يكون قد توفي سنة (673هـ), كما أن ابن شاكر والسيوطي كلاهما مشرقيان، أي أنهما لم يكونا قريبين من ابن سعيد وقت وفاته.

2. وذهب مؤرخون عدة إلى أن ابن سعيد توفي سنة (685هـ)، وعلى رأسهم لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ), فقال: "توفي بتونس، حرسها الله, في أحواز عام (685هـ)"[3], وذهب إلى ذلك أيضاً ابن فرحون (ت799هـ)، حيث يقول: "وتوفي بتونس سنة (685هـ)"[4].

من خلال ما تقدم فإن ما يمكن ترجيحه بشكلٍ كبير هو أن ابن سعيد توفي بتونس سنة (685هـ)[5]، رحمه الله تعالى.

---

(1) ينظر: ابن شاكر الكتبي, فوات الوفيات, 153/2.

(2) السيوطي, بغية الوعاة, 209/2.

(3) ابن الخطيب, الإحاطة, 135/4.

(4) ابن فرحون, الديباج المذهب, 209/1.

(5) ينظر: ابن سعيد, المغرب مقدمة التحقيق, ص178/1؛ ابن القاضي, درة الحجال, 241/3؛ الزركلي, الأعلام, 26/5.

سابعاً- مصنفاته

عاش ابن سعيد خمسة وسبعين عاما، وقد عكف طوال هـذه الحقبـة علـى الـدرس والتحصيل، ثم الجمع والتأليف، وخالط عددا كبيرا من الأدباء والعلماء حسب البيئـات التـي زارها، كما أنه أفاد من المكتبات التي اطلع عليها في مختلف ديار الإسلام، وأقبل على تأليف الكتب المتنوعة، حتى خلف لنا ثروةً كبيرة من المصنفات، ضاع أكثرها، ووصل إلينا القليـل منها.

وقد ظلت هذه المصادر مخطوطة حتى وقت متأخر، وما زال بعضها كذلك، وهنـاك عدد كبير من المصنفات التي لم تصل إلينا ذكرتها مصادر التاريخ والتراجم.

ومن أبرز المصنفات التي وصلت إلينا:

1. المشرق في حلى المشرق

وهو لا يزال مخطوطًا –فيما أعلم-، وقد احتفظت به المكتبة التيمورية، وتحدث فيـه عن جزيرة العرب، وعن مكة المكرمة، والسيرة النبوية، ومشهوري الصحابة، وأنساب العرب وذكر بدء الخلق وأخبار الرسل عليهم السلام.[1] وأتم ابن سعيد هذا الكتاب سنة (645هـ).[2]

2. المغرب في حلى المغرب

وهو كتاب ضخم، اشترك في تصنيفه ستة من علماء الأندلس، كان آخرهم ابن سعيد، وأُلف بالموارثة في مائة وخمسة عشر عاما، وتداول عليه هؤلاء العلماء واحـدا بعـد آخـر يضيفون وينقحون إلى أن تم على يدي ابن سعيد.[3]

ويقع هذا الكتاب في خمسة عشر مجلدا، وقد ألفه لمحيي الـدين محمـد بـن محمـد الصاحب بن ندي الجزري.[4]

وأتم ابن سعيد هذا الكتاب في مدينة حلب سنة (647هـ).

([1]) ينظر: ابن سعيد، المشرق، 2/1، مخطوطة رقم(2532).

([2]) ينظر: المقري، نفح الطيب، 183/3.

([3]) ينظر: المقري، م.ن، 183/3.

([4]) ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، 1747/2.

وقد حقق محمد زكي حسن القسم المصري من الكتاب ونشره سنة (1953م)، وشوقي ضيف القسم الأندلسي وجاء في جزئين ونشره سنة (1953م)، وحقق حسين نصار الجزء الخاص بالقاهرة وهو المسمى: (النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة)، ونشره سنة (1970م).

وللكتاب قيمة تاريخية وأدبية عظيمة، فهو يجمع بين المشرق والمغرب، وهذا جريا على عادة المؤرخين والمصنفين، كما ضم أشعارا كثيرة لشعراء البلدين.

3. المرقصات والمطربات

وهو مقدمة لكتاب (جامع المرقصات والمطربات) الذي شرع ابن سعيد في تأليفه، فلما زاد السؤال عنه وتكرر جعل ابن سعيد هذا الكتاب ليكون عنوانًا للجامع، وقد نُشر هذا الكتاب سنة (1949م) في الجزائر. [1]

4. رايات المبرزين

وهو كتاب انتقاه ابن سعيد من كتاب (المغرب)، حيث يقول في مقدمته: "وسميته (برايات المبرزين وغايات المميزين)، المنتقاة من كتاب المغرب في شعراء المغرب".[2]

وقد أهداه إلى جمال الدين بن يغمور[3] نائب الملك الصالح نجم الدين أيوب في مصر والشام.[4]

وقام المستشرق الإسباني إميليو غراسيا غومز بنشر هذا الكتاب سنة (1942) مع ترجمة باللغة الإسبانية، ثم حققه النعمان عبد المتعال القاضي سنة (1973)، وحققه أيضا محمد رضوان الداية.

([1]) ينظر: ابن سعيد، المرقصات والمطربات، مقدمة الناشر.

([2]) ابن سعيد، رايات المبرزين، ص31.

(3) هو جمال الدين موسى بن يغمور الباروقي، (ت663هـ)، وكان من جلة الأمراء ولي نيابة مصر ونيابة الشام. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 329/6؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 313/5.

([4]) ينظر: ابن سعيد، م.ن، ص17.

5. المقتطف من أزاهر الطرف

وهو كتاب أشعار وقصص ودعابات شعرية، قسمه ابن سعيد إلى اثني عشر قسما، أطلق على كل قسم منها (خميلة)، وقسم كل خميلة إلى طبقات. حققه سيد حنفي حسنين سنة (1978).

6. القدح المعلى في التاريخ المحلى

وصل إلينا مختصرا بعنوان: (اختصار القدح)، قام باختصاره: أبو عبد الله محمد ابن خليل، وحققه إبراهيم الأبياري سنة (1959).

وقد أهداه إلى أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي، وهو كتاب تراجم لشعراء عصره، وترجم فيه لاثنين وسبعين شاعرا، وقد بدأ ابن سعيد الكتاب بترجمته لنفسه.

7. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب

وهو كتاب في تاريخ العرب قبل الإسلام، ويقع في جزئين كبيرين، تحدث فيه ابن سعيد عن العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة، وقد حققه نصرت عبد الرحمن سنة (1982).

8. الغصون اليانعة في شعراء المائة السابعة

وهو كتاب تراجم، إذ ترجم فيه ابن سعيد لستة وعشرين شاعرا من شعراء القرن السابع الهجري، وقد حققه إبراهيم الأبياري سنة (1945).

9. بسط الأرض في الطول والعرض

وهو كتاب في علم الجغرافيا، تحدث فيه ابن سعيد عن كروية الأرض، وقسمها إلى سبعة أقاليم، قام بتحقيقه المستشرق خوان قرنيط خينيس، ونشره معهد مولاي الحسن سنة (1958).

وذكر المؤرخون مصنفات كثيرة لابن سعيد لم تصل إلينا، ككتاب (الرزمة) الذي ذكره ابن فرحون في "الديباج المذهب، قال: "حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم أنه خلف كتابا يسمى "الرزمة" يشتمل على حمل بعير من رزم الكراريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية

والإخبارية إلا الله عز وجل".[1] ولابن سعيد ديوان شعري مرتب على حروف المعجم، وهـو متعدد الأسفار، ولكنه لم يصل إلينا.[2] وله كتاب "الطالع السعيد في محاسن أعلام الكرام بنـي سعيد"[3]، وكتاب "كنوز المطالب في آل أبي طالـب"[4]، وكتـاب "عـدة المـستنجز وعقلـة المستوفز"[5] وغيرها من المصنفات القيمة التي لم يكتب لها الوصول إلينا[6].

([1]) ابن فرحون، الديباج المذهب، 209/1.

([2]) ينظر: المقري، نفح الطيب، 41/3، 67.

(3) ذكره ابن سعيد, اختصار القدح, ص104؛ ابن الخطيب, الإحاطة, 130/4؛ المقري, م.س, 271/2.

([4]) صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 158/22.

([5]) ذكره المقّري، م.س، 126/3. ونقل عنه نصوصا.

([6]) ينظر: محسن العيادي، ابن سعيد الأندلسي، ص257-262.

الفصل الثاني- موضوعات شعر ابن سعيد الأندلسي

أولاً- الوصف.

ثانيا- المدح.

ثالثًا- الحنين والشوق.

رابعا- الإخوانيات.

خامسا- الغزل.

سادسا- الخمريات.

سابعا- الرثاء.

ثامنًا- أغراض أخرى.

الفصل الثاني- موضوعات شعر ابن سعيد الأندلسي

توزع شعر ابن سعيد الأندلسي على ثلاثةَ عشر موضوعا من موضوعات الشعر العربي التي كانت سائدةً في ذلك العصر (القرن السابع الهجري)، وقد قمتُ بتقسيم هذه المواضيع إلى قسمين: الأول، موضوعات رئيسة اهتم بها الشاعر، إذ جاء معظم شعره في ستة مواضيع، هي: الوصف، والمدح، والحنين، والإخوانيات، والغزل، والخمريات، أما القسم الثاني، فقد جاء في موضوعات ثانوية لم يطرقها الشاعر إلا قليلا، وكانت سبعةَ موضوعات، هي: الحكمةُ، والرثاء، والعتاب، والاستعطاف، والسخريةُ، والتكسب، والمفاضلة.

وقد وفقني اللهُ إلى جمع (1091) بيتًا من شعر ابن سعيد الأندلسي، خمسة منها أنصافُ أبيات، وهو عدد قليل إذا ما قورن بما أورده المقري في نفح الطيب عن أن شعره يقع في ديوانٍ كبير.[1]

وقد توزع شعر ابن سعيد الذي تمكنتُ من جمعه على (39) قصيدة جاءت في (664) بيتًا، و(73) مقطعةً جاءت في (287) بيتًا، و(59) نتفةً جاءت في (118) بيتًا، وعشرين بيتًا مفردا، وقد تحدثت عن موضوعات شعر ابن سعيد وفقًا لعدد الأبيات التي قالها في كل موضوع، بدءا بالموضوعات الرئيسة، فكان حديثي على النحو الآتي:

أولاً- الوصف

لقد جاء أكثر شعر ابن سعيد في موضوع الوصف، الذي يمثل الموضوع الأساسي عند الشعراء الأندلسيين، فقد قال ابن سعيد في الوصف ما مجموعه (347) بيتًا، منها: (158) بيتًا جاءت في (14) قصيدة، و(131) بيتًا جاءت في (33) مقطعة، و(54) بيتًا جاءت في (26) نتفةً، و(4) أبيات مفردة. وقد جاءت دراستي لغرض الوصف عنده وفق الآتي:

1. وصف المدن

وصفَ ابن سعيد عددا من المدن المغربية والمشرقية، فوصفَ غرناطةَ، وسبتة، وتونس، وحماة، والقاهرة، ودمشق وغيرها، وسأبدأ بالمدن المغربية كونها الموطن الأصلي للشاعر.

لقد وصفَ ابن سعيد مدينة غرناطة مسقط رأسه، ومهوى فؤاده، فوصفَ ما كان فيها من أيام لهوٍ خالية، وعيشٍ تعشقَه الطرب فكان ألذ أيام عيشه، ولقاءات حميمية ذهبتْ بذهاب

([1]) ينظر: المقري، نفح الطيب، 41/3.

الزمان، كما وصفَ أزهارها ورياضها، وصبا نداها يمرح في رياضها كالخيل، ونسيمها الذي عطر الأرجاء، والأغصان التي تتمايلُ بفعل هذا النسيم الذي سرعان ما أرغمها على الاستسلام لسطوته، ثم هاهو الطل يعم أرجاءها رحمةً بها، أو لربما بكت السماء لما تلقي الطيور من خُطَبٍ بإنشادها فيها، يقول[1]:

(الرمل)

باكرِ اللهـو ومن شاء عتَب	لا يلَـذ العـَيـشُ إلا بالطـرب
ما توانى من رأى الزهر زها	والصبا تمرح في الروض خَبَـب
يا نَسيما عطـر الأرجاء، هل	بعثوا ضمـنَك ما يشْفي الكَرب؟
غَالَب الأغْصـان في بدأتـه	ثم لمـا زاد أعـطـتْه الغَلَـب
فَبكى الطـل عليـها رحمـةً	أو بكى من وعظ طَيرٍ قَد خَطَـب

كل هذا دعا الشاعر إلى شُرب الخمرِ التي استعبدته طوال وقته، ثم يتساءلُ عن هذا العيش الذي سمح الدهر به، وعن تلك الأوقات التي قضاها هناك، ولما انقضت ذهب معها كل النعيم والخيرات، يقول[2]:

(الرمل)

كُل هـذا قد دعاني لِلـتـي	ملَكـتْ رِقي على مر الحقَـب
أي عيـشٍ سمـح الدهر به	كُل نَعمـى ذَهبـتْ لَما ذَهـب

نجد ابن سعيد لم يصف غرناطةَ عينَها بقدر ما يصفُ ما فيها مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وكذلك فعل في وصفه لقرية بنْيونش التابعة لمدينة سبتة بالمغرب، فدعا للشرب ما بين السواقي والسهول مع الفتية والساقي الذي جلب انتباه الجميع، فتهافتوا عليه مثلَ هبوبِ الرياحِ على الرياض، وعانقه الشاعر حتى ترك في خصره أثرا كالوشاح، يقول[3]:

(مجزوء الكامل)

اشْرب على بـنْـيونشٍ	بين السـواني والبِطـاح
مع فتْـية مثْـل النـجو	مِ لهـم إذا مروا جِمـاح
ساقـيـهم مـتَـبـذلٌ	لا يمـنَـع الماء القَراح
كُـل يمـد يـمـيـنَه	ما في الذي يأتي جنـاح

(1) القصيدة رقم 15 الأبيات 1-2، 4، 9-10.

(2) القصيدة 15 الأبيات 11، 22.

(3) القصيدة 46 الأبيات 1-5، 7.

هبـوا عليه كـالـمـا هبتْ على الروضِ الرياح
عانَقْـتُـه حتى تَـركْـ ـتُ بِخَصرِه أَثَرَ الوشَاح

ووصفَ ابن سعيد جبلَ طارق مجيزا لوالده، يقول[1]:

(المجتث)

والده 1. انْظُرْ إلى جبل الْفَتْـ ـحِ راكبا مَتْن لُـج
ابن سعيد 2. وقَد تَفَتـح مثْلَ الـ أَفْنَانِ في شَكْل سرج

فالجبلُ كالمركبِ الذي اعتلى ظهر الموجِ الهائج، وقد تفتح هذا الجبلُ مثل ورق الأغصانِ على شكل سرج، فهو كالسرجِ المحدبِ على ظهر الحصان الجامح.

كما وصف ابن سعيد مدينة تونس بعد عودته إليها سنة (675هـ)، حيثُ إنه زار بلاد الغربِ والشرق، وتوسد المناصب الكثيرة، إلى أن عاد إليها، حيث إمام الناسِ هناك، وهي أقصى ما يتأمله إنسان، أما بقية البلاد فهي تبع لها وتقوم على خدمتها وخدمة إمامها، وهو الخليفة أبو زكريا الحفصي، يقول[2]:

(المتقارب)

ما زِلْتُ أَضرِب في الخَافقَيـنِ أَروم البِلاد وأَرعى الدولْ
إِلى أَن رجعـتُ إِلى تُونُـسٍ محلّ الإِمامِ وأَقْصى الأَملْ
فَقُـلْتُ البِـلاد لِهـذي قـرى وقُلْتُ الأَنَام لِهـذَا خَـولْ

ووصفَ ابن سعيد عددا من المدن المشرقية وعلى رأسها مدينةُ دمشق، فلا يوجد على وجه الأرض مدينةٌ تضاهيها حسنًا وجمالاً، فهي كالجنّة التي تضم كل ما يشتهيه الإنسان، وهي أرض الملذات التي يحلو فيها العيش، ويصفو بها الكدر، ولا أحد يلوم أحدا، يقول[3]:

(البسيط)

أَما دمشْقُ فَما في الأَرضِ مشْبِهها جنـاتُ عدنٍ بِها ما يشْتَهي البشَر
أَرض لَعمرك ما فيها لِمبـتَـذلٍ ذَام يلُـوم ولا في صفْـوِها كَـدر

---

(1) النتفة رقم 43.
(2) المقطعة رقم 149.
(3) القصيدة رقم 99 الأبيات 1-2.

ويظهر أن ابن سعيد قد زار حارة اليهود، التي شكل يوم السبت لأهلها عيدا تُغتفر فيه ذنوبهم، و تعود آمالُهم، فالكل ينتظر مجيء هذا اليوم؛ ليطلب ما دعته إليه نفسه، يقول[1]:

(البسيط)

وكُل سبـت بها عيـد تعـود به آمالُهـم وبـه الـزلاتُ تُغْـتَـفَر
كُل إلى ما دعتْـه نَفْسـه عجِـلٌ كأنما فُرصـةٌ قد جاء يبـتَـدر

والميادين فيها خُضر كالديباج قد بسطت، والماء من حولها كأطراف تلك البسط، والنعيم فيها واسع ومطول على عكس البلاد الأخرى فهو قصير ومختصر، والأغصان ترقص طربا لصوت الطيور، والروائح الطّيبة تتصاعد من أزهارها، والماء ينحدر من كل مكان فيها ويتفجر، كأن موسى، عليه السلام، يفجر العيون فيها، يقول[2]:

(البسيط)

حيثُ الميادين كالديباج قَد بسطَـتْ خُضرا جرتْ حولَها من مائِها طُرر
بها النعيم غَـدا للنـاس مكْتَمـلاً مطَولاً وهو في الآفاق مخْتَـصر
القُضب راقصةٌ والطيـر صادحةٌ والنشْـر مرتَفـع والْماء منْحـدر
وقَد تَجلتْ من اللـذات أَوجهـها لكنهـا بِظلال الدوح تَسـتَـتـر
وكُـل واد بِـه موسـى يفَجـره وكُل روضٍ على حافَاته الخَضـر

وفي دمشقَ أيضا ينسى الإنسان الغريب وطنَه، فهي الجنّة التي ينسى بها الشّخص بلاده وأحبابه، فالناس فيها صنفان لا ثالثَ لهما: إما محب، أو حبيب، يقول[3]:

(مجزوء الكامل)

أَمـا دمشْـقُ فَجنـةٌ ينْسى بِها الوطَن الغَرِيب
انْظُر بِعينك هلْ تَرى إِلا محـبـًا أَو حبِـيـب

وبعد كل هذا، يدعو ابن سعيد الناس إلى زيارة دمشقَ، والمكوث فيها، حيثُ هناك الكأس والوتر، وكل ما تشتهيه الأعين، وتلذ سماعه الأذن، ويا حبذا إطلاقُ العنان للفكر ما

([1]) القصيدة 99 الأبيات 3-4.
([2]) القصيدة رقم 99 الأبيات 5-9.
([3]) المقطعة رقم 17 الأبيات 1، 3.

بين الرياض والأنهار في وقت الأصيل تحت خيوط الشمس الذهبية، ويرى الشّاعر أن الذي يلوم في هذه اللذّات ما هو ببشر، يقول[1]:

(البسيط)

خيم يجلـ قَ بين الكـأسِ والوتَرِ | في جنة هي ملْء السمـع والبصرِ
ومتع الطرفَ في مرأى محاسنه | وروض الفكْر بين الروض والنهرِ
وانظُر إلى ذَهبيـات الأصيل بها | واسمع إلى نَغَمات الطيرِ في الشجرِ
وقُلْ لمـن لام في لذاتـه بشَـرا | دعني فإنك عنْدي من سوى البشَرِ

لقد أطنب الشاعر في الثناء على دمشق ووصف محاسنها، حتّى رأى أنه لا مجال لوصف تلك المحاسن أو إحصائها، ولو نظَر الإنسان إليها بألف عين، يقول[2]:

(الوافر)

وإني لَو نَظَـرتُ بِألْف عينٍ | لَما استَوفَتْ محاسنَها العيون

لقد أجملَ ابن سعيد كل ما يمكن أن يقالَ عن هذه المدينة في هذا البيت الرائع، الذي أوجز به فشملَ كل شيء وأحسن.[3]

ووصف ابن سعيد مدينة حماة، داعيا للمناظر التي على جانبي نهرها العاصي بالبقاء، فهي تسلب الإنسان بكل أحاسيسه وتفكيره، وفيها الحمام يغني، والخمائلُ تميل طربا له، ومعالمها زاهيةٌ تُلهم الشاعر الوصفَ دون أن يجهد نفسه بالتّصوير والتفكير، يقول[4]:

(الطويل)

حمى اللهُ من شَطي حمـاةَ منَـاظرا | وقفْتُ عليها السمع والفكْر والطرفَا
تُغَـنـي حمـام أو تَميـلُ خَمـائِـلٌ | وتُزهى مبانٍ تَمنَح الواصفَ الوصفَا

إن هذه المناظر تدعو الشاعر إلى الخروج عما هو عليه من محافظة وتصون إلى الشربِ واللهوِ والمتعة، فلا يسلم من اللائمين والمعترضين، لكن جواب الشاعر يأتي مفحما

([1]) المقطّعة رقم 108.

([2]) البيت المفرد رقم 179.

([3]) ويبدو هذا البيتُ جزءا من قصيدة سقطت بقيةُ أبياتها، حيث يظهر من خلال أوله أنه سبق بأبيات أخرى عن المدينة، كما أنّه لم يذكر اسمها في هذا البيت، وعرفتُ مما سبقه من كلام أنّه يتحدث عن دمشق.

([4]) المقطّعة رقم 126 الأبيات 1-2.

للجميع، فإذا كان النّهر فيها متمردا عاصيا –أي نهر العاصي-؛ فكيفَ لا يحاكيه الشاعر تمردا وعصيانًا؟ يقول[1]:

(الطويل)

يلُومون أَن أَعصي التصون والنهى ... بِها وأُطيع الكَأس واللهـو والقَصفَا

إِذا كان فيها النهر عاصٍ فَكَيـفَ لا ... أُحاكيه عصيـانًا وأَشْربها صرفَا

والشاعر لا يحاكي النهر فقط؛ بل يحاكي النواعير شدوا وغناء، ويغرفُ الخمر كما تغرفُ هي الماء، بل يتفوق عليها في الرقص محاكاةً لحركتها، وهي أيضا كالإنسان المصاب الذي يئن، وتذري الماء كما يذرفُ المصاب الدموع، يقول[2]:

(الطويل)

وأَشْدو لَدى تِلْكَ النـواعيـرِ شَدوها ... وأَغْلبـها رقْصـًا وأُشْبِهـها غَرفَا

تَئِـن وتُذْرِي دمـعـها فَكَـأَنـهـا ... تَهيـم بِمـرآها وتَسأَلُها العـطْـفَا

أما القاهرة: فوصفَ متنزهاتها ورياضها، ومنها: أرض الطبالة والجزيرة وقلعتها وبركة الفيل.

ويصفُ أرض الطبالة، التي دعا لها بالسقيا بعد أن كستْ الأنوار رياضها، وهي تتباهى بمياهها كما تتباهى العروس بعقودها وأقراطها، يقول[3]:

(الطويل)

سقَى اللهُ أَرضا كُلما زرتُ روضها ... كَساها وحلاها بِزِينَته القَـرطُ

تَجلتْ عروسا والميـاه عقُـودها ... وفي كُل قُطْرٍ من جوانبِها قُرطُ

ووصف ابن سعيد بمصر الجزيرةَ الصالحية التي بناها السلطان نجم الدين أيوب، فالمناظر فيها مثل النجوم التي تتلألأ في السماء، كما وصف قلعتها التي يتفجر منها الماء راسما شكل الهلال، يقول[4]:

(الطويل)

تَأملْ لِحسـنِ الصالِحيـة إِذْ بدتْ ... منَاظرها مثْـلَ النجـومِ تَلالا

ولِلْقَلْعة الغَـراء كَالبـدرِ طَالِعـًا ... تَفَجر صدر المـاء عنْه هلالا

([1]) المقطّعة رقم 126 الأبيات 3-4.

([2]) المقطّعة رقم 126 الأبيات 5-6.

([3]) النتفة رقم 119.

([4]) المقطعة رقم 151 الأبيات 1-2.

كما صور ابن سعيد التفافَ النيل من يمينها وشمالها على شكل حرف الدال بالمشغوف الذي يروم وصالَ حبيبه، ويعانقه من فرط الشّوق والحسن، يقول[1]:

(الطويل)

وواقَى إليها النيلُ من بعد غَايَـة | كما زار مشْغُوفٌ يروم وِصالا
وعانَقَها من فَرط شَـوق بحسنها | فَمد يمينـًا نَحـوها وشمـالا
جرى قادما بالسعد فاخْتَط حولَها | من السـعد إعلامـًا بِذَاك دالا

ووصف الجزيرةَ ثانيةً، حيث بدا سورها كالثغر الأبيض في منتصف الليل لانعكاس البدر عليه وكأنّه يريد تقبيله، وتشكل الأنوار والمصابيح على السور منظرا رائعا بعد انعكاس صورتها في ماء النيل، فإذا نظرتَ إلى انعكاسِ البدرِ عليه حسبته مرصعا بالفضة، وإذا نظرتَ إلى المصابيح حسبته مرصعا بالذهب، يقول[2]:

(الكامل)

انْظُرْ إلى سورِ الجزيرة في الدجى | والبدر يلْثُم منْه ثَغْـرا أَشْنَـبا
تَتَضاحـك الأنْـوار في جـنَـباته | فَتُرِيك فَوقَ النيل أَمرا معجِـبا
بيـنَا تَراه مفَضـضـًا في جانبٍ | أَبصرتَ منه في سواه مذْهـبا

ورسم ابن سعيد صورةً رائعة لبركة الفيل بالفسطاط، التي أحاطت بها المناظر كما تُحيطُ الأهداب العين، ثم أدخل هذه الصورة في صورة أخرى، فجعل هذه الأهداب كواكبا تدور في فلك القمر وهو العين أو البركة، يقول[3]:

(البسيط)

انْظُرْ إلى بِركة الفيل التي اكْتَنَفَتْ | بها المنَاظر كالأهدابِ للْبصرِ
كأنمـا هي والأبصـار تَرمقُـها | كواكب قَد أَداروها على القَمرِ

وأثناء وجود ابن سعيد في العراق يذكر قرية قُطربلَ التي اشتُهرت بخمرها، ويذكر الأيام الطّيبة التي قضاها فيها حين دخل ديرا للنصارى بعد أن جذبته رائحةُ الخمر، وقُدمت له

---

(1) المقطّعة رقم 151 الأبيات 3-5.

(2) المقطّعة رقم 21 الأبيات 1-3.

(3) النتفة رقم 107.

خمر في كأس مستطيل شُعاعها يزيح الليل لشدة صفائها، إضافة إلى مفعولها القوي الذي يصرع المرأ بالتذوق دون الشرب، يقول[1]:

(الخفيف)

أي حالٍ حالٌ يَأطْيـب عيـشٍ حين سرنَا في طيـبة ووقَارِ

وهدانَا شَـذًى من الديرِ دارتْ كأْسه قبلَ حث كأسِ العـقَارِ

قُلْتُ: ما هذه؟ فَقَـالَ شُمـوس سَـروها بِظُلْـمة من قَـارِ

ثُم وافَى بِسـاطعٍ مستَـطيـلٍ يتْرك الليـلَ في رِداء النهارِ

لم نُطقْ أَن نَزِيد شَيئًا على الذو ق وبِتْنَا صرعى على الأزهارِ

لقد اقتضى الحالُ في هذه الأبيات أن يتحدث الشاعر عن الخمر لا عن قطربل، حيث إن الخمر هي أكثر ما يشتهر في هذه القرية، فابن سعيد يصفُ كل مدينة بحسب ما فيها من رياض وحدائق أو قلاع أو أنهار، أو مجالس يقضيها فيها أو خمور، ما جعله في كثير من الأحيان يخرج عن موضوع الوصف الحقيقي وهو وصف المكان نفسه.

(1) القصيدة رقم 104 الأبيات 3-4، 7-9.

2. المائيات والأودية

وصف ابن سعيد كثيرا من المسطحات المائية مثل: الخلجان، والأنهار، والأودية. فوصفَ الخليج الذي بإشبيلية، بأن سفحه كجناحِ الطائرِ الذي جرحته ريح الصبا، فهو يئن كلما ارتطمت به أمواج الخليجِ وهبت ريح الصبا، يقول(1):

(الكامل)

وانْظُرْ إلى سفْحِ الخَليجِ كَطائِرٍ ... لَقي الصبا من موجِه بجناحِ

جرح الصبا أعطافَه فاسمع له ... في الشطِّ أنةَ مثْخَنٍ بجراحِ

ثم يصفُ الخليج الذي بين مصر والقاهرة، ولا ينصح أحدا بركوبه إلا إذا حل الظلام، وكان الناس نياما، حيث لا يأتيه نهارا إلا الأرذلون، يترامى الكلام بينهم كما تترامى السهام في المعركة، يقول(2):

(مخلع البسيط)

لا تَركبن في خَليجِ مصرٍ ... إلا إذَا أُسدلَ الظلام

فَقَد علمتَ الذي عليه ... من عالمٍ كُلهم طَغَام

صفان لِلْحربِ قد أطَلا ... سلاح ما بينَهم كَلام

يا سيدي لا تَسر إلَيه ... إلا إذَا هوم النيام

ويرسم ابن سعيد لهذا الخليج وقت الليل صورةً رائعةً، حيثُ السرج المنيرةُ في وسطه قد امتدت على سطح الماء كأنها الدنانير، ولكن هيهات أن يصلَها أحد، ويصور المباني من حوله قد وقفتْ لخدمته وهو ممتد أينما شاء وكيفما شاء، يقول(3):

(مخلع البسيط)

والسرج قَد مددتْ عليه ... منْها دنَانير لا تُرام

وهو قَد امتَد والمباني ... عليه في خدمة قيام

ومن المسطحات المائية التي وصفها ابن سعيد نهر إشبيلية، حيث وصفه مشاركةً مع ابن سهل الإسرائيلي فأغصان أشجاره تزهو بزهورها، وتستميلُ الإنسان طربا، وعليها الأطيار تتغنى بأصوات كأنها السجع، والأغصان تحتها تمرح، والريح تُدرج مياه النهر حتى

---

(1) المقطعة رقم 63 الأبيات 3-4.

(2) القصيدة رقم 172 الأبيات 1-4.

(3) القصيدة رقم 172 الأبيات 6-7.

أصبح كالدرج نازلاً، وشجر الأنشام على جانبيه مثلَ أعلامٍ الخز السمراء –لشدة اخضرارها- فوق الرماح، يقول[1]:

(الكامل)

لا سيما والغُصـن يزهو زهره | ويهـز عطْـفَ الشاربِ المرتاحِ
وقد استَطار القَلْـب ساجِعِ أيكةٍ | من كُل ما أشْكُـوه لَيـس يصاحِ
الغُصن يمرح تَحتَه والنهـر في | قَصـف تُـدرجـه يـد الأرواحِ
وكأنما الأَنْشام فَـوقَ جنـابِه | أَعـلام خَـز فَـوقَ سمـرِ رماحِ

ومياه النهر تتدافع وشجر الأنشام، وهما في عراك مستمر لا ينتهي، فمياه النهر جارية، وأشجار الأنشامِ مائلة تتصدى لها، يقول[2]:

(الكامل)

لا عَرو أن قامتْ عليه أسطُرا | لمـا رأتْـه مـدرعًـا لِكـفَـاحِ
فإذا تتَـابع موجـه لِدفاعهـا | مالَتْ عليْـه فظَـل حاْـفَ صياحِ

ووصفه أيضا في مقطّعة أخرى، حيث تذكره عندما رأى نيلَ مصر، فالمناظر هناك كالنجومِ التي تلمع في السماء، وفي كل شط له منظر كاملٌ متكامل، لا يحتاج الناظر أن يشيح نظره حتى يكتمل المنظر، وهو نهر هادئ لا تيار فيه، وآمن لا تماسيح فيه، يقول[3]:

(الكامل)

يا نيلَ مصرٍ أين حمص ونَهرها | حيثُ المناظر أنْجم تَلْتـاحِ
في كُل شَط للنـواظرِ مسـرح | تَدعو إليه منازِح وبِطـاحِ
وإذا سبحتُ فلَسـتُ أسبح خائِفًا | ما فيه تَيـار ولا تمسـاحِ

ويذكر نهر شنيل بغرناطة واصفًا إياه بالصحيفة البيضاء، كتب النسيم العليلُ أسطُره عليها، والغصون مائلة عليها تقرؤها استحسانًا وإعجابا بهذا المنظر الرائع، يقول[4]:

(المنسرح)

كأنما النهـر مهـرقٌ كُتبـتْ | أسطُـره والنسـيم منْشئُـها

---

(1) قصيدة رقم 61 الأبيات 2-3، 6-7.

(2) قصيدة رقم 61 الأبيات 8-9.

(3) المقطعة رقم 52.

(4) النتفة رقم 8.

لما أبانَتْ عن حسنِ منْظَـرِه   مالَتْ عليها الغُصون تَقْرؤُها

ويصفه في نتفة أخرى ووجه النهر يقابلُ وجه الهلال، كأنه يقرأُ أسطاره، ولما كان النهر كالمعصمِ الذي غطاه الصبا بالثوبِ الحسن؛ كانَت صورةُ الهلال سوارا في ذلك المعصم، يقول[1]:

(الكامل)

انْظُر لِشنيلٍ يقَابِلُ وجهَـه   وجه الهلال كقَارِئٍ أسطَـاره

لما رآه معصما قَد زانَـه   وشْي الصبا ألْـقَى علَيه سواره

كما وصفَ ابن سعيد نهر النيل في مصر، فهو يمتد في مدينة الفسطاط كالعقد، والمراكب تصطف على سطحه كسربِ طيورِ القطا التي تكاد تلامس الأزهار، والموج فيه يعلو وينزل، ويدفع بالحجارة كأنها أحجار النرد، يقول[2]:

(الطويل)

نَزلْنَا من الفُسطَاط أحسن منْـزِلٍ   بحيثُ امتداد النيـل قَد دار كالْعقْـد

وقَد جمعتْ فيه المراكب سحـرةً   كسربِ قَطًا أضحى يرِف علَى ورد

وأَصبح يطْفُو الْموج فيه ويرتَمي   ويطْرب أحيـانًا ويلْعـب بِالنـرد

والنيلُ ماؤه عذب حلو كريق من يحبها الشاعر، والماء فيه يمتد ويزيد وينقص، فهو عند مده كالورد، يقول[3]:

(الطويل)

حـلا ماؤُه كالريق ممـن أُحبـه   فَمدتْ علَيه حلـةٌ من حلَى الخَـد

وقَد كان مثْلَ النهرِ من قَبـل مده   فَأَصبـح لَمـا زاده المـد كالْورد

([1]) النتفة رقم 86.

([2]) المقطعة رقم 83 الأبيات 1-3.

([3]) المقطعة رقم 83 الأبيات 4-5.

إلى جانب المسطحات المائية التي وصفها ابن سعيد وصف الأوديةَ وما فيها من أشجارٍ وأطيارٍ وغيرها، فوصف وادي الطلح وما فيه من ريح الصبا التي لقيها في زمان صباه، والأغصان قد مالت، والزهر يبث صباه مطلقًا رائحته العطرة عبر هذا الصبا، وهو يعجب لانفراد الطيور بألحانٍ جميلة تُطرب أُذن السامع، قال[1]:

(السريع)

سائِلْ بِوادي الطـلْحِ ريح الصبـَا	هلْ سخرتْ لي في زمانِ الصبا
واذكُـر بِوادي الطـلْحِ عهـدا لَنا	للهِ ما أحـلـى وما أطـيـبا
بِجـانبِ العطـف وقد مالَـت الـ	أغصان والزهر يبـث الصبا
والطيـر مازتْ بيـن ألْحـانهـا	وليس إلا مـعـجِـبا مطْـرِبا

ووصف ابن سعيد وادي رية، حيثُ إن الحسن ملازم للمكان لا ينقطع عنه، والماء والظل فيه يدعوان لجلسات الأنس وشربِ الخمر، يقول[2]:

(الوافر)

بِـوادي ريـة عـرج فَإني	رأَيتُ الحسن عنْه لا يميلُ
وهات الخَمر صرفًا دون مزجٍ	بِحيثُ الماء والظل الظليلُ

وفي مقطعة أخرى يصف الخليج بإشبيلية، فسفحه كالطائرِ المحاق الذي يلقى الصبا بجناحيه، فجرح الصبا جناحه، فلا تسمع له في شاطئه إلا أنين الجريح المثخنِ بالجراحِ، ويعني صوت هدير الموج، يقول[3]:

(الكامل)

وانْظُر إلى سفْحِ الخَليـجِ كَطائِرٍ	لَقي الصـبا من موجِـه بِجنـاحِ
جرح الصـبا أَعطَافَه فَاسمع لَه	في الشـط أَنـةَ مثْخَـنٍ بِجِراحِ

وفي مقطعة أخرى يرسم ابن سعيد صورةً رائعةَ الجمال لوادي المنصورة في لورقة بالأندلس، بعد أن بدأ الشاعر الأب، فأجاز ابن سعيد وتمم فأحسن، فوصف هذا الوادي الذي كانت تلتقي فيه رؤوس الأسنة ما بين الروم والمسلمين، قال[4]:

---

(1) قصيدة رقم 20 الأبيات 1، 8-10.

(2) المقطعة 160 الأبيات 1-2.

(3) مقطعة رقم 63 الأبيات 3-4.

(4) المقطعة رقم 178.

(الطويل)

تَرى الآلَ فيـها خَافقـًا متَعطـشًا	يمـد إلى لَفْحِ الهجيـر لِسانَا
لَبِستْ بِها شَمس الظهـيرة حلـةً	مذَهبـةً حيثُ الهجيـر كَسانَا
وقَد ثَار من وقْعِ السنَابِك قَسطَـلٌ	تَخَالُ لِتـلْك النـارِ منْه دخَانَا
ولا سمـع إلا وهو سـامٍ مذَلـلٌ	يراقب أَن يلْقَـى الحمام عيانَا

فالحراب قد ارتفعت وعلَتْ في وسط الحر الشديد تمد ألسنتها متعطشةً للدماء، وشمس الظهيرة قد كست المكان حلةً ذهبيةً، والأرض مشتعلةٌ من شدة الحر، فتحسب غبار الخيل دخان تلك النار المستعرة، ولا يجد فارس فيها إلا وقد استعد للقاء الموت.

لقد وصفَ ابن سعيد الخلجان، والأنهار، والأودية، فذكر ما فيها من أشجارٍ وأغصانٍ، وأزهارٍ، وأطيار، ومراكب، وحيوانات، وهو في كثير من الأحيان يلتقطُ للمكان صورةً كاملةً واضحة، وفي أغلب الأحيان كانت هذه الصورة تفيض بالحيوية والحركة، وفي بعض الأحيان كانت الصورةُ هادئةً ساكنة، تبث في نفس القارىء ما كان يعتري الشاعر من هدوء وراحة، ونلاحظُ في أحيان أخرى أن الشاعر انشغل عن وصف الوادي أو النهر بوصف ما فيه من المناظر الطبيعية.

3. المجالس

كان للمجالسِ عند ابن سعيد حظ في شعره، فوصفَ مجالس الأنس ومجالس اللهو والشرب، وليس هذا بغريبٍ، وإذا ما تناولنا دواوين الشعر الأندلسي نجد أنه لا يكاد يخلو واحد منها من شعر وصف المجالس، غير أن الأسلوب قد يختلفُ من شاعرٍ إلى آخر، وابن سعيد واحد من هؤلاء الشعراء.

لا يكاد مجلس من مجالس ابن سعيد يخلو من شرب الخمر أو حتى ذكرها، كما أن من يقعدون في هذه المجالس مسلوبو المروءة، ليس لديهم شيء يخشون عليه، هذا ما جعلهم يأخذون أكثر الحرية وأوسعها، فهم إذا شربوا لم يتستروا، وكأن فسادهم إصلاح، يقول[1]:

(مجزوء الكامل)

طاب الشراب لِمعـشَرٍ	سلبوا المروءةَ فاستَراحوا
لا يعـرِفون تَسـتـرا	السكْـر عنْـدهـم مبـاح
متَهتـكون لَدى المنـى	وفَسادهـم فيـها صـلاح

(1) القصيدة رقم 55 الأبيات 1-3.

أما الساقي فقد كان دائما محط انتباه ابن سعيد، الذي كان يلاطفه ويغازله، فالساقي في هذا المجلس متبذل، يميل بين الأيادي مثلَ الغصنِ الذي يميلُ به الصبا، يحقق لهم ما يتمنونه منه، ولا يأتي بشيء إلا أن يكون جديدا ذا طعمٍ جديد، يرتشفُ الشاعر من ثغره قابضا بعضده على خصره، حتّى ترك على خصرِه أثرا كأنه الوشاح، يقول(1):

(مجزوء الكامل)

ساقيـهم مـتَـبـذلٌ	هلْ يمنَع الماء القَـراح؟
غُصن يميلُ به الصبا	ردتْـه طَـوع الراحِ راح
طَوع الأماني كُـل ما	يأتـي به فهـو اقْتـراح
ما زِلْتُ أرشـفُ ثَغْره	وعلَيه من عضدي وِشاح

كما تناول ابن سعيد في وصف المجالس ما فيها من أزهارٍ وأغصانٍ تستميلُ عقولَ وقلوب الناظرين، فها هو في مجلسٍ آخر يدعو الناظرين إلى السجود لتلك الأغصان والأزهار، ومجاراة الأوراق والأغصان في حركتها طربا لها، يقول(2):

(البسيط)

إذَا الغُصـون غَدتْ خَفاقَةَ العـذَبِ	فَاسجد هديتَ إلى الكاسات واقْتَرِبِ
وطَارِحِ الورقَ في أوراقـها طَربا	ومِلْ إذَا مالَت الأغْصان من طَربِ

ولا أعتقد أنه قصد بالسجود سجود الصلاة؛ وإنما أراد من ذلك التعظيم والإعجاب بتلك الأغصان والأزهار.

إن هذا المنظر الرائع قد دعا الشاعر إلى استجلاب الخمر في كأسها الذهبية، يقول(3):

(البسيط)

وانْهض إلى أُم أُنْسٍ بِنْت دسكَرة	تُجلى علَيـك بِإِكْـليـلٍ من الذهبِ

لقد جمعت زينُة الدنيا وزخرفها في هذا المنظر، الذي رسمت لمساته أناملُ السحاب، متأنيةً ومتأملةً حتّى كان أحسن صنع، كيف لا؟ والأزهار تُحدق في الناظرين مثل العيون التي أخذت كُحلها من الشمس، يقول(4):

---

(1) القصيدة رقم 55 الأبيات 4-6، 8.

(2) المقطعة رقم 37 الأبيات 1-2.

(3) المقطعة رقم 37 البيت الثالث.

(4) المقطعة رقم 37 الأبيات 4-5.

(البسيط)

وانْظُرْ إلى زِينَة الدنْيا وزخْرفِـها   في روضة رقَمتْها أَنْمـلُ السحبِ
وللأزاهـرِ أَحـداقٌ مـحـدقَـةٌ   قَد كحلَتْـها يمين الشمسِ بالذهبِ

ويتحدثُ ابن سعيد عن مجلسٍ آخر، يجتمع فيه بصاحبيه أبي العباس الغساني وابن يامن، الّذين شربوا وطربوا حتى صارت أطراف الرياحين منادلاً لهم أثناء شُربهم، والتي كانت تفوح منها رائحةٌ تفوق رائحة المسك، كما أن هذه الرياحين تزداد طيبا عند طيها، ويوازن ابن سعيد بين من يأخذون من أعراف الجياد منادلاً، وبين من منادلهم أطراف الرياحين، يقول(1):

(البسيط)

مَنَادلُ الشـربِ أَطْرافُ الرياحينِ   لَم يعلُـها درن بلْ مسـك دارِين
تَنَاولَتْه يـد النـدمانِ فَاكْتَسـبتْ   بالطـي نَشْـرا لَه ما زالَ يحييني
لا كان من قَالَ أَعرافُ الجياد لَنَا   منَـادلٌ فَهو مجنُـون المجـانين
فَللشـياطيـنِ كانَتْ تلْك في قـدمٍ   بيـن القـفَـارِ وهذي للسـلاطينِ

فالفرق بين أصحاب تلك المنادل من أعراف الجياد، وبين أصحاب هذه المنادل من أطراف الرياحين هو الفرق بين الشياطين والسلاطين، وفي هذه المفارقة إجحافٌ وظلم، ولا عذر هنا للشاعر إلا صفو المجلس ونشوته.

لقد جمع هذا المجلس الأشتات من بعد التّفرق في مكان لا يكون إلا للملوك، فيه المدامةُ والأنس والألحان، يقول(2):

(البسيط)

في مجلسٍ جمع الأَشْتَاتَ من نعمٍ   في دارة الملْك لا في ديرِ عبـدونِ
ركَائِب الأُنْسِ فيـه من مدامتـنَا   تُحـدى إلَيـنَا بِأَنْـواع التـلاحينِ

إضافة إلى الشرب واللهو في هذا المجلس، وصف ابن سعيد الشموع التي شاركتهم أُنسهم، فهي تضحك بضحكهم، وإذا زاد ضحكها صار بكاء، حتى أصبحت بقطراتها السائلة

---

(1) القصيدة رقم 181 الأبيات 1-4.

(2) القصيدة رقم 181 الأبيات 5-6.

على أطرافها كالعرائس البيضاء زينت نفسها بنفسها، والشعلة في أعلاها كالتاج الذهبي الذي تلبسه العروس، وقطرات الشمع السائحة كالدررِ تُزينها، والكل معجب بها، يقول[1]:

(البسيط)

والشمع يضحك أُنْسا من تَجمعنَا | وشدةُ الضـحك تُبـكيه إلى حين
أمستْ عرائِس تُجلى في منَابِرها | من نَفْسها برزتْ في حسنِ تَزيينِ
فالتاج من ذَهبٍ والْعقْد من دررٍ | والكُـل منْـها بدا في كُل تَحسينِ

ووصف ابن سعيد مجلسا لفخر الدين الدامغاني ما بين نهر الأبلة ونهر معقل في البصرة، فالمكان برمته حلةٌ قد حل بها الجود كله، وأمها الجميع، والمناظر فيها بدور تبدت أو أهلة دارت، ومن يتوجه إليها يلقى المجد هناك، يقول[2]:

(المجتث)

ما بين نَهرِ الأبله | ونَهرِ معقَـل حله
قَد حلها كُل جود | وأمهـا كُل مـله
بدتْ لَديها بدور | دارتْ علَيها أهله
يمم ذُراها لِتَلْقَى | بِأُفْقها المجد كُله

وابن سعيد يدعو إلى الإقبال على الملذات بالبصر والسمع كله، فلينظر المرء إلى خميلة أو نهرٍ أو خد، وليسمع ما يريد من الأحاديث أو الأغاريد، يقول[3]:

(الطويل)

ولا لَحظَ إلا رائع في خَميلَة | ونَهرٍ وخَـد بِالْحيـاء مورد
ولا سمع إلا سامع ما يريـده | حديثُ حبيبٍ أو أَغَاريد منْشد

لم تكن مجالس ابن سعيد كلها على هذا النحو من الأنسِ والسرور والحياة، فلا يعد المجلس هنيئًا عند ابن سعيد إذا لم يكن فيه أُنس، أو كأس، أو طرب، أو طيب، أو وجوه مليحة من الغلمان أو النساء، حتى وإن كان هذا المجلس جنةً أو نعيما، يقول[4]:

([1]) القصيدة رقم 181 الأبيات 7-9.

([2]) المقطعة رقم 152.

([3]) النتفة رقم 78.

([4]) المقطعة رقم 153.

(المجتث)

يا أيها المبـتدي قبـ	ـل أن نُسائِلَ فضلَه
ماذا تـرى في نعـيمٍ	خَلا من الأُنْسِ جملَه
لا تضحك الكـأس فيه	وينْظم الشرب شَملَه
ولا يـهـز سـمـاع	لا يعدم الطيـب مثْلَه
وكُـل وجـه مليـحٍ	يزويـه بـدر لِعـلّه
لو كان يرتاح بالسرا	حِ لم يضـن بقُبـلَه

بعد دراسة هذه المجالس عند ابن سعيد، يتبين لي أن هذه المجالس اشتملت على عدة أمور، هي: عناصر الطبيعة كالماء والغصن والشجر والبدر والأطيار، وعناصر أخرى كان أهمها الخمر والشرب، إضافة إلى الغلمان أو النساء، والأصوات والتلاحين، والصحبة المؤنسة، وبعض الأدوات الصناعية كالشموع.

كما ظهر أن الكأس قد اتخذت موقعا متميزا من هذه المجالس، فلا يصفو المجلس ولا يحلو السهر إلا إذا كانت حاضرة، تُقدم بأيدي من يسلبون الأسماع والأبصار.

وقد رأيتُ أن المجلس الذي لا يحتوي على أحد هذه المظاهر لا يعد من المجالس التي يطيب فيها الجلوس والسهر، فلا شيء فيه يستدعي انتباه سمعٍ ولا بصرٍ ولا عقل.

4. الحيوان

وصف ابن سعيد ثلاثة أنواع من الحيوان، وهي: الخيل، والكلاب، والثور، وكان أكثروصفه في الخيل، فذكر ألوانها وسرعتها، وألوان الخيل التي ذكرها ابن سعيد كثيرة، فمنها الأدهم حالك السواد، والأشهب الذي غلب بياضه على سواده، والأشقر، والأصفر، يقول[1]:

(الكامل)

من أدهمٍ كالليل حجـلَ بالضحى	فتُشَـق غُرتُه عن ابنِ ذُكـاء
أو أشْهبٍ يحكـي غَدائِر أَشْيـبٍ	خَلَعتْ عليه الشهب فَضلَ رِداء
أو أشْقَـرٍ قـد نَمـقَـتْه بشُعـلَة	كالمـزج ثار بصفْحة الصهباء
أو أصفَـرٍ قد زيـنَـتْـه بغُرة	حتى بدا كالشمـعة الصـفْراء

([1]) المقطعة رقم 9 الأبيات 2-5.

ومنها العسجدي الذي أُعد لوقت الظلام، فهو كالشمعة المصفرة في غبار المعركة، يقول أيضا(1):

(السريع)

وعسجدي اللونِ أعددتُه ... لِساعة تُظْـلم أَنْوارهـا

كأنه في رهـجٍ شَمعـةٌ ... مصفَـرةٌ غُرتُه نَارهـا

وهذه الخيل سريعة كالبرق أو ربما أسرع، فهي كالطيور التي لا يكسر جناحها، يقول(2):

(الطويل)

وأشْقَر مثل البرق لونًا وسرعةً ... قَصدتُ عليه عارِض الجود فانْهمى

ويقول أيضا(3):

(الكامل)

طارت، ولكـن لا يهاض جناحها ... هبـتْ، ولكـن لم تكُن بِرخَاء

كما وصفَ مشية هذه الخيل، فهي مشيةٌ يعتريها الكبر والخُيلاء، فتثني أعنتها شمالاً ويمينًا، يقول(4):

(الكامل)

ولَكم سرينا في متُـونِ ضوامرٍ ... تَثْـني أعنـتَها من الخُيـلاء

وما زال الحصان العربي هكذا حتى أرضى بني سام وحام، فلا ينتقون ولا يمتطون إلاه، كما استحوذ على الأحداق فلا تنظر العيون إلى غيره، يقول(5):

(الوافر)

لَقَد أَرضى بني سامٍ وحـامٍ ... فَما يصغُون فيه لِقَول لاحي

وما هامتْ بِه الأحداقُ حتى ... تَضمن حسنَه حدقُ المـلاحِ

---

(1) النتفة رقم 97.

(2) البيت المفرد رقم 171.

(3) المقطعة رقم 9 البيت 6.

(4) المقطعة رقم 9 البيت 1.

(5) المقطعة رقم 64 الأبيات 3-4.

ووصفَ ابن سعيد كلب صيد أسود كان في عنقه بياض، فصوره بالليل الذي يرتدي قلادة من الصباح، وهو في سرعته كالطائر الذي له أربعةُ أجنحة، وهو إذا نازع الطيور فإنها تتعب من شدة سرعته، وتحسده الريح لذلك أيضا، أما نظره فهو ثاقب يحميه أينما ذهب، يقول[1]:

(الوافر)

وأدهم دون حلْيٍ ظَل حالي   كأن ليـلاً يقلـده صبـاح
يطير وما له رِيشٌ ولكـن   متى يهفُـو فَأربعه جنـاح
تَكل الطيـر مهما نازعتْه   وتَحسده إذا مرقَ الريـاح
له الألْحاظُ مهما جاء سلْك   ومهما سار فَهي له وِشاح

والحيوان الثالث الذي وصفه ابن سعيد هو: الثور، وذلك لما هاجم هذا الثور أحد الطلبة الذي تصدى له بإحدى يديه فأُصيب، فثار الثور في الأرض مثلَ برج الثور في السماء، وجعل ينطح هذا الطالب بقرنيه، ولم يتأذ من الطالب سوى يده التي وقتْ بقية جسمه، يقول[2]:

(الخفيف)

ثَار ثَور السماء في الأرضِ لَما   أَن رأَى منْـك نَيـرا قَمـرِيـا
جعلَ النـطْح بين روقَيـه بأسا   فَتَـلَقـيـتَـه بِخَمسِ الثـريـا
ذَلِك الكَـف كَـف عنْـها فَأبقَى   أَثَـرا فـيـمـا أَرادك حـيـا

5. النجوم

أما النجوم أو (الطبيعة العليا) فقد كان لها نصيب من الوصف في شعر ابن سعيد، فكانت الشمس من أهم هذه النجوم، حيث وصفها وقد مالت للغروب عند بحيرة، بأنها مريضةٌ من ألم الفراق وكأن آخر أشعتها راحةٌ مدتها لتوديع تلك البحيرة، يقول[3]:

(الكامل)

والشمس من أَلمِ الفراق مريضةٌ   مدتْ لِتَوديعِ البحيـرة راحـا

---

(1) المقطعة رقم 52.

(2) المقطعة رقم 188 الأبيات 2-4.

(3) البيت المفرد رقم 49.

ومرة أخرى يصفها وقت الغروب فيصورها بالطائر، ويصور أشعتها بالجناح الذي تلقيه على الماء، يقول[1]:

(الكامل)

وانْظُر لِشَمسِ الأُفْق طَائِرةً وقَد ... أَلْقَتْ على صفْـحِ الخَليـجِ جناحا

ووصفَ أيضا الصبح، فهو الذي تبدأ به حياة جديدة، ومنه يبدأ الفتح والنصر والفلاح، ومنه يعود المنى والرضا، يقول[2]:

(السريع)

قَد جـاءَ نَصـرُ اللهِ والفَتْـح ... والصبح لَما رضيتُ صبح

فَهنـئُـوني بارتجـاعِ المنى ... لَولا الرضـا ما برح البـرح

ووصفَ ابن سعيد الليل، فهو كالبحر المزبد بما فيه من نجوم، والغيوم فيه كالموج الهائج، أما الهلالُ فهو زورقٌ يدور في أرجائه، يقول[3]:

(الكامل)

والليلُ بحر مزبد ينُجـومه ... والسحب موج والهلالُ كزورق

وهذه صورة رائعة رسمها ابن سعيد لليل، لكنها تخلو من التجديد أو الابتكار، فهذه الصورة موجودة بكثرة في الشعر العربي، وإنما اختلفت الألفاظ.

وقد استاء ابن سعيد لما حل بالبدر من خسوف شانه بعد جماله، مثل الماء كان صافيا فتعكر بعشبٍ يابسٍ غطى ما فيه من جمال، أو مثل المرآة التي إذا أطالت الحسناء النظر فيها نزلت غشاوةٌ على عينيها فتعكّرت صورتها، يقول[4]:

(الكامل)

شان الخُسوفُ البدر بعد جمالِه ... فكـأنه مـاء عليـه غُثَـاء

أو مثلَ مرآة لِخَـود قد قَضتْ ... نَظَرا بها فعلى الجِلاء غشاء

([1]) المقطعة رقم 50 البيت 2.

([2]) المقطعة رقم 57 الأبيات 1-2.

([3]) النتفة رقم 144 البيت 2.

([4]) النتفة رقم 4.

وكان الغيم والبرق والرعد من عناصر الطبيعة العليا التي وصفها ابن سعيد، فالغيوم مثل كتائب الجيوش تسير في السماء يرافقها البرق مادا شُعاعه مثل السيوف القواضب، أما المطر فكان كالرماح التي تأتي من كل حدبٍ وصوب، والرعود كالطبول التي تُضرب في الحرب فيرتعب كل من يسمعها، يقول[1]:

(الكامل)

والْبرقُ قُضب والسحاب كتَائِب والْقَطْر نُبلٌ والرعود طُبولُ

فَلْتُعذَرِ الأَنْهـار في تَدريعهـا ولْتُعذَرِ الأَغْصان حين تَميلُ

6. الحدائق والرياض

جمع ابن سعيد في وصفه الحدائق والرياض كل ما فيها من عناصر الطبيعة، فذكر الأزهار، والأنهار، والثمار، والأغصان، ويظهر ذلك من خلال وصفه حديقةً لأبي العباس الغساني، حيث النرجس فيها يرنو إلى الناظرين ويحثهم على تناول الكؤوس، والماء العذب راكد وهادئ كأنه يسترقُ السمع إلى ما يدور من كلام، وذكر ما فيها من التفاح والأترج والنارنج، يقول[2]:

(المتقارب)

رنَتْ نَحوكُم مقَـلُ النرجِسِ وَأمستْ تُشير إِلى الأَكْؤُسِ

وقَـد حـدد الآس آذَانَـه لِيسمع ما دار في الْمجلسِ

وَأَخْجلَ تُفـاحنَـا قَاعْتَـدى يروم الكَلام فَلَـم ينْـبِسِ

وقَد باح أُتْرجنَـا بِالْهـوى وظَاهره بِالضـنَى مكْـتَسِ

وكَالْجمـرِ نَارنْجنَـا قَد بدا يروع الْعـيون ولَم يقْبِـسِ

إن حديقة في مثل هذه الروعة، وهذه المقومات، لم تترك مجالاً للشاعر إلا أن تكون الكؤوس حاضرة، وكذلك الساقي والمغني، وبها لا تكون الظلمةُ حاجزا يمنع استمرار هذه الوصلة، يقول[3]:

(المتقارب)

وقَد ضحكَـتْ بينَـنَا أَكْؤُس فَوجـه الدجنـة لَم يعبِسِ

فَيا ربـةَ العـود حثي الغنَـا ويا ساقي الْكَأْسِ لا تَحبِسِ

---

(1) المقطعة رقم 159 الأبيات 2-3.

(2) القصيدة رقم 115 الأبيات 1-4، 6.

(3) القصيدة رقم 115 الأبيات 9-10.

7. الزهريات

وصف ابن سعيد عددا من أنواع الأزهار والورود، فوصف اجتماع النرجس بالورد مفضلاً الورد على النرجس، فصور نزول الورد وارتفاع النرجس بالخادم والمخدوم، يقول[1]:

(السريع)

من فَضلَ النرجِس وهو الذي | يرضى بِحكْمِ الورد إِذْ يرأس
أما تَرى الورد غَـدا قاعـدا | وقَـام في خدمتـه النرجِس؟

وهذه صورةٌ رائعة لم توجد عند كثير من الشعراء، ووصفَ النرجس فصوره بالعيون النواعس التي ترنو إليه، يقول[2]:

(الطويل)

ألا هاتها والنرجِس الغَض قَد رنَا | إِلَيك كَما تَرنُو العيون النواعس

كما جعل من غير الحياء أن يمر المرء عن النرجس دون أن ينظر إليه، وذلك تقديرا لهذا الزهر، يقول[3]:

(السريع)

يا واطىء النرجِسِ، ما تَستَحي | أَن تَطَأَ الأعين بِالأَرجـل؟
قَابِلْ جفُـونـًا بِجـفُـونٍ ولاَ | تَبتـَذل الأرفَع بِالأَسـفَـل

ووصفَ ابن سعيد زهر النارنج الذي يبدو كالدرِ على الأعناق لشدة جماله، كما صور مراحل نموه، فهو قبل نضوجه يكون كالفضة، ولكن سرعان ما تحول إلى الذهب بعد ذلك، يقول[4]:

(الطويل)

بدا لَك النارنْج وهـو كَأنمـا | يريك علَى الأَجياد درا منَضدا
وإِن خلْتَه بين الزبرجد فضةً | فَعما قَرِيبٍ سوفَ تَلْقَـاه عسجدا

([1]) النتفة رقم 113.

([2]) النتفة رقم 114 البيت رقم 1.

([3]) النتفة رقم 162.

([4]) المقطعة رقم 66 الأبيات 1-2.

أما نَوار الكتان فقد كان على جانبي النهر يرمقه، وكأنه أجفان لها حدقٌ، والنهر كالسيف الحاد الذي يمر بين هذه الأزهار وهي ترمقه بأرق شديد، يقول(1):

(البسيط)

انْظُرْ إلى النهرِ والْكتـان يرمقُه	من جانبـيه بأجفَـانٍ لَها حدقُ
رأَتْه سيفًا علَيه للصـبا شُطَب	فقَـابلَـتْـه بأحـداق بهـا أَرقُ

لقد جاء وصف الزهريات عند ابن سعيد بسيطًا هادئًا، لم يحتوِ على أفكار جديدة تميزه عن غيره من الشعراء، وقد تمثل هذا الوصف في ثلاثة أمور، هي: تشخيص هذه الأزهار بخدمتها لبعضها البعض، وألوانها المتغيرة بين الزبرجد والفضة والعسجد، وفي أغلب الأحيان صورها بالعيون والمقل.

8. الثمار

لقد وصف ابن سعيد نوعين من الثمار، هما: التفاح، والتين، حيث وصفَ تفاحة عنبرٍ مستديرة، وصور ما نزل عنها من عنبرٍ بالدموع السواكب، وهي تلمع كالسيوف، يقول(2):

(الطويل)

وذات حنيـنٍ لا تَزالُ مطيفَـةً	تَئِـن وتَبـكي بالـدموع السواكبِ
إذا ابتَسمتْ فيها الرياض شَماتَةً	تَرعها بأمثـال السيوف القَواضـبِ

كما وصف تفاحة عنبر أُهديت لنجم الدين أيوب، فذكر لونها الأحمر الذي يشبه الخال، وهي لا تحتاج إلى الكلام أو أن يتحدث أحد عنها، فرائحتها الزكية تكفي عن الكلام، يقول(3):

(الخفيف)

أنا لَون الشبابِ والخال أُهديـ	ـتُ لِمن قد كسا الزمـان شَبابا
لَستُ ممـن له خطـاب ولكن	قد كفاني أَريـج عرفي خطـابا

---

(1) المقطعة رقم 134 الأبيات 1-2.

(2) القصيدة رقم 40 الأبيات 1، 3.

(3) المقطعة رقم 18 الأبيات 1، 4.

9. أدوات صناعية

وصفَ ابن سعيد مجموعةً من الأدوات الصناعية؛ من بينها الشموع، والقوس، والمراكب البحرية، فوصف شمعةً مشاركةً مع ابن يامن وأبي العباس الغساني متسائلاً عن خفقان قلبها الذي يخفق مثل قلب العاشق الهائم، وهي ما زالت واقفةً تنتظر لقيا الحبيب في آخر الليل، يقول(1):

(الكامل)

ما بالُ شَمعتـنَا كقَـلْبِي تَخْفقُ ... أَبدا تَهيم كما أَهيم وأَعشَـقُ

أَم زارها حادي النسيمِ بِسحرة ... فَغَدتْ إلى لُقْيا المعانق تَعنقُ

وهذه الشمعةُ تشبه الفضة في لونها ولمعانها، أما ما يذوب من جسمها بفعل الاحتراق فهو كالدموع الزئبقية التي تنهل من الجفون، وهي عاريةٌ على الرغم من أن ثيابها موجودة داخلها، غير أنها تحترق من الحرقة التي في داخلها، وهي أيضا كالعروس المتزينة بما ينهل على جسدها من مذاب الشمع، إلا أنها عندما يشرق الصباح تُطلق مما كانت عليه، وهي قائمة تشتكي ما أصابها من خطوب مثل الخطيب الذي يقف ليعظ الناس، يقول(2):

(الكامل)

عجبـًا لَها فَالْجِسم منْـها فضـةٌ ... وجفُونُها ينْهـل منْها الزئْبقُ

عريـانَةً وثيـابها في جوفهـا ... لكنـها من حرقـة تَتَحـرقُ

زفتْ ظَلامـًا كالْعـروس بِحلْيها ... لكنها عنْد الصـباحِ تُطَلـقُ

قَامتْ خَطيبـًا تَشْتَـكي بِخُطُوبِها ... وبِنَقْلَة الْحالات أَمسـتْ تَنْطقُ

وفي الأبيات السابقة تشخيص لتلك الشمعة، حيث اقتضى ما فيها من عناصر إلى تصويرها بالإنسان، إلا أنها أكثر تضحيةً من الإنسان؛ فهي تُفني نفسها من أجل هذا الإنسان، وهي بعد ذلك فانية لا عودة لها، يقول(3):

(الكامل)

تُفْني الديـاجِي وهي فَانيـةٌ بِها ... وبِمائِها أَيـان تُشْرِقُ تَشْرِقُ

---

(1) القصيدة رقم 137 الأبيات 1-2.

(2) القصيدة رقم 137 الأبيات 3-5، 8.

(3) القصيدة رقم 137 البيت السادس.

وتنطقُ إحدى القسي على لسان ابن سعيد متمثلةً بشكل الهلال الذي ينير الظّلمة التي أسدلها غبار المعركة، والسهام التي تخرج عن هذه القوس مثل النجوم في تلك الظلمة، وعندما تنطلق هذه القوس بسهامها فلا يقف في وجهها سيفٌ أو رمح، يقول[1]:

(الخفيف)

أَنَا مثْلُ الهـلال في ظُلَمِ النقْـ ـعِ سهامي تَنْقَض مثْلَ النجومِ

تَقْصر القُضب والْقَنَا عن مجالِي عنْـد رجمي بها لِكُـل رجيِمِ

أما في مجال الصيد؛ فإن الطيور تتسابق إليها بدلاً من الهرب منها، وتتكفل لها بالصيد الوفير، يقول[2]:

(الخفيف)

قد كستْها الطيـور لمـا رأَتْها كافـلات لهـا بِرزق عمـيـم

وكانت المراكب البحرية من الأدوات الصناعية التي وصفها الشاعر، حيث وصف مركبه وقد أفلت من العدو، فكان كالطائر الذي أفلت من الصائد، يقول[3]:

(السريع)

انْظُر إلى مركَبِنَا منْقَذًا من العدا من بعد إحرازِ

أَفْلَتَ منْهم فَغَدا طَائِرا كطَائِرٍ أَفْلَتَ من بازي

ووصف مرة حراقةَ سفنٍ، وهي مركب بحري يقذف النيران، فتلك النيران التي يقذفها المركب مثل الشفق الأحمر الذي ينبري عن الصباح على متن مركبٍ أصيل، يقول[4]:

(مجزوء الكامل)

يالِلهِ محيي الدين يا من ظله أَبدا ظَليلْ

انْظُر إلى شَفَق على فَلَق يطير به أَصيلْ

(1) المقطّعة رقم 177 الأبيات 1-2.

(2) المقطعة رقم 177 البيت الثالث.

(3) النتفة رقم 112.

(4) النتفة رقم 150.

لقد كان وصف ابن سعيد لهذه الأدوات وصفًا جميلاً ودقيقًا في غالب الأحيان، حيث استخدم التشخيص في أكثر من موقع، فأسقط على هذه الأدوات عددا من صفات الإنسان كالشكل والإحساس والنطق.

10. موصوفاتٌ أخرى

خارجا عن إطار الموضوعات السابقة؛ فقد وصف ابن سعيد أشياء متفرقة لم يكن لها مكان بين الموصوفات التي تحدثتُ عنها، فرأيتُ أن أفرد لها عنوانًا خاصا.

ومنها ما جاء في وصف نفسه أعزبا دونما زوج متنقلاً بين الأقطار، فهو يرى أن الزواج يعكر الأفكار وينغص العيش، كما ينهك الإنسان في طلب الرزق، ويرى أن عدم الزواج، وكثرة الأسفار تورثان راحةَ الخاطر، يقول[1]:

(الكامل)

أَنَا شَاعر أَهوى التخَلي دون ما	زوجٍ لِكيما تَخْلُص الأَفْكَار
لَو كُنْتُ ذَا زوجٍ لَكُنْتُ منَغصـًا	في كُل حينٍ رِزقُها أَمتَـار
دعني أُرِح طُولَ التغَربِ خَاطرِي	حتى أَعود ويستَـقر قَرار

وكثير هم الذين يلومونه، ويتهمونه بإضاعة شبابه، ولكنه يرد عليهم بأن هذا الشباب لم يضع بطالةً أو فراغًا، وإنما قضاه في طلب العلم والبحث عن كل جديد، يقول[2]:

(الكامل)

كَم قَائِلٍ قَد ضاع شَرخُ شبَـابِه	ما ضيعتْه بِطَـالَةٌ وعقَار
إِذْ لَم أَزلْ في العلْمِ أَجهد دائِمـًا	حتى تَـأَتـتْ هذه الأَبكَار

والشاعر على الرغم من وحدته لم يكُن في يومٍ من الأيام عالةً على أحد، بل كان على العكس من ذلك كثير الرزق على الدوام، وكان يقضي أجمل الأوقات إذا خرج في فُرجة فلا شيء خلفه ولا أحد ينتظره، يقول[3]:

(الكامل)

مهما أَرم من دونِ زوجٍ لَم أَكُن	كَلا ورزقي دائِمـًا مدرار
وإِذَا خَرجتُ لِفُرجـة هنـيـتُها	لا ضيعةٌ ضاعتْ ولا تَذْكَار

([1]) القصيدة رقم 95 الأبيات 1-3.

([2]) القصيدة رقم 95 الأبيات 4-5.

([3]) القصيدة رقم 95 الأبيات 6-7.

يبدو أن ابن سعيد كان يحب الحرية مثل العصافير، فهو يرى في الزواج سجن وقيد والتزام، وكيف لطائرٍ يهوى التنقلَ أن يقبلَ بذلك؟

لكنه في مقطعة أخرى يتحسر على شبابه –بعد فوات الأوان-، ويصفُ الشيب الذي غزا رأسه، حتى صار مثل النجوم التي لا بد لصاحبها أن يأفل بأُفولها، وهو على ذلك يذرفُ الدموع، ويرى أنه أضاع أجمل أوقات عمره الذي صوره بوقت الأصيل من النهار، يقول[1]:

(الوافر)

وقَائِلَة أَراكَ على التصابي ... وغُصن الْعمرِ دب بِه الذبولُ

وهذا الشيب أَنْجمه أَنَارتْ ... وطَالعها لِصاحبِها أُفُولُ

فَقُلْتُ لَها ودمع العينِ مني ... على تلْك النجومِ لَه مسيلُ

أَصيلُ العمرِ أَتْركُه ضياعا ... إِذ الأَوقَاتُ أَطْيبها الأَصيلُ

ومن وصف نفسه يخرج ابن سعيد لوصف أهل مصر، الذين اكتسبوا حلاوةً في النطق والشعر لمجاورتهم النيلَ، يقول[2]:

(الطويل)

أَسكان مصرٍ جاور النيلُ أَرضكُم ... فَأَكْسبكُم تلْك الحلاوةَ في الشعرِ

وعلى غرار كثير من شعراء العرب؛ وصف ابن سعيد الرحيل والهودج، وأثر فيه هذا الرحيلُ حتى هاجتْ أضلُعه، أما اللون الأحمر الذي علا الهودج فقد كان مثلَ الشرر الذي يتصاعد من أضلُعه، يقول[3]:

(البسيط)

لا، لَستُ أَنْسى وقَد زمتْ هوادجهم ... فَخلْتُها أَضلُعي هاجتْ بِها الْفكَر

وقَد علاها احمرار من تَزخْرفها ... فَقُلْتُ: هيجتُموها هذه الشرر

يتبين مما سبق أن جزءا من هذا الوصف كان تقليديا جارى فيه كثيرا من الشعراء المغاربة أو المشارقة، وذلك بحكم الحياة التي قضاها الشاعر بين القطرين، ولكن الجزء الأكبر منه كان وصفًا رائعا جميلاً، يميل في غالبه إلى التصوير الدقيق، والمعاني الجميلة.

---

(1) المقطعة رقم 158.

(2) النتفة رقم 109 البيت الأول.

(3) النتفة رقم 100.

ثانيا- المدح

قال ابن سعيد الأندلسي في المدح ما مجموعه (304) أبيات منها: (214) جاءت في (9) قصائد، و(61) بيتًا جاءت في (15) مقطّعة، و(18) بيتًا جاءت في (9) نتف، و(11) بيتًا مفردا.

وقد مدح ابن سعيد الرسول صلى الله عليه وسلم، وملك إفريقية أبا زكريا الحفصي، وابن عمه أبا عبد الله محمد بن الحسين، والملك الناصر يوسف صاحب حلب، والوزير ابن جامع، وصاحبه أبا العباس الغساني، وعددا من الملوك والأمراء والعلماء، وسأبدأ بقصيدة المدح النبوي، ثم أتحدث عن ممدوحيه وفقًا لعدد الأبيات التي قالها في كل واحد.

1. المديح النبوي

لقد مدح ابن سعيد الرسول، صلى الله عليه وسلم، في قصيدة واحدة جاءت في (53) بيتًا، بدأها بمقدمة من عشرة أبيات ذكر فيها ما لقيه من تعبٍ ونَصب في طريقه إلى المدينة المنورة، وذلك لما عزم على زيارة قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، والبيت الحرام بقصد الحج، يقول(1):

(الكامل)

قرب المـزار ولا زمـان يسعـد	كـم ذا أُقَـرب مـا أراه ويبـعد
وا رحمـةً لِمـتَـيـمٍ ذي غُربـة	ومع التغَـربِ فاتَـه ما يقْـصـد
قد سار من أَقْصى المغَاربِ قاصدا	من لـذ فيه مسيـره إِذْ يجـهـد
فلَـكم بِحـارٍ مع قفَـارٍ جبـتُـها	تَلْقَى بِها الصمـصام ذُعرا يرعـد
كابدتُها عربـًا ورومـًا، لَيـتَـني	إِذْ جزتُ صعب صراطها لا أُطْرد
يا سائِـرين لِيـثْـرِبٍ بلـغْـتُـم	قد عاقَني عنْهـا الزمـان الأَنْكَـد

ثم ذكر عظيم حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو غرام لا يلومه عليه أحد، يقول(2):

يا عاذِلي فيـمـا أُكابِـد قـل في	ما أَبتَغيـه صبابـةٌ وتَسـهـد
لَم تَلْـقَ ما لَقيـتُـه فعـذَلْـتَـني	لا يعـذر المشْتَـاقَ إِلا مكْمـد
لَـو كُنْـتَ تَعلَـم ما أَروم دنُـوه	ما كُنْـتَ في هذا الغَرامِ تُفَـنـد

(1) القصيدة رقم 69 الأبيات 1-6.

(2) القصيدة رقم 69 الأبيات 8-10.

ثم ينتقل إلى مدح شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فهو خير خلق الله أجمعين، والثناء على ذكره مثل السحائب لا ينقطع إلى يوم الدين، وأي إيمان خلا من حبه فهو إيمان مبتور وغير صحيح، يقول[1]:

(الكامل)

يا خَير خَلْق اللهِ مهما غبـتُ عن ... علَيـا مشاهدهـا فقلْبـي يشْهـد

ذكْـر يليـه من الثـنَاء سحـائِب ... أبـدا علَـى مـر الزمـانِ يجدد

من ذَا الـذي نَرجوه لِليـومِ الذي ... يقْصى الظمـاء به ويحمى الموردِ

يا لَهـفَ من وافَى هنَـاك وما له ... مـن حـبـه ذُخْـر به يـتَـزود

ما أرتَجِي عمـلاً ولَكـن أرتَجِـي ... ثقَتـي به ولَحسـب من يـتَـزود

ما صـح إيمـان خَـلا من حبـه ... أبـلا ريـاش يستَعـد مهـنـد؟!

كيف لا يكون ذلك؟ وهو الذي لم يخشَ في الله لومة لائم حتى أقر بدعوته الكافر والملحد، وهو الذي نصر دين الله، تعالى، ولقي من الأعداء ما إن لقيه أحد غيره لتبدد وانبرى، يقول[2]:

لَم تَخْـشَ في مولاك لَومـةَ لائِمٍ ... حتى أقَـر به الكفُـور المـلْحـد

ونَصـرتَ دين اللهِ غَيـر محـاذرٍ ... ودعوتَ في الأُخْرى الأُلى قَد أصعدوا

ولَقيـتَ من حربِ الأعادي شـدةً ... لَو كابـدوها سـاعـةً لَـتَـبـددوا

ثم ينتقل الشاعر في الأبيات إلى ذكر معجزاته، صلى الله عليه وسلم، وهي[3]:

فَحمـاك بِالْغَارِ الذي هو من أدلْـ ... ـل المعجِزات وخَاب من يتَرصد

ووقَـاك من سم الـذراع بِلُطْفـه ... كيما يغَاظَ بِك العـدا والْحسـد

والْجِـذْع حن إِلَيك والْمـاء انْهمى ... ما بين خَمسك والصحـابةُ شُهـد

والـذئْب أُنْطـقَ لِلـذي أضحى به ... يهدى إِلى سبل النجـاحِ ويرشـد

وبِلَيلَة الإِسرا حباك وسمي الصـ ... ـصديقَ من أضحى لِقَـولِك يسعد

وحباك بالْخُلُق الْعظيمِ ومعجِزِ الْـ ... ـكلَـمِ الـذي يهـدى به إِذْ يورد

وبعثْـتَ بِالْقُـرآنِ غَيـر معارضٍ ... فيـه وأمسـى من نَحـاه يعـرد

فَتَـوالَت الأحقَـاب وهـو مبـرأٌ ... من أن يكُـون لَـه مثَـالٌ يوجـد

(1) القصيدة رقم 69 الأبيات 16، 23-27.

(2) القصيدة رقم 69 الأبيات 33-35.

(3) ينظر: القصيدة رقم 69 الأبيات 37-47.

ولكـم بليـغٍ جالَ فَصـلَ خطَـابه | والسرج في ضـوء الغَزالة تَهمـد
زويتْ لَك الأرض التي لا زالَ حتْـ | ـتَى الْحشْرِ ربك في ذُراها يعبـد
ونُصـرتَ بِالرعبِ الذي لمـا يزلْ | يثْرى كأن ما عين شَخْصك تَفْقـد

ويمدح الشاعر نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو من خيرة بني هاشم، وأي شرف وفخارٍ لهم بهذا النبي العظيم! يقول(1):

(الكامل)

يا من تُخُيـر من ذُؤابـة هاشمٍ | نعم الفَخَـار لها ونعم المحـتد

ويختم ابن سعيد قصيدته بالاعتذار عن التقصير الذي لا ينجو منه أحد في هذا المقام الرفيع، ويلقي التحيةَ والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم مودعا، يقول(2):

لَم أستَطـع حصـرا لِما أعطيـتَه | فَذَكَرتُ بعضا واعتـذَارِي منْشد
ماذا أَقُـولُ إِذَا وصفْـتُ محمـدا | نَفـد الْكَـلام ووصفُـه لا ينْفَـد
فَعلَيـك يا خَيـر الخَلائِق كُـلهـا | مني التحيـةُ والسـلام السـرمد

2. أبو زكريا الحفصي ملك تونس

حكم تونس وقسما كبيرا من الغرب الإسلامي لثلاثة وعشرين عاما، وقد مدحه ابن سعيد بما مجموعه (72) بيتًا منها: (54) بيتًا جاءت في قصيدتين، و(15) بيتًا جاءت في ثلاث مقطعات، وثلاثة أبيات مفردة.

وقد ركز ابن سعيد في مدحه لملك تونس على مقدرته العالية في إدارة شؤون الدولة الحفصية التي كانت تنطلق أخبارها من تونس إلى معظم مدن الغرب الإسلامي، وركز على مدى التفاف الرعية حوله، ورضاها عن أدائه في إدارة شؤونها.

وأبو زكريا الحفصي ملك صاحب قدرة وتمكين، جلب الخير للبلاد والعباد، وساق السعد لمن يعيش في كنفه وتحت رعايته، وهو جامع شمل أهل إفريقية، وموحد شتاتهم، يقول(3):

(السريع)

وأَصبـحـتْ أرجـاؤُها جنةً | مبيضةَ الأبراجِ خُضر البِطَاح

---

(1) القصيدة رقم 69 البيت 49.

(2) القصيدة رقم 69 الأبيات 51-53.

(3) القصيدة رقم 44 الأبيات 11-18.

لولا نَـدى يحـيى وتدبيـره ... ما برحتْ تَغْبُـر منْها النـواح

لكـن يـداه سحـب كُـلـما ... حلـتْ بأرضٍ حل فيها النجاح

هذا وقَـد آمـن من حـلـها ... وحفـها من غُربـة وانْتـزاح

كم شُـتـتُوا من قبل تأميـره ... وحكـمتْ فيهم عوالي الرماح

يا سائِرا يرجو بلُـوغَ المنـى ... باكر ذَرى يحيى وقُلْ لا رواح

وحـيـه بالمـدحِ فهـو الذي ... يهتز كالهنْـدي حيـن امتـداح

بالشـرق والغَـربِ غَدا ذكْره ... يحـث من حمد وشُكْـرٍ جناح

وهو الملك القوي الصارم الذي لا يهتز له جناح، وإن تكالب عليه الأعداء، أو ثار في وجهه الثوار، فها هو ابن سعيد يمدحه ويهنئه بقتل ثائر من قبيلة زناتة، يقول[1]:

واسألْ عنِ الداعي الدعي الذي ... حاولَ أمرا كان عنْـه انْضراح

أكـان مـن صـيـره والِـدا ... يزعـمـه أمـلَ فيـه فَـلاح

شُكْـرا لِسـعـد لم يدع فرقَةً ... قَد صير المُلْك كضربِ القـداح

رامـوا بلا جـاه ولا محتـد ... ما حزتَ بالحـق فكان افْتضاح

وهو الملك الموحد الذي جمع تحت لوائه مدن الشمال الإفريقي وعددا من مدن الأندلس، في الوقت الذي كان فيه إفرنج الأندلس قد أحكموا قبضتهم على عدد من المدن الأندلسية، يقول[2]:

(الكامل)

يحيى الذي أحيـا الإمارةَ بعدما ... عـم البريـةَ فتْـنَةٌ عمـياء

نَهضتْ إلى الغَايات منْه همـةٌ ... جمـعتْ على آرائِها الأهـواء

وتألفَتْ فرقُ العصا ممن عصى ... وتأرجتْ بفُـتُوحـه الأرجـاء

أما أبرز الصفات الدنيوية التي مدحه بها ابن سعيد فهي: الكرم والجود، والعطاء على أكمل وجه له، فهو كالغصن اليانع بالثمار، كلما هز جاد وعم، وهو القمر أو الشمس في حسن الصورة والمظهر، ومبسوط اليدين في عطائه مثل السحائب في مطرها، يقول[3]:

(البسيط)

إِن هزه المـدح فَالأموالُ في بدد ... والغُصـن ما هز إلا بدد الثمـر

---

(1) القصيدة رقم 44 الأبيات 27-30.

(2) القصيدة رقم 7 الأبيات 5، 8-9.

(3) المقطعة رقم 98 الأبيات 2-3.

فَقُلْـتُ لَما بدا لي حسن مَنْظَـرِه لَكنـه زاد إِشْراقـًا: هو الْقَمـر

والشجاعة من الصفات الأخرى التي وجدها ابن سعيد في ممدوحه، فهو كالحسام في مواجهة أعدائه، يهابه الجميع، ويقر بفضله من يوده ومن لا يوده، يقول[1]:

(الوافر)

وقَد أَرسلْتَه نَحو الأعـادي كَما جردتَ من غمد حساما

ويقول[2]:

(الطويل)

يقـر لَه بِالْفَـضـل من لا يوده ويقْضي لَه بِالسـعد من لا ينَجم

وهو صاحب الأصل الطيب والكرم الذي ورثه عن آبائه وأجداده، يقول[3]:

(البسيط)

تَوارثَ المجد عن جد له وأَبٍ بنَوا لَه منْه طَودا لَيس ينْهدم

بعد كل هذا؛ فلا عجب إن رأينا ابن سعيد يعيش في كنف هذه الدولة هو ووالده ردحا من الزمن، ولا يفارقه الحنين إليها حتى وهو في كنف ملوك المشرق الإسلامي، ثم يعاود إليها قبل وفاته ليقضي فيها ما تبقى له من عمر، فهي الدولة القوية العزيزة الكريمة، صاحبة الأصل والمحتد.

3. أبو عبد الله محمد بن الحسين

هو ابن عم الشاعر، ووزير الدولة الحفصية، وقد مدحه ابن سعيد في (44) بيتًا، منها: (34) بيتًا جاءت في قصيدة واحدة، و(10) أبيات جاءت في مقطعتين.

وقد بدأ القصيدة بمقدمة من عشرة أبيات شكا فيها الفراق والبعد والنوى، وتذكر أيام الوصال التي كانت بينهما. ثم انتقل إلى مدحه وشكره على صلته وعطائه، فمدحه بصفات

([1]) البيت المفرد رقم 165.

([2]) البيت المفرد رقم 173.

([3]) البيت المفرد رقم 174.

عديدة، منها: الكرم والجود الذي لا يعرفه غيره، ويرى الشاعر أن ابن عمه قد مدحه بعطائه قبل أن يمدحه ابن سعيد بشعره، فهذا العطاء بحر ليس له ساحل، يقول[1]:

(الخفيف)

يا كريما أتى من الجـود ما لا	كان يدرى فأوجـدتْـه المدائح
وعلا كُـل ذي عـلاء وأضحى	نحو ما لا يرومه الناس طامـح
قد أتاني إحسانُك الغمر في إثْـ	ـرِ سواه فكُنْـتَ أكمـلَ مادح
فاض بحر النـوال منْك ولا سا	حلَ يبـدو ولم أزلْ فيـه سابح

ويطلب ابن سعيد من ابن عمه أن يأخذَ العذر لمن يطرقُ بابه، فكلهم أملٌ بالربح والعطاء؛ وذلك لما عهدوا فيه من تلبية، يقول[2]:

فاعذرِ النـاس أن أتَوا لك أفْوا	جا فكُـل يقصـد فضلك رابـح

وابن سعيد مع ابن عمه كالبحر في مده وجزره، فالمد لا يكون إلا من ابن الحسين، أما الجزر فمن ابن سعيد وذلك كناية عن التقصير، يقول[3]:

(السريع)

الجزر من عنْدي ومن عنْدكُم	يكُون يا بحر النـدى المد

ويمدح ابن سعيد الأندلسي ابن عمه بنسبه إلى قبيلة مذحج التي ينتسب إليها الشاعر أيضا، فهي حوت من الفخر والمجد ما لم يحويه أحد، وذلك بانتساب ابن الحسين إليها، يقول[4]:

(الخفيف)

قد حوتْ مذْحج من الفخْـرِ لما	كُنْتَ منْها ما ليس يحويه شارح

4. الملك الناصر يوسف بن أيوب صاحب حلب

هو أحد ملوك بني أيوب، وصاحب حلب ثم الشام، كان محبا للشعر والأدب وأهلهما، وقد مدحه ابن سعيد في (41) بيتًا، منها: (30) بيتًا جاءت في قصيدتين، و(7) أبيات جاءت في مقطّعتين، و(4) أبيات جاءت في نتفتين.

---

(1) القصيدة رقم 48 الأبيات 11-14.

(2) القصيدة رقم 48 البيت 22.

(3) المقطعة رقم 70 البيت السادس.

(4) القصيدة رقم 48 البيت 26.

والملك الناصر من أصحاب الدين والصلاح والعدل، وبذلك خافه أعداؤه، وعم الأمن في رعيته، فجعله الله منصورا ومظفرا، يقول(1):

(الكامل)

النّـاصر الملك الـذي عـزماتُـه | أبدا تكـون مع العسـاكر عسـكرا
ما كـان أنبـا الفتـح يلْـزم لامه | والجمـع من أعـدائِـه متكسـرا
الدين أصلحه وعـم صلاحـه الـد | دنيـا وأصبح ناصـرا ومظَـفرا

وانظر إلى ابن سعيد يمدحه عندما فتح دمشق، يقول(2):

(البسيط)

أَما دمشْقُ فَقَد أَلْقَـتْ أَزِمتَـها | علَى يديك علَى حسنٍ وتَحصينِ
لَم تَمتَنع عنْدما قَاربتَ ساحتَها | وجالَ جيشُك في تلْك الميـادينِ
لَما نَهضتَ إِلَيـها وهي عاصيةٌ | تَلَفـعتْ من حيـاء بِالبسـاتينِ
مثْلَ العروسِ تَجلتْ في ملابِسها | بِكُـل ما جل من حسنٍ وتَزيينِ

فهي العروس التي ألقت إليه أزمتها، وسلمت إليه أُمورها، وذلك بعد كل ما كانت عليه من تحصين ومنعة، إلا أنها لم تمتنع عندما اقترب منها الملك الناصر، فصال جيشُه فيها وجال، واكتست بالبساتين حياء منه.

وقد مدح ابن سعيد الملك الناصر بصفات دنيوية كثيرة، منها: البهاء وحسن الطلعة، فهو كالبدر وقت تمامه، وهو طيب الرائحة مثل غُصن البان، يقول(3):

(الطويل)

فَعانَقْتُ غُصن الْبانِ في دوحة القَنَا | وقَبـلْتُ بدر التـم في هالَـة الجـرد

وهو الذي يملك خزائن أرض الله من خيرٍ وبر، ولا يجوز لأحد أن يقصد غيره من الملوك، وكل ذلك ظاهر في محياه وفي الأشعار التي تُقالُ في مدحه، يقول(4):

خَزائِـن أَرضِ اللهِ في يد يوسـف | فَهلْ لِسواه في المـُـوك يرى قَصدي

(1) القصيدة رقم 91 الأبيات 5-7.
(2) المقطّعة رقم 182 الأبيات 1-4.
(3) القصيدة رقم 76 البيت السادس.
(4) القصيدة رقم 76 الأبيات 8-9.

مليكٌ تَرى في وجهه آيـةَ الرضا   وتَقْـرأُ من أمـداحه سـورةَ الحمـد

ومن يعرض الناصر عنه يضع عمره دون فائدة، فالمُلك على هذه الأرض لمن رضي عنه هذا الملك، يقول(1):

(دوبيت)

مولاي أَراكَ دائِمَ الإعراضِ   والعُمر يمر ضائِعَ الأَغْـراضِ
كم أسألُك الرضا وكم تمنَعه   المُلكُ لِمن أصبحتَ عنْه راضِ

أما نسبه فهو نسب رفيع كريم أصيل، كيف لا؟ وهم آلُ أيوب الذين توارثوا المجد والبأس كابرا عن كابر، وهم سلالة الملك الناصر الأول فاتح بيت المقدس صلاح الدين، وهم قوم أصحاب خبرة وسياسة ورئاسة، ومع كل ذلك فهم أهل الحياء أيضا، حتى سيوفهم إذا قتلت احمرتْ ظُباها بدماء الأعداء حياء، يقول(2):

(الكامل)

من آل أيـوب الّـذيـن هـم هـم   ورِثوا النـدى والبـأس أكْبر أكْبرا
من كُل مـن جعـلَ السروج أرائِكًا   والسمر قُضبا والقـواضب أنْهـرا
من معشـرٍ خبـروا الزمان رياسةً   وسياسةً حلـوا الذرى حمـر الذرا
سـم العـداة علـى حيـاء فيـهـم   "لا تعجبـن كذاك" آسـاد الثـرى
كادوا يقـيـلون العـداةَ من الردى   لَو لم يمـدوا كالحجـابِ العثيـرا
حتى ظُبـاهم فـي الحيـاء مثالُهـم   أبـدتْ وقـد أردتْ محيا أحمـرا

5. الوزير إدريس بن جامع

مدح ابن سعيد الوزير أبا العلاء إدريس بن جامع وزير الدولة الحفصية في قصيدة واحدة جاءت في (28) بيتًا، وقد استأذنه فيها بالرحيل إلى المشرق لأداء فريضة الحج.

لزم ابن سعيد العمل تحت إمرة الوزير ابن جامع في تونس لصفات قد رآها فيه، وهي: الكمالُ والجمال والإلمام بصفات الأخيار، فهو من آواه ورحمه في الوقت الذي تخلى عنه الكثير من الناس، يقول(3):

---

(1) النتفة رقم 118 الأبيات 1-2.

(2) القصيدة رقم 91 الأبيات 10-15.

(3) القصيدة رقم 26 الأبيات 9، 12.

(الطويل)

لزمتُك لما أن رأيتُك كاملاً جمالاً وإجمالاً وذاك يحبب
فأنْتَ الذي آويتَني ورحمتَني وذو الرحم الدنيا لِناري يحطب

ويدعو له بالهناء والصون والحفظ، ويدعو على أعدائه بالخزي والعار، يقول[1]:

فلا زِلْتَ يا خَير الكرام مهنأً فَعيشي منْه الموتُ أشْهى وأطْيب
وصانَك من قد صنْتَ في حقه دمي وغَيرك من ثَوبِ المروءة يسلُب

6. أبو العباس الغساني

هو أحد كبار شعراء الأندلس، وصديق الشاعر، وقد مدحه في مقطعة واحدة وصفه فيها بالكرم والجود، يقول[2]:

(الطويل)

سعيتُ إلى ذي الجود في حج فضله فقَابلني منْه القَبولُ الذي عما

وقد مدح ابن سعيد عددا الملوك والأمراء والعلماء في أبيات قليلة، ولم تنقل لنا مصادر الأدب تلك المدائح، منهم الوزير العالم الأديب أحمد أبو المجد الذي كان في حلب، فوصفه بالحلم ورفعة المنزلة والأدب، وأخلاقُه جبلت من عنصر غير موجود على هذه الأرض وهو عنصر الشهب، يقول[3]:

(البسيط)

عرج على حلَبٍ إن كُنْتَ ذا طلَبٍ للعلمِ والحلمِ والعلْياء والأدبِ
واقْرِ السلام بها من بعد لثْمِ ثَرى أرجائِها الأرِجات الأفْق والطنُبِ
على الوزير أبي المجد الذي خُلقَتْ أخْلاقُ سؤْدده من عنْصرِ الشهبِ

([1]) القصيدة رقم 26 الأبيات 27- 28.
([2]) المقطعة رقم 170 البيت الأول.
([3]) القصيدة رقم 35 الأبيات 1-3.

كما مدح أشخاصا لم يذكر أسماءهم، حيث يقول في مدح أحدهم[1]:

(البسيط)

إن غُيبتْ شَمسه؛ فَالْبرقُ مهجتُه   والرعد زفْرتُه؛ والْقَطْر أَدمعه

فوصف ممدوحه بالشمس التي إن غابت فالبرقُ اللامع مهجته، ووصفَ أنفاسه بالرعد، ودموعه بالمطر، فهذا الشخص بهي الطلعة، صارم في تعامله، ومع ذلك فهو رقيق القلب.

(1) البيت المفرد رقم 122.

ثالثًا- الحنين والشوق

قال ابن سعيد الأندلسي في الحنين ما مجموعه (164) بيتًا، منها: (132) بيتًا جاءت في (6) قصائد، و(25) بيتًا جاءت في (6) مقطعات، و(6) أبيات جاءت في (3) نتف، وبيت مفرد واحد.

بحكم كثرة ترحال ابن سعيد وتنقله في البلاد كان للحنين حظ وافر في شعره ، حيث ابتعد عن موطنه الأصلي وهو الغرب الإسلامي إلى المشرق، فأكثر حنينه كان لتلك المدن التي قضى فيها أجملَ أيام عمره، وكان لأهل تلك البلاد نصيب من حنينه الذي ساقه دفاقًا في أشعاره، وقد تحدث عن حنينه لهذه المدن وأهلها ومن لقيهم فيها وفقًا لعدد الأبيات، فجاء حديثي على النحو الآتي:

1. الحنين إلى المدن والأماكن

قال ابن سعيد في الحنين إلى المغرب عامة قصيدةً واحدة، جاءت في (45) بيتًا، حيث كان وقتئذ في مصر، وبدأ قصيدته في موضوع الحنين مباشرة دون أية مقدمات، فيتساءل عن المغرب الذي منذ أن فارقه لم تفارقه دموعه، وإنما كان فراقه للمغرب جهلاً، ولم يعرف قيمة هذا البلد إلا بعد فقدانه، وكذا الأشياء تُعرف قيمتها عندما تذهب، يقول[1]:

(الرمل)

هـذه مصـر فأين المغْرِب؟   مذْ نأى عني فعيـني تَسـكُب

فارقَـتْـه النفْـس جهلاً إنما   يعرفُ الشيءِ إذا ما يذْهـب

ثم يتذكر الأيام التي قضاها في مدن المغرب، فيذكر أيامه في حمص المغرب (إشبيلية) التي لم يلقَ بعدها أياما تسره، ويحن إلى ملذاتها وما قضى فيها من أوقات، يقول[2]:

أين حمـص؟ أين أيامي بها؟   بعدها لم ألْقَ شيـئـًا يعجِب

كم تقَضـى لي بها من لـذة   حيـثُ للنـهرِ خَرير مطْرِب

ويقارن بين نهرها ونهر النيل؛ فشتان ما بين النيل وبين نهرها الذي تحيطه الأطيار المطربات من كل جانب، يقول[3]:

أين حسن النـيل من نَهرٍ بها   كُل نَغْـمـات لَديـه تُطْـرِب

(1) القصيدة رقم 29 الأبيات 1-2.

(2) القصيدة رقم 29 الأبيات 3-4.

(3) القصيدة رقم 29 البيت 13.

ويحن إلى الجزيرة الخضراء التي قضى فيها أياما لاتُنسى، والتي ما إن يتذكّرها حتى تنقلب أنفاسه حرى هما وغما، ويحن إلى بحرها الهادرِ الذي ترتعب الأغصان فتهتز من صوته كما ترتعب الحيوانات الصغيرة من الأسود، يقول[1]:

(الرمل)

بلْ على الخَضراء لا أَنْفَكُ من زفْـرة في كُل حيـنٍ تَلْـهب

حيثُ للبحـرِ زئيـر حولهـا تُبصر الأغْصان منْه تَرهـب

وفي القصيدة نفسها يحن إلى مالقةَ التي يهفو فؤاده إليها كقلب العاشق المفارق، ويحن إلى أبراجها التي طالما شرب فيها، يقول[2]:

وإلى مالِقَـة يهـفـو هوى قلْـب صب بالنوى لا يقْلَـب

أيـن أبراج بها قَد طالمـا حث كأسي في ذَراها كوكـب

ويبكي ابن سعيد دما على أيام النعيم التي قضاها في مرسية، يقول[3]:

وعلى مرسـيـة أبكـي دما منْـزِلٌ فيه نَعيـم معـشـب

أما غرناطةُ؛ فقد أفرد الشاعر لها قصيدة خاصة، جاءت في (35) بيتًا، بدأها بمقدمة غزلية في (18) بيتًا، ثم تذكر أيامه على نهرها شنيلَ، والأغصان من حوله، والطيور تغرد كأنها وقفت تُلقي خُطَبا، يقول[4]:

(الطويل)

ويا رب يـومٍ لا أقـوم بِشُـكْـرِهِ علـى أنني ما زِلْتُ أُثْني وأُطْنـب

على نَهرِ شَـنـيلِ وللقُضبِ حولنا منابِر ما زالَتْ بِها الطيـر تَخْطُب

وقال قصيدةً يحن فيها إلى الجزيرة الخضراء جاءت في (17) بيتًا، وقد بدأها بسؤال النسيم الذي يأتي من جهة الغرب عن تلك النواحي، والنورِ الذي كان يراه في تلك البطاح،

([1]) القصيدة رقم 29 الأبيات 21-22.

([2]) القصيدة 29 الأبيات 30-31.

([3]) القصيدة رقم 29 البيت 34.

([4]) القصيدة رقم 31 الأبيات 19-20.

ويسأل عن حالها مع الغيث الذي كان سحا عليها إن كان ريا لها كعهده بها أم جفاها بعد خروج الشاعر منها، يقول[1]:

(الخفيف)

يا نَسيما من نَحوِ تلْك النواحي	كيـفَ باللهِ نُور تلْـك البِطـاحِ
أسقَتْها الغَمـام ريـًا فَلاحـتْ	فـي رداء ومِـئْـزرٍ ووِشَـاحِ
أم جفَتْـه فَصيـرتْه هشيمـًا	تَركَتْـه تَذْروه هـوج الريـاحِ

ويحن إلى أصحابه وأحبابه الذين ذهبوا عنه فتركوه أسير الوجد والشوق، يقول[2]:

أين قَوم أَلِفْـتُـهـم فيك لَمـا	قَرب الدهـر آذَنـوا بِالـرواحِ
تَركُوني أسيـر وجد وشَـوق	ما لِقَلْبي من الجوى من سـراحِ

ولم يكن حنين ابن سعيد وشوقه للمغرب فحسب، بل كان هناك من مدن المشرق ما ترك في قلبه ذكرى جميلة، فهو يحن إلى حلب التي كانت مقر غرامه وقبلةَ شوقه، ويدعو لأحيائها وضواحيها كجوسق وبطياس والسعداء بالسقيا والغيث، يقول[3]:

(الخفيف)

حلَـب إنهـا مـقَـر غَـرامي	ومـرامـي وقبـلَـةُ الأشْـواق
لا خَلا جوسقٌ وبِطْياس والسعـ	ـداء من كُـل وابِـلٍ غَيـداق

وفي مقطعة أخرى يذم الشاعر الغربةَ والتغرب، ويحن إلى الوطن، فالغريب يرى كل شيء غريبا عنه، وهو إن عاد إلى وطنه سيعترف بحق هذا الوطن عليه، إذ لم تكن غربتُه إلا ضياعا للعمر، يقول[4]:

(الكامل)

ويح الغَريبِ تَوحشَتْ أَلْحـاظُـه	في عالَـمٍ ليسـوا له بِشَبِـيه
إن عاد لي وطَني اعتَرفْتُ بِحـقه	إن التغَـرب ضاع عمري فيه

([1]) القصيدة رقم 62 الأبيات 1-3.

([2]) القصيدة رقم 62 الأبيات 6-7.

([3]) المقطعة رقم 142 الأبيات 2-3.

([4]) المقطعة رقم 186 الأبيات 3-4.

2. الشوق إلى الأصحاب والأحباب

كتب ابن سعيد قصيدة يعبر فيها عن شوقه لصاحبه الشاعرأبي العباس الغساني بعد أن وصله كتاب منه، حيثُ أثار هذا الكتاب الشوق والحنين في قلب الشاعر، ووصل في وقت كان فيه أفق الشاعر حالكًا مظلما فأناره، وشفى ما في صدره من ألم الحنين وعطش اللقاء، يقول[1]:

(الكامل)

أطْلَعـتَ في لَيل التشَوق أنْجمـًا   لَمـا بعثْـتَ مسـائِلاً ومسـلما
لَولا كتَـابك ظَلْـتُ فيه حائِـرا   حيثُ اتجهـتُ رأَيتُ جنْحا مظْلما
وافَـى وأُفْـقي حـالِك فَأنَـاره   وأُوام شَوقي مؤْلِم فَشَـفَى الظـما

وفي قصيدة أخرى يحن ابن سعيد إلى قوم كانوا معه بحصن أُركش بإشبيلية، ويتذكر أيامه التي قضاها بصحبتهم حتى فارقهم كارها، ويزداد شوقُه إليهم كلما هبت الرياح من ناحيتهم، فجعل قلبه طائرا إليهم على جناح شوقه، يقول[2]:

(مجزوء الكامل)

كرها فَقَـدتُهـم فما   لي بعد بعـدهم ارتيـاح
لِله شَوقي إِن هفَـتْ   من نَحـوِ أَرضهم الرياح
فَهنـاك قَلْبِي طَائِـر   لَهم ومن شَـوقي جنـاح

ويحن ابن سعيد إلى أحبابه في مقطعة أخرى، ويطلب منهم العودة بعد التغرب، إذ لا يريد منهم شيئًا سوى العودة، بل هو يداريهم ويجتهد في ذلك حتى زاد هذا الاجتهاد عن حده وكأنه أراد أن يغيظَهم بكثرة إلحاحه حتى لا يعودوا، يقول[3]:

(الكامل)

أَحبابنَا عودوا علَيـنَا عودةً   ما منْكُم بعد التـفَـرق مرغَب
كَم ذا أُداريكُـم بِنَفْسي جاهدا   وكَأَنما أُرضيـكُـم كَي تَغْضبوا

([1]) القصيدة رقم 169 الأبيات 1-3.

([2]) القصيدة رقم 53 الأبيات 12-14.

([3]) المقطعة رقم 28 الأبيات 1-2.

ويقول من أبيات يحن فيها إلى بعض جيرانه[1]:

(الكامل)

لِي جيرةٌ ضنوا عليّ وجـاروا فَنَبتْ بِي الأوطَان والأوطَـار

ومن العجائِبِ أنني مع جورِهم ما قَر لِي بعد الفُـراق قَـرار

فجيرانُه بخلوا عليه وأمسكوا عنه، وجاروا عليه، ففارقهم وذهب عنهم، ولكن العجيب أنه مع ذلك البخل والجور يحن إليهم ولا يقدر على فراقهم.

لقد كان ابن سعيد في حنينه رقيق القلب، مرهف الإحساس، دفاقًا بالعواطف، فهو يصور يوم الفراق بالطير داعيا على هذا الطير بسلب الجناح، يقول[2]:

(الخفيف)

إن يوم الفُـراق بـدد شَمـلي طائِـرا لَيـتَـه بِغَـيـرِ جنـاحِ

([1]) التتفة رقم 94.

([2]) القصيدة رقم 62 البيت 15.

رابعا- الإخوانيات

قال ابن سعيد في الإخوانيات ما مجموعه (113) بيتًا، منها: (71) بيتًا جاءت في (3) قصائد، و(32) بيتًا جاءت في (9) مقطعات، و(10) أبيات جاءت في (5) نتف. وقد كتب ابن سعيد إلى أصحابه وأحبائه في مناسبات عديدة، وجاءت دراستي لهذه الأشعار على النحو الآتي:

1. التهنئة

قال ابن سعيد في التهنئة قصيدة واحدة جاءت في (52) بيتًا، وقد كتبها إلى ابن عمه أبي عبد الله محمد بن الحسين بمناسبة قدومه من هوارة[1] بطرابلس المغرب، وبدأها بمقدمة من (8) أبيات يشكو فيها ألم الفراق والبعد عن ابن عمه، ومدحه في (14) بيتًا، ثم انتقل إلى تهنئته بالعودة إلى تونس مثل الشمس التي تطلع في وقت الحاجة إليها، وتغيب بطلوعها الكواكب، وهو إن ساد أرضا فكل من على تلك الأرض تبع له، يقول[2]:

(الطويل)

ألا فَهنـيئـًا أن رجعتَ لِتُونُسٍ	فأطْلَعتَ شَمسا والسفار غُروب
كواكبها تَبدو إذا ما تَركْـتَـها	وقد جعلتَ مهما حضرتَ تَغيب
إذا سدتَ في أرضٍ فَغَيرك تابع	عـلاك، ومهما ساد فهو مريب

ويحذره من الوشاة والحاسدين الذين قد يوقعون بينهم، ويفضلُ صحبة الذئاب على صحبتهم، فكلامهم كالشهد لكن أفعالهم كالسم، وهو بعد التجارب التي لقيها معهم سيرحلُ عنهم، إذ ليس هناك شيء مما يفعلونه قد يثابون عليه، يقول[3]:

صحاب هم الداء الدفين فَلَيتَني،	ولم أدن منْهم، للذئابِ صحوب
كلامهم شَهـد ولكـن فعالُـهـم	كسم له بين الضـلـوع دبيب
سأرحلُ عنْهم والتجارب لم تَدع	يقَلْبي لهم شَيـئـًا عليه أُثيـب

(1) قبيلة من البربر. ينظر: الناصري، الاستقصا، 169/1.

(2) القصيدة رقم 32 الأبيات 23-25.

(3) القصيدة رقم 32 الأبيات 41-43.

وهو يدعو له في آخرها بالسرور ما دام حيا، فالشاعر كئيب وحزين منذ أن دخل الوشاة بينه وبين ابن عمه، يقول[1]:

(الطويل)

قدم في سرورٍ ما بقيـتَ فإنـني وحقـك مـذْ دب الوشاةُ كئيـب

2. الاعتذار

كتب ابن سعيد إلى صاحبه أبي العباس الإشبيلي يعتذر إليه عن سوء تفاهم حصل بينهما، فأبو العباس هو الأستاذ والمعلم، وابن سعيد هو التلميذ الذي مهما بلغ من الأدب فلن يخلو من الزلل والشغب، وكل من هم في مجال الأدب يتطلع إلى السبق والغَلَب، وكل كلامٍ قاله الشاعر إنما كان على غير وعيٍ منه، وفي لحظة من النشوة الأدبية، يقول[2]:

(البسيط)

عذْرا لِفَضلك يا أُستاذُ من صخَبي إذْ لَيس يخْلو ذَوو الآدابِ من شَغَبِ

فَالْكُل منْهم يروم السبقَ مجتَـهدا لِكَي يرى سابِقـًا نَوعا من الغَلَـبِ

وما نَطَقْـتُ بِشَيء قَد نَطَقْتُ بِه إلا وقَد ملَـكَـتْـني نَشْـوةُ الأدبِ

واعتذر ابن سعيد أيضا إلى ابن عمه عن زلة قام بها، وطلب منه ألا يضيقَ بها صدرا، يقول[3]:

(الطويل)

ومن بعد هذا قَد أَتَيتُ بِزلـة أَما حسن أَن لا تَضيقَ بِها صدرا

3. الوداع

أرسل ابن سعيد إلى ابن عمه يودعه وداعه لأيام الربيع الجميلة، وهذا الوداع كسر ضلوع الشاعر وأفاض دموعه، يقول[4]:

(الطويل)

وداع كما ودعتَ فَصـلَ ربيـعٍ يفُض ضلُوعي أَو يفيض دموعي

---

(1) القصيدة رقم 32 البيت 52

(2) المقطعة رقم 39 الأبيات 1-3.

(3) المقطعة رقم 89 البيت الأول.

(4) النتفة رقم 125 البيت الأول.

أما وداعه لصاحبه أبي المجد محمد بن عبد الله فقد كان على طريقة أخرى، حيث أعلن الشاعر صيامه منذ ذهاب أبي المجد إلى يوم عودته الذي سيكون يوم الفطر والعيد، يقول[1]:

(الطويل)

لِئِن نَذَروا صوما لأول أوبة فنَذْرِي صومي منْذُ يوم ذَهابِه

إلى أن يمن اللهُ لي بلقـائِه فأجعلَ يوم الفطْرِ يوم إيابِـه

4. الدعاء

كان ابن سعيد ذا علاقات اجتماعية واسعة، فلا يكاد يترك مناسبة لأحد أصحابه إلا ويكتب إليه فيها، انظر إليه يدعو لأحد أصحابه بعد أن علم أنه كان مريضا[2]:

(الكامل)

يا شَمس آفَاق المروءة لا بدا أبدا لِضدك في الزمانِ شُروقُ

وبقيتَ فَوقَ الحاسدين بِمكْنَة أبدا على رغْمِ العـدو تَفُـوقُ

فهو يدعو على أعدائه بالزوال والأفول، ويدعو له بالمكنة والتفوق على أعدائه وحاسديه.

وعجبا له في هذا الدعاء الرقيق لصاحبه إبراهيم بن سهل الإسرائيلي، الذي كان يهوديا، فدعا له أن يموت على ملة الإسلام وفي ذلك تكون السلامة، ويدعو الله أن يجمعه به في جنات عدنٍ حيث إن ابن سهل لا يستحق أن يكون في جهنم – في نظر الشاعر-، يقول[3]:

(الطويل)

وإني لأرجو أن تَكُون وفَاتُه علَى ملة الإسلامِ كيما يسلَما

وأَلْقَاه في جنات عدنٍ مخَلدا فليس بِأَهلٍ أن يحـل جهنما

فيا له من دعاء يتمناه كل إنسان مسلم.

([1]) النتفة رقم 33.

([2]) المقطعة رقم 139 الأبيات 3-4.

([3]) النتفة رقم 168.

5. الدعوة إلى المجالس

بعد دراستي للمجالس في غرض الوصف عند ابن سعيد، وما جاء فيها من لهوٍ وغيره، وما ظهر من حبه لها، فلا بد لها من مشاركين في تلك المجالس الذين كان يدعوهم إليها على طريقته الخاصة، فها هو يكتب إلى أحد أصحابه واسمه أبو العباس أحمد بن بلال يدعوه ليوم أُنس، ويغريه بالملذات التي انقادت إليه في ذلك اليوم من جو رائق حوله، وندامى، وخمرٍ، وطيور، وأغصانٍ، ومياه، يقول[1]:

(الوافر)

أبا العباس، لو أبصـرتَ حولي   نَدامى بادروا العيـشَ الهنـيا

يبيـيحـون المـدام ولا انْتـقَاد   وقَارهـم ويـزدادون غَـيـا

وقد صدح الحـمام ومالَ غُصن   وأمسى النهـر صبـًا أريحيا

وبعد أن مهد الشاعر لغرضه بهذه الإغراءات التي لا تُقاوم، قام بدعوة صاحبه على ما عهد فيه من تلبية ومبادرة وذوق رفيع، يقول[2]:

فَبادر نَحـو نَاد ما خَـلا من   نَداك فقَد عهـدتُك لوذَعيـا

أما إبراهيم بن سهل فلم يحتج إلى تلك المقدمات الرطبة، فهو صاحب الشاعر وأنيسه في هذه الأوقات، لذلك دعاه ابن سعيد إلى مجلسه مباشرة، مذكرا إياه بما تعودا عليه، يقول[3]:

(الطويل)

هلُـم أبا إسحـاقَ نَحو نَزاهـة   كَمثْل التي عودتَ بالدوحِ والنهـرِ

([1]) القصيدة رقم 189 الأبيات 1-2، 6.

([2]) القصيدة رقم 189 البيت التاسع.

([3]) المقطعة رقم 110 البيت الأول.

6. العتاب

كتب ابن سعيد إلى بعض أصحابه وأحبائه مودعا وداعيا ومهنئًا؛ ولكنه كتب إلى آخرين معاتبا ومفاتشًا في ظلمٍ وقع عليه أو جفاء صار له، فهو يعاتب أحد الأمراء بتأخر منزلته عنده بعد أن كان من المقربين، فأصبح بذلك مثل الأجربِ بين أقرانه، والكل يحذر من جنابه، يقول[1]:

(الكامل)

ولقـد كسبتُ بكـم عـلاً لكنها　　　صارتْ بأقـوال الوشـاة هبـاء
فَغَدوتُ ما بين الصحابة أجربا　　　كُـل يحـاذر منـي الأعـداء

وعاتب محمدا بن محارب ناظر الديوان بالإسكندرية بعد أن احتجب عنه بحكم أنه مغربي بقوله[2]:

(المجتث)

إن سـد بابك عني　　　فـكـم إلى اللهِ بـاب
وإن أكُـن مغْرِبيـًا　　　فلي معـانٍ غـراب

فأبواب الله واسعةٌ إن سد باب هذا الحاجب، وإن يكن الشاعر مغربيا فكذلك معانيه وأشعاره غريبة تروق السامعين.

ويذكره بأنه يملي على الناس كُتب التأدب، ويروى عنه الصواب؛ ثم لا ينصتُ لابن سعيد! فهل هذه هي الآداب؟ يقول[3]:

كُتْب التـأدبِ تُملي　　　وعنْك يروى الصواب
ولا تُصـخْ لِمثْـلي　　　أهـكـذا الآداب

([1]) القصيدة رقم 1 الأبيات 1-2.

([2]) المقطعة رقم 23 الأبيات 2-3.

([3]) المقطعة رقم 23 الأبيات 4-5.

خامسا- الغزل

وجدتُ لابن سعيد في الغزل ما مجموعه (93) بيتًا، منها: (62) بيتًا جاءت في خمس قصائد، و(22) بيتًا جاءت في ست مقطعات، وثمانية أبيات جاءت في أربع نتف، وبيت مفرد واحد، كما قال غزلاً ونسيبا في مقدمات بعض القصائد التي لم أتطرق إليها في الدراسة لأنها لا تخرج عن طبيعة الغزل الذي درسته، وقد انقسم غزل ابن سعيد إلى قسمين، هما:

1. الغزل بالمؤنث

بلغ الغزل بالمؤنث عند ابن سعيد ما مجموعه (69) بيتًا، منها: (53) بيتًا جاءت في أربع قصائد، وأحد عشر بيتًا جاءت في مقطعتين، وأربعة أبيات جاءت في نتفتين، وبيت مفرد واحد، وقد درست هذه الأشعار وفق الآتي:

أ. وصف الجسم كلّه

وصف ابن سعيد جسم محبوبته أو من تغزل بهن بصفات عامة حوت محاسن الجسم كُله، فمحبوبته ليس لها مثيل من البشر في جمالها، وهي كالبدر في تمامه، يقول[1]:

(الطويل)

وبِي بدر تم قَـد ذَلَلْـتُ لِحسنـه   فَمن ذَا الذي فيما أَتَيـتُ يوبـخُ

ويقول من نفسها[2]:

فَمـا بشَـر مثْـلٌ لَه في جمـاِله   ووجدي بِه في الْعشْق لَيس لَه أَخُ

ب. وصف أعضاء الجسم متفرقة

وصف ابن سعيد بعضا من أعضاء جسم من تغزل بهن، كلّ واحد بشكل منفرد، وقد كانت أوصافه تقليدية، وتحدثتُ عنها وفق الآتي:

1. الوجه

وصفه ابن سعيد بصفة واحدة، فهو يجلب السعادة والسرور لمن ينظر إليه، يقول[3]:

(مجزوء الرجز)

يا ربـةَ المحـيـا   خَفَـتْ بِه السعود

([1]) المقطعة رقم 65 البيت الثالث.

([2]) المقطعة رقم 65 البيت السادس.

([3]) القصيدة رقم 71 البيت الثالث.

2. الخدود

وصفها ابن سعيد بوصف واحد، وهو: البدر المنير، يقول[1]:

(الطويل)

أما خَدك البدر المنير فَلم غَدتْ   تَحل بِهِ عِند القَضـية عقْرب

3. الفم

وصفه ابن سعيد بصفة واحدة، فريقُها هو الخمر الذي يسكر، يقول[2]:

(مجزوء الرجز)

لَم تَسكـرِ الحميـا   بلْ رِيقُك البـرود[3]

4. الجيد

كان جيد محبوبة الشاعرِ جميلاً جدا حتى استغنتْ به عن الزينة والحلي، يقول[4]:

(المتقارب)

أتى عاطلَ الجِيد يوم النوى   وقَد حان موعدنَا للفُراق

5. الأرداف والخصر

وصف ابن سعيد الأرداف فكانت كبيرة فوق طاقة الجسم، أما الخصر فيشبه الخاتم الرقيق، يقول[5]:

(الطويل)

تُحملُه أَردافُـه فَوقَ طَاقَـة   ومن هيف لَو شَاء بِالْخَاتَمِ انْتَطَقْ

6. القوام

وصفه ابن سعيد بصفة واحدة، هي: الغصن النّضير، يقول[6]:

(الوافر)

نَظير قَوامك الغُصن النضير   وحبي فيـك لَيس له نَظيـر

(1) النتفة رقم 27 البيت الثاني.

(2) القصيدة رقم 71 البيت الرابع.

(3) البرود: المخلوط بالثلج؛ **اللسان:** مادة برد.

(4) النتفة رقم 141 البيت الأول.

(5) القصيدة رقم 131 البيت السادس

(6) البيت المفرد رقم 102.

7. **العيون والألحاظ**

وصفها ابن سعيد في مواضع عديدة، فالألحاظُ تسترق النظر إلى الورد، فنظرات العيون تمنعها وتحرسها مثل السيوف الحادة، يقول(1):

(المتقارب)

دعِ اللحظَ يسرح بِورد الخَجلْ فَقَدْ منَعـتْه سيـوفُ المقَـلْ

ج. **الغزل الصريح**

وصف ابن سعيد بعض من تغزل بهن وصفًا صريحا، حتى إنه كان يصف ما يجري أثناء لقائه بهن وصفًا دقيقًا مفصلاً، ففي قصيدة قالها في افتضاض بكر يبدأ معها بالنظرات والإيماء إلى أن يختليا عن الأنظار، فينتقل إلى التقبيل والعناق حتى يصل إلى غايته، فيجدها عذراء لم تُمس، فيسلب منها عذريتها، يقول –وقوله أبلغ من الكلام-(2):

(الكامل)

وخَرِيـدة ما إن رأيـتُ مثـالَها حييتُ من الألْحـاظ بالإيمـاء
فسألتُها سمع الشكاة فَأفْهـمـتْ أن الرقيـب جهيـنةُ الأنْباء
وتَبِعتُـها وسألـتُ منها قُبـلَةً في خَلْـوة من أعينِ الرقَباء
فَثَـنَـتْ علي قَـوامها يتَعـانُق أحيا فؤادا مـاتَ بالبـرحاء
ووجدتُـها لما ملَكْـتُ عنـانَها عـذْراء مثلَ الدرة العـذراء
جـاءتْ إليَ كـوردة محـمرة فتَـركْتُها كعـرارة صفْـراء
وسلبتُها ما احمر منـها صفْـوه فجرى مذابا منْجِـحا لرجائي

د. **وصف حرارة العشق وأثره عليه**

لم يكن الحب والعشق عند ابن سعيد متعةً فحسب، بل كان له أثر سلبي على نفسه وجسمه، فهجر المحبوب أسال دمعه، وأرقه، ومن أجل المحبوب ضعف جسمه ونحل، أما محبوبته فلا ترق ولا تلين، يقول(3):

(الطويل)

وهبـتُ فُؤادي لِلْمبـاسِمِ والْحـدقْ وحكمـتُ في جفْـني الْمـدامع والأرقْ
ولَم أسـتَـطع إلا الوفَـاء لِغَـادرٍ ويا ليـتَـني لَمـا وفَـيـتُ لَـه رفَقْ
ومن أجلـه قَد رق جِسمي صبابـةً ويـا ليـتَـه لَـمـا رآه علَـيـه رقْ

---

(1) المقطعة رقم 148 البيت الأول.

(2) القصيدة رقم 10 الأبيات 1-7.

(3) القصيدة رقم 131 الأبيات 1-4.

مَتَى أَشْتَكي فَيض المـدامع قَالَ لِي خلافُـك قَـد قَاسى المـدامع والْحـرقْ

هـ. الغزل بالمذكر

جاء غزل ابن سعيد بالمذكر في (24) بيتًا، منها تسعة أبيات في قصيدة واحدة، وتسعة أبيات في ثلاث مقطعات، وستة أبيات في ثلاث نتف. ولم يصرح ابن سعيد بأسماء من تغزل بهم، ولم يذكر جنس أحد منهم إلا واحدا كان تركيا، وأطلق على من تغزل بهم صفات حسية كثيرة، فهو ساحر الألحاظ والعيون، يغوي الناظرين إليه، وحوري من الجنان، وهو النور في الظلماء أو النجم في السماء، وخده مثل التّفاح.

ولابن سعيد مقطعة جميلة في غلام نائم، يقول(1):

(الكامل)

الريح أَقْود ما تَكُـون، فَإِنها تُبدي خَفَايا الردف والأعكَـانِ

وتُميلُ الأغْصان بعـد إبائِها حتـى تُقَبـلَ أَوجه الغُـدرانِ

ولِذَاك العـشاقُ يتخـذُونَها رسلاً إلى الأحبابِ والإخْـوانِ

يلوم ابن سعيد الرياح على ما صنعته بهذا الغلام عندما فضحت منه ما استتر من ردفه وبطنه، كيف لا؟ وهي التي تحني الأغصان حتى تصلَ إلى وجه الماء، لأجل ذلك كله؛ فإن العشاق يتخذونها رسلاً إلى من يحبون ويعشقون.

وقال في غلمان رآهم عندما دخل حماما(2):

(السريع)

دخَلْـتُ حمـاما وقَصدي به تَنْعـيم جِسـمٍ فَغَـدا لي عـذاب

قُلْتُ لَظى فاعتَـرضتْ حوره وقُلْـتُ عـدن فَنَـهاني التهـاب

فانظر كيف تحول هذا الحمام عليه من نعيمٍ وتنعيم إلى عذابٍ والتهاب، بعد أن رأى ما فيه من غلمان في نهاية الحسن ونعومة الأبدان.

---

(1) المقطعة رقم 180 الأبيات 1-3.

(2) المقطعة رقم 13 الأبيات 1-2.

وما أجمل تلك الصورة التي رسمها لغلام تركي في خده خال، ولحيته ملتفةٌ بشكل منتظم على خديه كأنها سلسلةٌ قيده بها مولاه خوف الفرار، يقول[1]:

(السريع)

كأنما الخَالُ على خَدِه ... إذْ لاح في سلْسلَة من عِـذَار

أسيودٌ يخْدم في جنـة ... قَيـده مولاه خَـوفَ الفـرار

إن غزل ابن سعيد في جمله تقليد لمن سلفه، وألفاظه سهلة، معتادة في لغة أهل عصره، ويزخر بالتشابيه البليغة، والصور الفنية الجميلة.

(1) النتفة رقم 85.

سادسا- الخمريات

وجدت لابن سعيد في الخمر ما مجموعه (37) بيتًا، منها: (22) بيتًا جاءت في قصيدتين، وثمانية أبيات جاءت في مقطعتين، وثلاث نتف، وبيت مفرد واحد.

وقد وصف ابن سعيد في هذه الأبيات مجالس شرب الخمر، وسقاتها، وأوانيها، وأثرها على شاربيها، وأسماءها. ومما يظهر من هذه الأبيات أن ابن سعيد كان شاربا لها، ولم أجد دليلاً على تركه لها، بل على العكس من ذلك؛ فقد استمر في شربها حتى مشيبه، يقول[1]:

(الطويل)

يلُومونَني أَن شبتُ في الخَمرِ ضلة   وإني إِذا وافَى المشيـب بِها أَحـقْ

وقد تحدثت عن الخمر عند ابن سعيد وفق الآتي:

1. وصف الخمرة

وصف ابن سعيد الخمرة بعدة أوصاف، منها: مشعشعة، وذهبية اللون، وفضية اللون، وذكر عددا من أسمائها، منها: بنت دسكرة، والقهوة، يقول[2]:

(الرمل)

قَهـوةٌ أبسـم من عجبٍ لها   عندما تَبسـم عجبا عن حبب

حاكَت الخَمر فَلَما شُعشعتْ   قُلْتُ ما للخَمـرِ بالماه الْتَهب

ويقول[3]:

(البسيط)

وانْهض إِلى أُم أُنْسٍ بِنْت دسكرة   تُجلى علَيك بِإِكْـليلٍ من الذهبِ

ويقول[4]:

(الطويل)

إِذا شَاب رأْس الليل بِالْفَجرِ قَربتْ   له أَكْؤُس الصهباء من خَمرة الشفَقْ

([1]) النتفة رقم 130 البيت الأول.

([2]) القصيدة رقم 15 الأبيات 12-14.

([3]) المقطعة رقم 37 البيت الثالث.

([4]) النتفة رقم 130 البيت الثاني.

2. وصف أوانيها

وصف ابن سعيد الأواني والكؤوس التي كانت تُصب فيها، فوصف قدحا من الخمر وقد خجلت الخمرة داخله بعد أن استترت بجداره، يقول[1]:

(المديد)

خَجِلَتْ والسـتْـر يحجـبـها   كيفَ تُخْفي الخَمـرةَ القَـدح

وكؤوسها شابت من طول حبسها نهارا، حيث إنها لا تخرج إلا ليلاً، يقول[2]:

(السريع)

يالله يا حـابسـهـا أَكْـؤُسـًا   شَابتْ لِطُول الحبس، ولى النهار

3. وصف أثرها على شاربها

وصف ابن سعيد أثر الخمرة على شاربها، فهي تطيح به حتى يصير مثل الظبي في أول مشيه، يقول[3]:

(الرمل)

في بِطاح المـرج قد نَادمني   رشَـأٌ من سكْرِه ينْـبـطح

4. وصف مجالس شربها

وصف ابن سعيد أحد مجالس شربها صباحا، وهي تعلن عن دعوة الندامى للاصطباح، ووصف ما في هذا المجلس من ملذات أخرى من لثمٍ للثغور وغناء وشرب، يقول[4]:

(مخلع البسيط)

قد رفعـتْ رايةُ الصـباحِ   تَدعو النـدامى لِلاصطباحِ

فَبـادروا للصـبـوحِ إنني   قد بِعتُ في غَيـه صلاحي

ولا تَميلوا عن رشْف ثَغْرٍ   وسمع شَدوٍ وشُـربِ راحِ

([1]) البيت المفرد رقم 59.

([2]) المقطعة رقم 96 البيت الأول.

([3]) القصيدة رقم 58 البيت الخامس.

([4]) المقطعة رقم 60 الأبيات 1-3.

وابن سعيد لا يبالي إن رآه أحد في ذلك، ولا يسمع أو يقبل نصيحة أحد، حيث إنه في هذا يرى عيشَه، يقول[1]:

(الرمل)

ما أُبـالي أَن رآني كاشـح أَم رآني من لَـديـه نُصـح

هكذا العيشُ ودع عيشَ الّذي خَافَ من نَقْـد إذا يفْتَـضـح

([1]) القصيدة رقم 58 الأبيات 8-9.

سابعا- الرثاء

قال ابن سعيد في الرثاء ما مجموعه (17) بيتًا، منها: (13) بيتًا جاءت في قصيدة واحدة، ونتفتان.

وقد رثى ابن سعيد في شعره شخصين، هما: الوزير أبو العلاء إدريس بن جامع، والملك توران شاه ابن الملك الصالح الأيوبي، وسأتحدث عنهما وفقًا لعدد الأبيات.

قال ابن سعيد في رثاء ابن جامع قصيدة واحدة جاءت في (13) بيتًا، بدأها بالبكاء والحزن على فراقه، إذ لم يكن البكاء من الشاعر فحسب؛ بل كان من السحائب والسواكب، يقول[1]:

(الطويل)

بكَتْ لك حتى الهاطـلاتُ السـواكب وشَقتْ جيوبا فيك حتى السحـائِب

ويشكو ابن سعيد هذا الفراق الذي حال بينهما، ويعزي نفسه بما في صدره من ذكرى عزيزة، يقول[2]:

أيا سـيـدا قد حالَ بيـني وبيـنَـه تُراب حـوتْ ذكراك منه التـرائِب

كما يشكو حاله بعد أن غاب عنه المساعد والمؤازر، فهو لا يعرف لمن يلجأ بعده إن نابت عليه النوائب، ولا يستطيع أن يتحدث مع الأمراء بمثل ذلك المنطق الذي كان عند ابن جامع، فمن سيتحدث عنه اليوم، يقول[3]:

لِمن أَشْـتَـكي إن جار بعدك ظالِـم علَـي وإن نابتْ جنـابي النـوائِب

لِمن أَرتَجي عند الأميـر بمـنْطـق تَحـف به حولي المنى والمواهـب

مع ذلك؛ فابن سعيد يؤمن بقضاء الله وقدره، ويرى في الصبر خير وسيلة وراحة للمرور من هذه المحنة، يقول[4]:

ولكـن قضـاء اللهِ مـن ذا يـرده فَصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب

([1]) القصيدة رقم 22 البيت الأول.

([2]) القصيدة رقم 22 البيت السابع.

([3]) القصيدة رقم 22 الأبيات 8-9.

([4]) القصيدة رقم 22 البيت 11.

وفي نتفة أخرى يقول[1]:

(الطويل)

وطَيب نَفْسي أنه ماتَ عنْدما تَنَاهى ولَم يشْمتْ بِه كُل حاسد

ويحكُم فيه كُل من كَان حاكما عليه ويعط الثـأر كُل معانـد

فمما يريح الشاعر ويطيب نفسه أن ابن جامع مات ولم يشمت به أحد من الحاسدين، ولم يتجبر به أحد من الحاكمين، أي مات حرا بشرف وعزة.

ويرثي ابن سعيد الملك المعظم ابن الصالح بعد أن قتله مماليك أبيه، فهؤلاء المماليك لما رأوه مكملاً بالعقل والحلم حسدوه واجتمعوا على قتله، يقول[2]:

(الكامل)

إِن الطبائِع إِذْ رأَتْه مكمـلاً حسدتْه فَاجتَمعتْ على إِهلاكه

(1) النتفة رقم 79.

(2) النتفة رقم 145 البيت الثاني.

ثامنًا- أغراض أخرى

قال ابن سعيد الأندلسي في أغراض أخرى غير التي تحدثت عنها آنفًا ما مجموعه (17) بيتًا، منها: سبعة أبيات جاءت في مقطعتين، وأربع نتف، وبيتان مفردان، وهذه الأغراض هي: السخرية، والهجاء، والحكمة، وسيكون حديثي عن هذه الأغراض على النحو الآتي:

1. السخرية

يسخر ابن سعيد من حادث وقع له أثناء تنقله في مصر بعد أن ركب حمارا أثار في مشيه ما أثار من الغبار الذي دخل في عينيه مثل الكُحل، وخلفه صاحب الحمار الذي لا يأبه لما يجري لابن سعيد، ويناديه ابن سعيد فلا يلتفت ولا يرد حتى وقع عن الحمار ساجدا على الأرض سجود العثار، وقد غطاه التراب وانطفأ النور في عينيه، يقول[1]:

(المتقارب)

لَقيتُ بِمصر أَشَـد البـوار ... ركُوب الحمـارِ وكُحلَ الغُبـار

وخَلْفي مكَارٍ يفُوقُ الريـا ... ح لا يعرِفُ الرِفْقَ مهما استَطَار

أُنَاديه مهلاً فَـلا يرعـوِي ... إلى أَن سجدتُ سجـود العثَـار

وقد مد فَوقي رواقَ الثرى ... وَأَلْحـد فيـها ضيـاء النـهار

وقال يسخر من رجل اسمه زيد[2]:

(الرجز)

نَحنَح زيد وسعلْ ... لَما رأى وقْع الأسلْ

أما زيد هذا فقد نحنح بصوته وسعل عندما رأى وقع الرماح في إحدى المعارك، وهذا ما يحدث لشخص خاف من شيء فلم يستطع أن يبتلع ريقه.

([1]) المقطعة رقم 84 الأبيات 1-4.

([2]) البيت المفرد رقم 147.

2. الهجاء

يبدو أن لسان ابن سعيد كان حلوا مهذبا؛ إذا لم أجد له في الهجاء سوى نتفتين، يدعو في واحدة منهما على شخص بالمرض والسقم في عينيه، وسؤال الناس حاجتَه، يقول(1):

(الخفيف)

كم جفَاني ورمتُ أدعو عليه فتَوقفْـتُ ثُم نَاديتُ قَائِلْ

لا شَفَى اللهُ لَحظَه من سقَامٍ وَأراني عذَاره وهو سائِلْ

وفي الأخرى يذم أهل مصر ويشكو بخلَهم، يقول(2):

(المجتث)

كَم ذَا تُقـيـم بِمصـر مـعـذبـًا بِـذَويـهـا

وكَيـفَ تَرجو نَداهـم والسـحـب تَبخَـلُ فيها

فمهما تقيم فيها من الوقت ستبقى معذبا بما تراه من أهلها، الذين لا يرجى منهم كرم ولا إحسان، كيف لا؟ وسماؤها تبخل على أرضها بالمطر.

3. المفاضلة

يفاضل ابن سعيد بين المشرق والمغرب مفضلاً المغرب على المشرق، ويرد على أحد من فضلاوا المشرق، فقول هؤلاء ليس إلا بهرجا لا قيمة له، وإن كانت الشمس تطلع من المشرق فإنها تبيتُ في المغرب، حيث المهاد الرحب، الرائحة الطيبة، يقول(3):

(مخلع البسيط)

يفْخَر بِالشـرق أَهلُ فَخْـرٍ قَولُهـم بهرج شَتَـيتُ

قَالوا: لنَا الشمس في طُلُوعٍ قُلْنَا لَهم: عنْد من تَبِيتُ؟

تَبِيتُ حيثُ المهـاد رحب والليلُ فيه مسك فَتـيتُ

(1) النتفة رقم 154.

(2) النتفة رقم 185.

(3) المقطعة رقم 42 الأبيات 1-3.

4. الحكمة

لابن سعيد في الحكمة أبيات معدودة لا تكاد تُذكر، ولكن لا بد من الإشارة إليها، ومنها قوله في التسليم للمقدور[1]:

(الطويل)

إذا لم يكُن إلا الأسنةَ مركَب فَلا رأْي للمضطَر إلا ارتكابها

فهو يرى أن الإنسان إذا لم يكن له بد من ركوب الخطر فليس عليه إذا كان مضطرا إلا ركوبه.

(1) البيت المفرد رقم 25.

الفصل الثالث- شعر ابن سعيد الأندلسي؛ دراسة فنية

أولاً- الشكل والبناء.

ثانياً- اللغة.

ثالثاً- الموسيقا.

رابعاً- الصنعة البديعية.

خامساً- الصورة الشعرية.

أولاً- الشكل والبناء.

جاء شعر ابن سعيد الأندلسي في أربعة أنماط، هي:

- القصائد، وحازت على النصيب الأكبر من شعر ابن سعيد، حيث بلغ عدد القصائد التي جاءت في سبعة أبيات أو تجاوزتها (39) قصيدة ضمت (664) بيتًا.
- المقطعات، وهي المقطوعات الشعرية التي يتراوح عدد أبياتها ما بين (3 و6) أبيات، وبلغ عددها في شعر ابن سعيد (73) مقطعة ضمت (287) بيتًا.
- النتف، وهي المقطوعات التي جاءت في بيتين فقط، وبلغ عددها (59) نتفة.
- الأبيات المفردة، وبلغ عددها في شعر ابن سعيد (20) بيتًا.

ومن الواضح أن كثيرا من المقطعات والنتف والأبيات المفردة عبارة عن بدايات لقصائد طويلة، ويدل على ذلك ما علق به المقري على عدد من الأبيات والقصائد من قوله: "وهي طويلة"[(1)]، أو"وقوله من قصيدة"[(2)] فيها من تصريع في أوائل بعضها وعدم اكتمال المعنى في بعضها الآخر، ومن ذلك قوله متغزلاً في بيت مفرد[(3)]:

(الوافر)

نَظير قَوامك الغُصن النضير   وحبي فيـك لَيس له نَظيـر

فيبدو أن هذا البيت مطلع قصيدة لم تصل إلينا.

وبما أن القصائد شكلت أكثر من النصف في شعر ابن سعيد، فستكون دراستي للشكل والبناء معتمدةً على هذه القصائد وذلك من حيث: المطلع، والمقدمة، والتخلص، والخاتمة.

---

(1) المقري، نفح الطيب، 47/3.

(2) المقري، **م.ن،** 34/3، 35.

([3]) البيت المفرد رقم 102.

1. المطلع

المطلع أولُ ما يقع في السمع من القصيدة، والدالُ على ما بعده، المتنزلُ من القصيدة منزلة الوجه والغرة، فإذا كان بارعا وحسنًا كان داعيا إلى الإصغاء والاستماع إلى ما بعده.(1)

اعتنى ابن سعيد بمطالع قصائده عنايةً كبيرة، وأولاها من الاهتمام ما تستحق، فالمطلع هو المفتاح الّذي يدخل به إلى القصيدة، فعليه أن يكون قويا متينًا، لأن كل ما يأتي بعده مبني عليه، وقد أحسن ابن سعيد اختيار مطالع قصائده، فانظر إليه في مطلع قصيدة يرثي أبا العلاء ابن جامع(2):

(الطويل)

بكَتْ لك حتى الهاطـلاتُ السـواكب وشَقَتْ جيوبا فيك حتى السحـائِب

فطبيعة الموضوع هنا تحتاج إلى مثل هذه الرصانة في بناء المطلع، إضافةً إلى استخدامه البحر الطويل الذي أمد المطلع شيئًا من القوة والرزانة، كما أن البكاء وشق الجيوب والدموع المشبهة بالمياه الغزيرة يلائم الغرض من القصيدة وهو الرثاء.

ويقول في مطلع قصيدة يهنىء ابن عمه(3):

(الطويل)

أَما واجِب أن لا يحولَ وجيـب وقَد بعـدتْ دار وحان حبيـب

فمطلع هذه القصيدة يوحي للسامع أن الشاعر سيتحدثُ عن أمرٍ واجب، وهو تهنئةُ ابن عمه ومدحه، فهذا المطلع يشكلُ عنوانًا عريضا للقصيدة.

ويبث ابن سعيد مشاعر الشوق والحنين إلى الجزيرة الخضراء في مطلع إحدى القصائد قائلاً(4):

(الخفيف)

يا نَسيما من نَحوِ تلْك النواحي كيـفَ يالِلهِ نُور تلْـك البِطـاحِ

---

(1) ينظر: يوسف بكار، بناء القصيدة العربية، ص269.

(2) القصيدة رقم 22 البيت الأول.

(3) القصيدة رقم 32 البيت الأول.

(4) القصيدة رقم 62 البيت الأول.

فنداء النسيمِ وسؤالُه يعبران عن مدى هذا الشوق والعناء الذي يتكبده الشاعر ببعده عن ذلك المكان.

2. المقدمة

إن وصفُ الأطلال والوقوف عليها وسؤالها وتحيتها والدعوة لها بالسقيا من أهم عناصر المقدمة التقليدية التي حافظ عليها شعراء الأندلس حتى وقت متأخر.[1]

وظل ابن سعيد في مقدمات قصائده متبعا لتقاليد الشعر العربي في المشرق، فكانت مقدمات قصائده تقوم على ذكر الديار والمنازل، أو الغزل والنسيب، أو الخمر.

ففي ذكر الديار والمنازل يبدأ إحدى قصائده بمقدمة جاءت في ثلاثة أبيات، يقول[2]:

(الخفيف)

يا نَسيما من نَحوِ تلْك النواحي كيـفَ بالله نُور تلْـك البطـاحِ

أَسقَتْها الغَمـام ريـًا فَلاحـتْ فـي رداء ومـئْـزرِ ووِشَـاحِ

أَم جفَتْـه فَصيـرتْه هشيمـًا تَركتْـه تَـذْروه هـوج الريـاحِ

ويبدأ بعض قصائده بالغزل والنسيب، ثم ينتقل إلى غرضه مدحا أو وصفًا أو غيرهما، ففي مقدمة قصيدة يمدح فيها ابن عمه يقول[3]:

يا أَتَم الأنَـامِ حسنـًا، أَما تُحـ ـسن حتى يتـم إِطْـراء مادح

يا زمان الوِصـال عـودا فَإِني طَوحتْ بِي لَما غَدرتَ الطـوائِح

أَين عيشُ العروسِ إِذْ يبطَح السكْـ ـر حبيبي ما بين تلْك الأَباطـح

والأماني تَتْـرى ولا أَحـد ينْـ ـصح إِذْ لا يصغَى لِقَول نَاصح

وزمان السرورِ سمـح مطيـع ورسولُ الحبيـبِ غـاد ورائِـح

ولَـكَم لَيـلَـة أَتاني بِلا طيـ ـبٍ ولكن يزري بِأَذْكى الروائِح

هو طَبـي فَلَيس يحتاج طيبـًا قَد كَفاه عرفٌ من المسـك فَائِح

---

[1] ينظر: هدى بهنام، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي، ص13.

[2] القصيدة رقم 62 الأبيات 1-3.

[3] القصيدة رقم 48 الأبيات 3-9.

أما الخمر فقد كان لها في مقدمات قصائده نصيب لا بأس به، ومن ذلك قوله من قصيدة وصف[1]:

(الوافر)

أبا العباس، لو أبصرتَ حولي ... نَدامى بادروا العيشَ الهنيا
يبيحون المدام ولا انتقاد ... وقارهم ويزدادون غَيا
وهم مع ما بدا لك من عفَاف ... يحبون الصبيةَ والصبيا
ويهوون المثَالثَ والمثَاني ... وشُرب الراحِ صبحا أو عشيا

ويبدأ ابن سعيد بعض قصائده بوصف المناظر الطبيعية وما جادتْ به طبيعة الأندلس، ومن ذلك قوله في قصيدة حنين إلى غرناطة[2]:

(الطويل)

أغنني إذا غَنى الحمام المطْرب ... بكأسٍ بها وسواس فكْري ينْهب
وملْ ميلةً حتى أعانقَ أيكةً ... وألْثم ثغْرا فيه للصب مشْرب
ولم أر مرجانًا ودرا خلالهَ ... يطيفُ به ورد من الشهد أعذَب
فديتُك من غُصنٍ تحمله نقًا ... تطلع أعلاه صباح وغَيهب
وجنتُه جناتُ عدنٍ وفي لظى ... فُؤادي وما لي من ذُنُوبٍ تُعذب

وفي قصائد أخرى كان ابن سعيد يدخل إلى غرضه مباشرة دون أي مقدمات، ومن ذلك قوله في الحنين إلى المغرب[3]:

(الرمل)

هذه مصر فأين المغْرب؟ ... مذْ نأى عني فعيني تسكُب
فارقتْه النفْس جهلاً إنما ... يعرفُ الشيء إذا ما يذْهب
أين حمص؟ أين أيامي بها؟ ... بعدها لم ألقَ شيئًا يعجِب

---

(1) القصيدة رقم 189 الأبيات 1-4.
(2) القصيدة رقم 31 الأبيات 1-5.
(3) القصيدة رقم 29 الأبيات 1-6.

3. التخلص

وهو أن يستطرد الشاعر من المعنى إلى معنى آخر يتعلق بالموضوع الرئيس بتخلصٍ سهل يختلسه اختلاسا رشيقًا دقيقَ المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كأنهما أُفرغا في قالبٍ واحد.[1]

وقد أجاد ابن سعيد هذا الأمر أيما إجادة، فانظر إليه في قصيدة يمدح فيها ملك إفريقية أبا زكريا الحفصي، يقول في مطلعها[2]:

(السريع)

برح بي من ليس عنْه براح	ومن رأى قتْـلي حلالاً مبـاح

ثم ينتقل إلى مقدمة غزلية، منها[3]:

من صـرح الدمع بحـبـي له	وما لقلْـبي عن هواه سـراح
ظَبي عدمتُ الصبح مذْ صـدني	وكيفَ لا يعـدم وهو الصباح
مورد الخَـد شَهـي الـلمـى	منَعـم الردف جديب الوشـاح

ثم يحسن التخلص بدخوله إلى الغرض الأساسي بقوله[4]:

من ذا الذي يبـخَلُ في تُونُسٍ	والملْح فيها صار عذْبـًا قَـراح
وأصبـحـتْ أرجـاؤُها جنةً	مبيـضةَ الأبراجِ خُضر البطَاح
لولا نَـدى يحـيى وتَدبيـره	ما برحتْ تَغْبـر منْها النـواح
لكـن يـداه سحـب كُـلـما	حلـتْ بِأرضٍ حل فيها النجاح

4. الخاتمة

اعتنى ابن سعيد بأبيات قصائده كاملة، من مطالعها حتى خواتيمها، وهو في أكثر قصائده يلفت انتباه السامع إلى النهاية وختام القصيدة، واستخدم للدلالة على ذلك نمطين، هما:

([1]) ينظر: ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 329/1.

([2]) القصيدة رقم 44 البيت الأول.

([3]) القصيدة رقم 44 الأبيات 2-4.

([4]) القصيدة رقم 44 الأبيات 10-13.

حمد الله، سبحانه وتعالى، والدعاء للممدوح والموصوف، قال يحمد الله ويدعو لأبي زكريا الحفصي في أواخر قصيدة مدحه فيها(1):

(السريع)

فَالْحَـمْـد للهِ على كُـل مـا	سنى لَكَ السعد بِرغْـمِ اللواح
مِثْـلُـكَ لا ينْـقَـد ما شـاده	فَلستَ تَأْتي الدهر إلا صلاح
لا زِلْـتَ في عزٍّ وفي مكْـنَة	وفي سرورٍ دائِـمٍ وانْفسـاح

وله يختم قصيدةً مدح فيها الوزير أبا العلاء بن جامع(2):

(الطويل)

فلا زِلْـتَ يا خَير الكـرامِ مهنـأً	فَعيـشي منْه الموتُ أَشْهى وأَطْيـب
وصانَكَ من قد صنْتَ في حقه دمي	وغَيـرك من ثَوبِ المروءة يسلُـب

وهو يعتذر عن تقصيره في مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، ويلقي عليه التحيةَ والسلام، بقوله(3):

(الكامل)

لَم أَستَطـع حصـرا لِما أُعطيـتَه	فَذَكَرتُ بعضـًا واعتـذَارِي منْشد
ماذا أَقُـولُ إِذَا وصفْـتُ محمـدا	نَفـد الْكَـلام ووصفُه لا ينْـفَـد
فَعلَيـك يا خَيـر الخَلائِق كُـلها	مني التحيـةُ والسـلام السرمـد

إذن من خلال ما تقدم نجد أن ابن سعيد بنى قصيدته بناء تقليديا في أغلب الأحيان، وأقامها على أسس فنية متينة، اكتسبها من مخالطته لعدد كبير من الشعراء، وهذا البناء لا ينطبق على المقطعات والنتف والأبيات المفردة.

(1) القصيدة رقم 44 الأبيات 40-42.

(2) القصيدة رقم 26 الأبيات 27-28.

(3) القصيدة رقم 69 الأبيات 51-53.

ثانيا- اللغة

1. الألفاظ

تخير ابن سعيد ألفاظه، وتوسع في تشكيلها، ما أضفى على شعره شيئًا من الرقة والجمال، وسأدرس هذه الألفاظ من الجوانب الآتية:

أ. السهولة والوضوح

امتاز ابن سعيد بالدقة في انتقاء ألفاظه وصياغتها على هذا النحو الذي خرجت عليه، إذ إن الألفاظ وحدها لا تؤدي أي دورٍ في مجال المعنى ووضوحه، فبرع الشاعر في صياغة ألفاظه وبنائها، ومما لا شك فيه أن ابن سعيد قد حظي بمعجمٍ لغوي واسع وكبير بعدما سافر في البلاد شرقًا وغربا، فكانت لديه الألفاظ المشرقية والمغربية، يحاكي كل أُناس بما يفهمون، نتيجةً لذلك؛ ظهرت أشعار جميلة، ذات دلالات معبرة وموحية، وألفاظ منتقاة ومؤدية للمعنى على أكمل وجه بشكل واضحٍ ومباشر، ومن ذلك حديثه إلى حاجب الديوان بالإسكندرية يعاتبه بعد أن احتجب عنه(1):

(المجتث)

يا ذا الحجابِ ترفقْ ... فَفي حيـاتي حجـاب

إن سـد بابك عني ... فَـكَـم إلى اللهِ بـاب

وإن أكُـن مغْرِبِيـًا ... فَلي معـانٍ غـراب

كُتْب التـأدبِ تُملي ... وعنْك يروى الصواب

ولا تُـصيخُ لِمثْـلي ... أَهـكَـذا الآداب؟

فالشاعر أوصلَ رسالته على أكمل وجه وأدق معنى بألفاظ سهلة ذات دلالات موحية، تكسوها البساطةُ والعفوية.

وفي مقطعة أخرى يعتذر فيها إلى أبي العباس الإشبيلي، يقول(2):

(البسيط)

عذْرا لِقَضاك يا أُستاذُ من صخَبي ... إذْ لَيس يخْلو ذَوو الآدابِ من شَغَبِ

فَالْكُل منْهم يروم السبقَ مجتَـهدا ... لِكي يرى سابِقـًا نَوعا من الغَلَـبِ

وما نَطَقْـتُ بِشَيء قَد نَطَقْـتُ بِه ... إلا وقَد ملَـكَـتْـني نَشْـوةُ الأدبِ

(1) المقطعة رقم 23.

(2) المقطعة رقم 39.

لقد جاءت الألفاظ سهلةً بسيطة عبر فيها الشاعر عن المعنى المراد والغرض المطلوب.

وانظر إليه متغزلاً بإحدى النساء في قصيدة ذات ألفاظ سهلة بعيدة عن الجزالة والصعوبة، يقول[1]:

(مجزوء الرجز)

هلْ تَمنَـع النهـود ... ما أَبدت الخُـدود
نَعـم وكم طَعيـنٍ ... بِطَعنـها شَهـيـد
يا ربـةَ المحـيـا ... خَفَـتْ بِه السعود
أم تَسكـرٍ الحميـا ... بلْ رِيقُك البـرود
للهِ يـا عـذُولـي ... ما تَكْتُـم البـرود
ما زِلْتُ فيـه أَفْنَى ... والْوجد مستَـزِيد

تبدو البساطة في القصيدة السابقة باستخدام الشاعر للألفاظ السهلة، والوزن الموسيقي السهل.

والملاحظ –بشكل عام- أن ابن سعيد قد مالَ إلى السهولة والوضوح في أكثر الأحيان، وهذا ما دعته إليه الأغراض التي صب اهتمامه عليها، من وصف ومدح وغزل، فكل هذه الأغراض تحتاج إلى ألفاظ رقيقة وسهلة، لكن نسجها على هذا النحو كانت مهمة صعبة لا تنصاع إلا لشاعرٍ خبير، ففي الوهلة الأولى يبدو للقارئ أن صياغة مثل هذا الشعر أمر سهل، غير أن هذا ليس صحيحا، فصياغة هذه الألفاظ تحتاج إلى خبرة ودقة عاليتين، وبذلك نستطيع أن نُسمي هذا النوع من الشعر بالسهل الممتنع.

ب. ألفاظ الحضارة

عاش الشاعر في بيئة مترفة، يغدق عليه الأمراء والسلاطين الأموال والعطايا، فكان لذلك الأثر الواضح في شعره، فظهرت في شعره الألفاظ الحضارية التي كانت قد لاقت رواجها في شعر ابن المعتز وشعراء سيف الدولة.[2]

([1]) القصيدة رقم 71 الأبيات 1-8.

([2]) ينظر: خميس عبد الرحمن، شعر الطبيعة عند شعراء سيف الدولة، (رسالة ماجستير)، ص209.

فالذهب والفضة واللجين والدر والعسجد والعقيقُ واللؤلؤُ والمرجان والزبرجد، والديباج والخز، قد وجدت لها مكانًا بين ثنايا شعر ابن سعيد، ومن ذلك قوله يصفُ غُصنًا أحاطت به الورود من كل جانب[1]:

(الطويل)

ولم أر مـرجـانـًا ودرا خـلالَـه   يطيفُ به ورد من الشـهد أعـذَب

والكؤوس التي يشرب بها الخمرةَ مصنوعة من الفضة، فإذا أصابتها شمس الأصيل أصبحت كالذهب، يقول[2]:

وقد قُرِعـتْ منْه سبـائِـك فضـة   خـلالَ رياضٍ بالأصيـل تُذَهـب

وتبدو أسنان محبوبته كالدر في قوله[3]:

(مخلع البسيط)

وثَغْـرها أم نَـظـيـم درّ   وريقُـها أم سـلافُ راحِ

ويصور مراحلَ نُضج النارنج، من أول اخضراره حتى اصفراره، بالزبرجد والفضة والذهب، يقول[4]:

(الطويل)

وإن خلْتَه بين الزبرجد فضـةً   فعما قريبٍ سوفَ تَلْقَاه عسجدا

وجعلَ ابن سعيد ميادينَه ديباجا لشدة اخضرارها في قوله[5]:

(البسيط)

حيثُ الميادين كالديباج قد بسطَتْ   خُضرا جرتْ حولَها من مائِها طُرر

أما الندى الذي وقع على روضة ابن سعيد، فكان مثلَ مذاب اللجين الخالص، يقول[6]:

(الكامل)

ورمتْ عليه الشمس فَضلَ ردائِها   فَعـلا مـذَابِ لُجيـنه إبريـز

([1]) القصيدة رقم 31 البيت الثالث.

([2]) القصيدة رقم 31 البيت 21.

([3]) القصيدة رقم 47 البيت الثاني.

([4]) المقطعة رقم 66 البيت الثاني.

([5]) القصيدة رقم 99 البيت الخامس.

([6]) القصيدة رقم 111 البيت الثالث.

ج. **ألفاظ الثقافة العلمية والدينية واللغوية**

بدا أثر البيئة الثقافية والعلمية والدينية واضحا في شعر ابن سعيد، لا سيما وأنه من أسرة عالمة وأديبة ومثقفة، فعلى صعيد الألفاظ العلمية؛ كان لألفاظ علم الفلك والنجوم التي تقع على مقربة كبيرة من علم الجغرافيا الذي برع فيه ابن سعيد مكان واضح في شعره، فانظر إليه يمدح ملك إفريقية أبا زكريا الحفصي بقوله(1):

(الكامل)

وشَدا الحمـام مبشـرا بقُدومه وتَرحلَـتْ بنُجومها الظلْمـاء

فالنجوم رحلت عندما بشر الحمام بقدومه.

وفي قصيدة أخرى يصور الكؤوس بالكواكب والنجوم في قوله(2):

(الطويل)

وقالَ ألا تَدرون ما في كُـؤوسـكُم فَلا كأْس إلا وهو في الليـل كوكَب

كواكب أَمستْ بين شَربٍ ولَم نَخَـلْ بأن النجـوم الزهر تَدنو وتَغْـرب

ويبدو أن ابن سعيد كان على علم بحقيقة الشهبِ التي تسقطُ من السماء، وما تحمله من معادن صلبة ثمينة، لذلك مدح الوزير أبا المجد مشيرا إلى أخلاقه التي جبلت من عنصر الشهب، يقول(3):

(البسيط)

على الوزيرِ أبي المجد الذي خُلقَتْ أَخْلاقُ سؤْدده من عنْصرِ الشهـبِ

ومن الألفاظ الفلكية الأخرى التي ذكرها ابن سعيد لفظة الخسوف، حيث يصفُ خسوف القمر في قوله(4):

(الكامل)

شان الخُسوفُ البدر بعد جمالِه فكـأنه مـاء عليـه غُثـاء

أو مثلَ مرآة لِخَـود قد قَضتْ نَظَرا بها فعلى الجِلاء غشاء

---

(1) القصيدة رقم 7 البيت الثاني.

(2) القصيدة رقم 31 الأبيات 29-30.

(3) القصيدة رقم 35 البيت الثالث.

(4) النتفة رقم 4.

والمد والجزر من الألفاظ الفلكية الجغرافية التي عرفها ابن سعيد وتأثر به في شعره، فهو يشبه تقصيره مع ابن عمه بالجزر، ويصفُ عطاءه ويصوره بالمد، يقول[1]:

(السريع)

الجزر من عنْدي ومن عنْدكُم   يكُون يا بحر النـدى المد

فمصطلحات علم الجغرافيا الذي برع فيه ابن سعيد قد ألقت بظلالها على بعض أشعاره.

وعلى صعيد الألفاظ الدينية والفقهية؛ فقد تأثر شعر ابن سعيد بها تأثرا ملاحظًا، ومن ذلك ذكره لقضية النذر، حيثُ إنه نذر على نفسه الصوم منذ ذهاب أبي المجد عنه حتى عودته إليه، فيجعل يوم العودة يوم فطره، يقول[2]:

(الطويل)

لِئِن نَذَروا صوما لأول أَوبة   فَنَذْرِي صومي منْذُ يومِ ذَهابِه

إلى أَن يمن اللهُ لي بِلقـائِه   فَأَجعلَ يوم الفطْرِ يوم إيابِـه

ويشير في موضع آخر إلى النافلة والواجب، وذلك في تأخره عن التقرب من أحد أصحابه كمن أتى النافلةَ أولاً ثم أتى بالواجب، يقول[3]:

(السريع)

فَالحمـد للهِ على ساعة   قَد قَربتْني من علا الصاحبِ

ولْيعذرِ المولى على أَنني   قد كُنْتُ من علْياه في جانبِ

كمـن أَتى نافلَـةً أولاً   ثُم أَتى من بعـد بالواجِـبِ

وفي أكثر من موضع يشير إلى عملية السجود في الصلاة، ومن ذلك قوله واصفًا انحناء غصن[4]:

(الكامل)

يا سيدا قَد زاد قَدرا إِذْ غَـدا   كَرما لِمن هو دونَه يتَـودد

والْغُصن من فَوق الثرى لكنه   كَرما يميلُ إلى ثُراه ويسجد

---

(1) المقطعة رقم 70 البيت السادس.

(2) النتفة رقم 33.

(3) المقطعة رقم 34 الأبيات 1-3.

(4) النتفة رقم 67.

ويكون السجود من نصيب ابن سعيد في موضعٍ آخر، لكنه ليس سجود الصلاة، يقول[1]:

(المتقارب)

لَقيتُ بِمصر أَشَـد البـوار | ركُوب الحمـارِ وكُحلَ الغُبـار
وخَلْفي مكارٍ يفُـوقُ الريا | ح لا يعرِفُ الرِفْقَ مهما استَطَار
أُنَاديه مهلاً فَـلا يرعَـوِي | إِلى أَن سجدتُ سجـود العثَـار

أما على صعيد الألفاظ اللغوية؛ فقد استخدم الشاعر بعضها في مواضع قليلة، ومن ذلك استخدامه لجمع التكسير عندما وصف تفرقَ وضعفَ أعداء الملك الناصر صاحب حلب في قوله[2]:

(الكامل)

ما كـان أنبـا الفتـح يلْـزم لامـه | والجمـع من أعـدائِـه متكسـرا

من خلال ما تقدم في استخدام تلك الألفاظ، نلمس الثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها الشاعر والمخزون الفكري الكبير، إضافةً إلى البيئة المترفة التي عاشها، وما أُغدق عليه فيها من عطايا ونعم.

ويبدو أن سعة الاطلاع والثقافة الواسعة قد جلبتا معهما شيئًا من المفردات الدخيلة والمعربة، وهي منقولة عن الفارسية، ومنها: ألفاظ النبات والثمار، وغيرها. ومن ذلك وصفُه لزهر (النارنج) في قوله[3]:

(الطويل)

بدا لَك النارنْج وهو كأنمـا | يريك على الأجياد درا منَضـدا

فكلمة (النارنج) كلمةٌ معربة عن كلمة (النارنك) من الفارسية، وهو نوع من الثمر.

ومن الألفاظ الأخرى المعربة عن الفارسية: لفظة (جلنار) وتعني: زهر الرمان، يقول[4]:

(الكامل)

وبـدا نثـار الجلنـارِ بصفْحه | فكـأنمـا هـو حيـةٌ رقْطَـاء

([1]) المقطعة رقم 84 الأبيات 1-3.

([2]) القصيدة رقم 91 البيت السادس.

([3]) المقطعة رقم 66 البيت الأول.

([4]) المقطعة رقم 5 البيت الثالث.

2. الأساليب

اتجه ابن سعيد في أسلوبه إلى البساطة والسهولة، وابتعد عن التعقيد والإسفاف والركاكة، وقد أشبع أشعاره بالأساليب الفنية المتعددة التي سأتحدث عنها في موضعها من الصورة الشعرية، إضافة إلى المحسنات البديعية المختلفة.

وظهرت عند الشاعر بعض الأساليب الأخرى، كالأسلوب القصصي الذي استخدمه في وصف المجالس، أو في وصف بعض الحوادث، ومنها قوله في افتضاض بكر(1):

(الكامل)

وخَرِيـدة ما إن رأيـتُ مثالَها	حيتْ من الألْحـاظ بالإيماء
فسألْتُها سمع الشكاة فَأَفْهـمـتْ	أن الرقيب جهيـنةُ الأنْباء
وتَبِعتُـها وسألـتُ منها قُبـلَةً	في خَلْـوة من أَعينِ الرقَباء
فَثَنَـتْ علي قَـوامها يتَعانُق	أَحيا فـؤادا ماتَ بالبرحاء
ووجدتُـها لما ملَكْـتُ عنـانَها	عـذْراء مثلَ الدرة العذراء
جـاءتْ إليَ كـوردة محـمرة	فتَركْتُـها كعـرارة صفْراء
وسلبتُها ما احمر منها صفْـوه	فجرى مذابا منْجِحا لرجائي

ويظهر جليا في شعره أسلوب الحوار، ومن ذلك قوله في إحدى ليالي السمر محاورا محبوبته(2):

(مخلع البسيط)

أَما منَعـت السـلام دهرا	ولا رسولٌ سوى الريـاحِ
قالت: أَلا فَانْس ما تَقَضى	فَمن يدع ما مضى استَراحِ
فَغادرتْني فَقُلْـتُ: غَـدرا؟	قَالَتْ: أَما تَحـذَر افْتضاحِ

3. المعاني

إذا نظرتَ إلى المعاني التي جاء بها ابن سعيد ستجد أنه يراوح بين المقلد والمبتكر، ومن المعاني المبتكرة التي انفرد بها قوله(3):

(السريع)

من فَضلَ النرجِس وهو الذي	يرضى بِحكْمِ الورد إِذْ يرأس
أَما تَرى الورد غَـدا قَاعـدا	وقَام في خدمتـه النرجِس؟

---

(1) القصيدة رقم 10.

(2) القصيدة رقم 47 الأبيات 6-7، 14.

(3) النتفة رقم 113.

فالورد هو الرئيس، والنرجس هو المرؤوس، والورد قاعد وقد قام بخدمته النرجس.

ومن المعاني الرائعة التي يتجلى من خلالها إبداع الشاعر؛ وصفُه لنهر شنيل في قوله[1]:

(المنسرح)

كأنما النهـر مهـرقٌ كُتبـتْ	أسطُره والنسـيم منْشئُـها
لما أبانَتْ عن حسن منْظَـره	مالَتْ عليها الغُصون تَقْرؤُها

فذبذبات الماء التي أنشأها النسيم مثل صفحة الكتاب، أما انحناء الغُصون على جانبي النهر فهو كانحناء الشغف بالقراءة.

وخلاصةُ القول، إن أشعار ابن سعيد كانت سهلةً رقيقةً عذبة، اشتملت على ألفاظ البيئة التي عاشها، من ألفاظ العلم، والثقافة، والدين، والطبيعة، وغيرها، وصيغت هذه الألفاظ صياغةً متماسكة جميلة في أكثر الأحيان، فأنتجت معاني وصورا جميلةً مبتكَرة.

(1) النتفة رقم 8.

ثالثًا- الموسيقا

قام الأساس اللغوي لعلم العروض على تمييزه بين الحركة والسكون، وما سمي فيما بعد بالتفعيلات التي تشكلت من البحور الشعرية، كما أن الشعر نشأ مرتبطًا بالغناء، وهما يصدران عن منبعٍ واحد، وهو الشعور بالوزن أو الإيقاع[1]، والوزن أو الإيقاع هو: تتابع منتظم لمجموعة من العناصر.[2]

وبما أن العروض هو علم موسيقا الشعر العربي؛ فإن ثمة صلة تجمعه بالموسيقا بصفة عامة، وهذه الصلة تتعلقُ بالجانب الصوتي، وما يقوم عليه من مقاطع (تفعيلات) تتشكلُ منها بنية القصيدة العربية بشكل عام.

ويطلق على الموسيقا المتعلقة بالوزن والإيقاع اسم الموسيقا الخارجية، وهناك أيضا ما سماه النقاد الموسيقا الداخلية المتعلقة بحسن اختيار الألفاظ، ومناسبتها لمعانيها، أضف إلى ذلك حسن اختيار الفن البديعي، وفي هذه الموسيقا كان مضمار تفاوت الشعراء وتفاضلهم، وسأدرس الموسيقا من خلال هذين الشّقين.

1. الموسيقا الخارجية

أ. البحور الشعرية

قسم دارسو علم العروض الأوزان الشعرية إلى قسمين: أوزان طويلة، وهي: الطويل، والكامل، والبسيط، والوافر، والخفيف، والمتقارب، والسريع، والمنسرح، والمديد، والمتدارك، والرمل، وأخرى قصيرة، وهي: مجزوء الكامل، ومجزوء الوافر، ومخلع البسيط، ومجزوء الخفيف، ومجزوء الرمل.[3]

ويرى إبراهيم أنيس أن ثمة علاقة وثيقة بين البحر الشعري والغرض الذي يقال فيه، وأشهر هذه البحور شيوعا البحر الطويل، وذلك لملاءمته لأغراض كثيرة كالفخر والهجاء والوصف والمدح.[4]

([1]) ينظر: شكري عياد، موسيقا الشعر العربي، ص53.

([2]) ينظر: علي يونس، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي، ص17.

([3]) ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقا الشعر، ص154.

([4]) ينظر: إبراهيم أنيس، م.ن، ص177.

لكن تعدد موضوعات القصيدة الواحدة في الغالب جعل بعضا من الدارسين يظنون عكس ذلك، فهم لا يربطون بين الوزن والغرض الشعري، ومنهم شوقي ضيف الذي يرى أن القصيدة الواحدة قد تعددت موضوعاتها، وقد نظمها الشاعر على وزن واحد.[1]

وإذا ما جئنا إلى شعر ابن سعيد وجدنا أنه لم يختص بوزنٍ دون آخر، غير أنه استخدم أوزانًا أكثر من غيرها، وهي: الطويل، والكامل، والجدول الآتي يبين استخدامه لبحور الشعر العربي:

البحر	عدد المقطوعات الشعرية	البحر	عدد المقطوعات الشعرية
الطويل	44	مجزوء الكامل	8
الكامل	45	المجتث	6
البسيط	18	الرمل	7
السريع	17	الرجز	1
مخلع البسيط	12	مجزوء الرجز	1
الوافر	10	المديد	1
الخفيف	9	مجزوء الرمل	2
المتقارب	9	دوبيت	1
		المنسرح	1

يظهر من الجدول السابق استخدام ابن سعيد للبحرين الطويل والكامل أكثر من غيرهما، وقد تعددت موضوعات القصائد التي استخدمت فيها هذه الأوزان من وصف ومدحٍ وغزل، وغيرها.

فالبحر الطويل يستخدم في الأغراض الجدية والرسمية كالوصف والمدح، وبما أن أكثر شعر ابن سعيد جاء في هذين الغرضين، فلا بد له من استخدام مثل هذا البحر.

فانظر إلى ابن سعيد مخاطبا ابن عمه، وواصفًا المسافةَ التي تفصلهما عن بعضهما مستخدما البحر الطويل، يقول[2]:

(الطويل)

أَمَا واجِب أن لا يحولَ وجِيـب   وقَد بعـدتْ دار وحان حبيـب

([1]) ينظر: شوقي ضيف، في النقد الأدبي، ص152.

([2]) القصيدة رقم 32 البيت الأول.

وهو في موضعٍ آخر يصفُ تفاحة عنبرٍ وقد صار العنبر عليها مثل الدموع السواكب، وهي تئن وتبكي، وكأنه يريد أن يطيلَ البكاء أو يبكي معها، فوافق البحر الطويلُ هذا الغرض، يقول[1]:

(الطويل)

وذات حنيـنٍ لا تَزالُ مطيفَـةً   تَئِـن وتَبـكي بِالـدموعِ السواكبِ

أما البحر الكاملُ فيصلح لمعظم الأغراض الشعرية، وهو أقرب للرقة والسهولة من غيره، فإذا أُجيد نظمه أصبح مطربا، وكانت به نبرةٌ تهيج العاطفة.[2]

وأي عاطفة مثل تلك التي تُثيرها قصيدتُه في مدح الرسول، صلى الله عليه وسلم، مستخدما البحر الكامل، يقول[3]:

(الكامل)

قرب المـزار ولا زمـان يسعـد   كـم ذا أُقَـرب مـا أَراه ويبـعد

وا رحمـةً لِمـتَـيـمٍ ذي غُربـة   ومع التغَـربِ فَاتَه ما يقْـصـد

وتليها بحور السريع والخفيف والرمل التي نُسجت عليها بعض القصائد الطويلة، ولم تختص بغرض دون غيره، بل جاءت في أغراض متعددة كالوصف، والمدح، والإخوانيات.

فيستخدم البحر السريع في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا زكريا الحفصي، حيثُ أضاف هذا الوزن على القصيدة خفةً وحركةً رشيقةً، يقول[4]:

(السريع)

ظَبي عدمتُ الصبح مذْ صدني   وكيفَ لا يعـدم وهو الصـباح

مورد الخَـد شَهـي الـلمـى   منَـعم الردف جديب الوشـاح

وبعث إلى ابن عمه قصيدةً طويلةً يمدحه فيها ويعتذر منه، وكانت على البحر الخفيف، مما جعلَ كلام الشاعر خفيفًا لطيفًا على مسمع ابن عمه، يقول[5]:

---

(1) القصيدة رقم 40 البيت الأول.

(2) ينظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص323.

(3) القصيدة رقم 69 الأبيات 1-2.

(4) القصيدة رقم 44 الأبيات 3-4.

(5) القصيدة رقم 47 الأبيات 1-3.

(الخفيف)

آه ممـا تُكـن فيك الجـوانح ودمـوعي على نَواك سـوافح
واشْتـفـاء من العـدو بِبيـنٍ كَدر العيـشَ، أي عيـشٍ لِنَازِحِ
يا أَتَم الأَنَـامِ حسنـًا، أَما تُحـ ـسن حتى يتـم إِطْـراء مادح

أما الأوزان القصيرةُ فقد كان أبرزها استخداما لدى الشاعر مجزوء الكامل، وقد جاء هذا الوزن في أكثر القصائد التي وصفت مجالس الأنس والشرب، ويبدو أن الشاعر قد استخدم هذا الوزن لينتهي سريعا مما بدأه من لهوٍ في هذه المجالس، يقول(1):

(مجزوء الكامل)

قُم هاتها لاح الصباح ما العيـشُ إلا الاصطباح
مع فتْـيـة ما دأْبهم إلا المـروءةُ والسـماح
جربتُـهم فَوجدتُهـم ما لِلْمنـى عنْهـم بـراح

فالشاعر في موقف لا يحسد عليه إذا ما رآه أحد الوشاة أو المتربصين، وهو يرى أن ينفض هذا المجلس سريعا.

كما أن هذا الوزن القصير يسقطُ حركةً وحيويةً على هذا المجلس الذي لا يكون إلا بهما.

وخلاصةُ القول، إن هذا التنوع في الأوزان كان من دواعي تلك الحقبة التي انتشر فيها الغناء والترف والموسيقا والحياة الرغدة، ومطلبا ملحا لطبيعة الحياة التي عاشها الشاعر من تنقلٍ وترحال، فكان لا بد لهذا التنوع في مجالات الحياة من تنوعٍ مقابلٍ في البحورِ والأوزان.

ب. القافية

القافيةُ هي الركن الثاني في موسيقا الشعر العربي بعد الأوزان، وهي أصوات تتكرر في آخر كل بيت شعري من القصيدة الواحدة، وتُحدثُ إيقاعا جميلاً لأبيات القصيدة، حيث إن السامع يتوقع تكرارها في آخر كل بيت، والتزام الشاعر بها أمر ضروري في القصيدة، وأي تغيرٍ فيها أو عيبٍ قد يلفتُ انتباه السامع، ويكسر الإيقاع المتسلسل لوزن القصيدة.

---

(1) القصيدة رقم 53 الأبيات 1-3.

وتبدأ القافيةُ بحرف صائت واحد، حتى تصلَ إلى خمسة صوائت أو أكثر، وهذا ما يكسبها إيحاء تعبيريا يتردد بدرجة تجعلُ للصوت وجودا بارزا لافتًا، يقع على السمع، ويفرض نفسه على إحساس القارئ، ومن ذلك قول ابن سعيد[1]:

(الكامل)

الروض بـُـرد بالنـدى مطْـروز والنهر سيـفٌ بالصبا مهـزوز

وقوله[2]:

(الطويل)

ألا هاتها والنرجِس الغَض قد رنَا إليك كما تَرنُو العيون النواعس

وأردافُ موجِ النهرِ فوقَ خُصورِه تَميلُ عليهن الغُصون الموائِس

ولم يلتزم ابن سعيد بقواف معينة، بل تنوع في حروف رويه، ولكنه مال إلى بعض الأحرف أكثر من غيرها، كالباء، والسين، والدال، والقاف، والراء.

والقافيةُ نوعان: مطلقةٌ، ومقيدة، والمطلقةُ لها وقع خاص على السمع، إذ تعتمد على صوت متحرك يذهب بالسامع إلى حيثُ لا يتوقع، ومن الأمثلة عليها قوله[3]:

(السريع)

من فَضلَ النرجِس وهو الذي يرضى بحكْمِ الورد إذْ يرأس

أما تَرى الورد غَـدا قاعـدا وقـام في خدمتـه النرجِس؟

وقوله[4]:

(السريع)

باللهِ يا أكـْـرم مــن قـد رأتْ عينَاي بالْمغْرِبِ والْمشْرِق

انْظُر لِقَولي منْصفـًا مفْكـرا حينًا وعوقْ بعد أو أطْلـق

قَضيتُ خَير الْعمرِ في أرضكُم فَمتـعوا أهلي بما قد بقـي

(1) القصيدة رقم 111 البيت الأول.

(2) النتفة رقم 114.

(3) النتفة رقم 113.

(4) المقطعة رقم 143 الأبيات 1-3.

والشاعر لم يكن يحب التقيد في حياته، فجاءت كذلك قوافيه في معظمها مطلقة، ومن القوافي المقيدة قوله(1):

(السريع)

يالله يا حـابسـهـا أكـؤسـا شابت لطول الحبس، ولى النهار

فلتغتنم شربا على صفرة الشـ ـشمس وقابل بالنضار النضـار

من قبل أن يحجب جنح الدجى ثغـر الأقاحي وخـدود البهـار

ومال ابن سعيد في مطالع قصائده وبعض مقطعاته إلى التصريع، مشيا منه على عادة من سبقه من الشعراء، ولا شك في أن التصريع يضيفُ إلى الموسيقا رونقًا خاصا.

والتصريع يجري مجرى القافية، وليس الفرقُ بينهما إلا أنه في آخر النصف الأول من البيت، والقافيةُ في آخر النصف الثاني منه، واستُعملَ في أول القصيدة وفي وسطها.(2)

ومن أمثلته عند ابن سعيد قوله في مطلع قصيدة(3):

(مخلع البسيط)

أوجه صبحٍ أم الصبـاحِ؟ ولحظُـها أم ظُبا الصفاحِ

وقوله في مطلع قصيدة أخرى(4):

(الطويل)

بكتْ لك حتى الهاطـلاتُ السـواكب وشقتْ جيوبا فيك حتى السحـائِب

2. الموسيقا الداخلية

إن العنايةَ بشكل الشيء يجب أن يقابلَها عنايةٌ بمضمونه، فإذا كان الشاعر يعتني بموسيقا القصيدة الخارجية ووزنها وقافيتها؛ فمن الضروري أيضا أن يعتني بالموسيقا الداخلية التي يتحسسها القارئ بسمعه وذوقه، وإن لم تظهر في الوزن أو القافية.

---

(1) المقطعة رقم 96 الأبيات 1-3.

(2) ينظر: ابن سنان الحلبي، سر الفصاحة، 188/1.

(3) القصيدة رقم 47 البيت الأول.

(4) القصيدة رقم 22 البيت الأول.

ومن أهم عناصر هذه الموسيقا: حسن اختيار الحروف والألفاظ، وطريقة تكرارها، ومدى تلاؤمها مع المعنى، والمحسنات البديعية اللفظية، إضافةً إلى اعتماد الشاعر على المشتقات وعناصر الصورة الشعرية التي ستُحدثُ إيقاعا موسيقيا مستساغًا في أُذن السامع.

وعمليةُ التجانس بين اللفظ والمعنى من أهم الأمور التي تُحققُ وجود الموسيقا الداخلية، ومن ذلك: استخدام الألفاظ الرقيقة في موضع الرقة واللين، والألفاظ الخشنة في مواضع الصعوبة والعنف، بالإضافة إلى صفة الجرس الموسيقي المؤثر في السامع.[1]

وقد أحسن ابن سعيد اختيار هذه الألفاظ لتُحدث بذلك الجرس الموسيقي المطلوب، ومن ذلك قوله[2]:

يفْخَر بالشـرق أهلُ فَخْـرٍ	قَولُهـم بهرج شَتَـيتُ
قالوا لنَا الشمس في طُلُوعٍ	قُلْنَا لهم: عنْد من تَبيتُ؟
تَبيتُ حيثُ المهـاد رحب	والليلُ فيه مسك فَتـيتُ

فاستخدام حرفي السين والشين، بالإضافة إلى حرف الياء الذي جاء قبل القافية؛ أضفى إلى الأبيات جرسا موسيقيا جميلاً، وجاء الوزن خفيفًا على القارئ والسامع وذلك باستخدام الشاعر لمخلع البسيط.

وقوله أيضا[3]:

(مجزوء الرجز)

لَدى العروس سقتْ	جنَابهـا العهـود
حيثُ الغُصون مالَتْ	كأنهـا قُـدود
وزهـرهـا نَظيـم	كـأنـه عـقُـود
حمـامهـا تُغَـني	أعطـافُها تَميـد
وبالنسيـمِ شُقَـتْ	لِنَـهـرِها بـرود
فُروعـه سيـوفٌ	وسـوره بـنُـود

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقا الشعر، ص22.
[2] المقطعة رقم 42 الأبيات 1-3.
[3] القصيدة رقم 71 الأبيات 8-13.

فالقارئ للأبيات السابقة يلحظُ تلك السهولة في الألفاظ التي جعلت الشعر كالكلام العادي، لكنه يتمتع بموسيقا عذبة، كما وفقَ الشاعر باختيار مجزوء الرجز، مما جعل الوزن خفيفًا سهلاً.

وفي موضعٍ آخر يستخدم الشاعر ألفاظًا صعبةً وخشنة، كالهجيرِ والقسطل والسنابك وغيرها، وذلك في وصفه لملتقى الحروب والمعارك بوادي المنصورة بالأندلس، يقول[1]:

(الطويل)

تَرى الآلَ فيـها خَافقـًا متَعطشًا | يمـدُ إلى لَفْحِ الهجِيـرِ لِسـانَا
لَبِستْ بِها شَمس الظهـيرة حلةً | مذَهبـةً حيثُ الهجِيـر كَسانَا
وقَد ثَار من وقْعِ السنَابِك قَسطَلٌ | تَخَالُ لِتـألُك النـارِ منْه دخَانَا
ولاَ سمـعِ إلا وهو سامٍ مذَلـلٌ | يراقب أَن يلْقَـى الحمام عيانَا

فوافقَ جفافُ الألفاظ جفافَ مناخِ المعركة، وتوافقت خشونتُها مع خُشونة المكان وطبيعة الحدث، فأحدثت الألفاظ موسيقا داخلية لاءمت الحدث، إضافة إلى استخدام البحر الطويل الذي يبعثُ العطشَ في فم القارئ أو السامع.

أما المحسنات البديعية اللفظية من جناسٍ وطباق وغيرها، فقد تحدثتُ عنها في دراستي للمحسنات البديعية من هذا الفصل.

وخلاصةُ القول في موسيقا الشعر عند ابن سعيد، إن الشاعر قد اعتنى عنايةً كبيرةً بهذا الجانب سواء الخارجي أم الداخلي، مما أكسب شعره رونقًا وجمالاً وحيويةً جعلته محببا إلى نفوس الأمراء والشعراء والأدباء.

---

(1) المقطعة رقم 178 الأبيات 1-4.

رابعا- المحسنات البديعية

لقد كان شعر ابن سعيد امتدادا لشعر مرحلة وصفت بولعها بالمحسنات البديعية أو بالزخرف الذي أسقطه على الشعر زخرفُ حياة الأندلسيين وترفُها، فكان زخرفًا لا مللَ ولا تكلفَ فيه، وجاء محاكيا للطبيعة والحياة التي عاشها الشاعر.

والأصول الفنية التي حكمت شعر المشرق هي التي امتدت إلى المغرب، ولكن يمكن القول إن أهل الأندلس كانوا في هذه الفترة أقل شغفًا بالبديع من نُظرائهم في المشرق.(1)

ومن أبرز المحسنات البديعية التي شاعت في شعر ابن سعيد:

1. الجناس

الجناس كما عرفه فضل عباس هو: "أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى".(2)

والجناس لا يعد حسنًا إلا إذا جاء عفو الخاطرِ دون تكلف، ووقع على السمع خفيفًا لطيفًا، ويرى عبد القاهر الجرجاني: "أن التجنيس لا يستحسن إلا إذا كان موقع اللفظتين من العقل موقعا حسنًا، ومقصد الجامع بينهما مقصدا بعيدا".(3)

إضافةً إلى ذلك كله؛ فإن الجناس إذا جاء في موضعه الصحيح، دون جهد أو تكلف، فإنه يرفع الملل عن القارئ، ويلفتُ انتباه السامع إلى ما تحمل الألفاظ المتجانسة من اختلاف في المعنى.

والجناس عند ابن سعيد كان عفويا، يجري على اللسان مجرى سهلاً، واستخدمه الشاعر بنوعيه: التام والناقص، فانظر إلى قوله يجانس بين النوم وطعام الضيف(4):

(الكامل)

جد لي بما ألْقى الخيالَ من الكرى لا بد للضيف الملم من القـ رى

فالجناس في كلمتي (الكرى) وهو النوم، و(القرى) وهو طعام الضيف، جناس ناقص.

وجانس الشاعر بين مشتقات الكلمة من فعل واسم ومصدر وغيرها، فجانس بين الفعل والاسم في قوله(5):

(1) ينظر: عناني، محمد زكريا، تاريخ الأدب الأندلسي، ص132.

(2) فضل عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، 297/2.

(3) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص4.

(4) القصيدة رقم 91 البيت الأول.

(5) القصيدة رقم 187 البيت السابع.

(مجزوء الكامل)

كم قـد نَويتُ بـه النعـيـ ـم فقَـدر اللهُ الـنـوى

فالجناس في كلمتي: الفعل (نوى) والاسم (النوى).

ونراه يجانس بين (التوى) الهلاك، و(الثوى) طول المقام في قوله[1]:

حـوري حسنٍ قد تَـوى فـي جنـة ويها ثَـوى

وقال مجانسا بين ريح الصبا وسن الصبا[2]:

(السريع)

سائِلْ بوادي الطلْح ريح الصبا هلْ سخرتْ لي في زمانِ الصبا

وجانس أيضا بين لفظتي التراب والترائب في قوله[3]:

(الطويل)

أيا سيـدا قد حالَ بيني وبيـنَه تُراب حوتْ ذكراك منه الترائِب

وأشعار ابن سعيد تحتوى الكثير من الكلمات المتجانسة تجانسا تاما وغير تام، ومن ذلك أيضا قوله[4]:

(الوافر)

نَظير قَوامك الغُصن النضير وحبي فيـك ليس له نَظيـر

وقوله[5]:

(الرمل)

إنما شعر الرئيسِ ابنِ حكَم بِدع من كُل فَضـلٍ وحكَـم

([1]) القصيدة رقم 187 البيت التاسع.

([2]) القصيدة رقم 20 البيت الأول.

([3]) القصيدة رقم 22 البيت السابع.

([4]) البيت المفرد رقم 102.

([5]) النتفة رقم 166 البيت الأول.

فالشاعر يجانس بين الألفاظ: (النضير، والنظير) وبين: (حكم، وحكَم)، والملاحظ أن هذا الجناس في البيتين السابقين جاء خفيفًا لطيفًا، وأكسب المعنى رونقًا جميلاً، وأسقطَ على الموسيقا حلاوةً وحيوية.

2. الطباق

الطباق واحد من المحسنات البديعية التي استخدمها ابن سعيد في مواضع متعددة، ويعني: "مقابلة الشيء بضده"[1].

وللجمع بين هذين الضدين فائدة كبيرة في إيصال المعنى المطلوب، وجلبِ انتباه السامع إلى المراد، فلا شيء يجلب الذهن إلى الشيء مثل ذكر ضده، كما أن حياة الإنسان، بوجه عام، قائمةٌ على مجموعة من الأضداد، والمتناقضات حولنا من كل مكان، من ذكر وأنثى، وأرضٍ وسماء، وغيرها.

كما أننا نستخدم هذه الأضداد في حياتنا اليومية، ولغتنا العادية، فما بالك بالشعر وأهله؟ أوليسوا أولى بذلك منا؟

وهذا هو ابن سعيد يستخدم هذا المحسن في عدة مواضع، منها قوله[2]:

(الكامل)

قد مارس الحرب الزبون زمانَه   وجـرتْ عليـه شـدةٌ ورخَـاء

فالطباق جاء في لفظتي: (شدة، ورخاء).

وانظر إليه يصور حركة الأشجار بعد أن أحاطت به وبمحبوبه، يقول[3]:

(الرمل)

حفت الأشْجار عشْقـًا حولنا   تارةً تَنْـأى وطَـورا تَقْـرب

فالطباق جاء في لفظتي: (تنأى، وتقرب).

([1]) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص20.

([2]) القصيدة رقم 6 البيت السابع.

([3]) القصيدة رقم 29 البيت 32.

ومن الطباق اللطيف، قوله في رسول الحبيب[1]:

(الخفيف)

وزمان السرورِ سمـح مطيـع ورسولُ الحبيـبِ غاد ورائِـح

فطابق الشاعر بين لفظتي: (غاد، ورائح)

ومن ذلك أيضا، قوله مخاطبا ابن عمه يطلب عطاءه بصورة مهذبة حيوية تأسر السامع، وتُلين قلب المعطي[2]:

(السريع)

الجزر من عنْدي ومن عنْدكُم يكُون يا بحر النـدى المد

فالجزر فيه التقصير والتراجع، أما المد ففيه التقدم والعطاء.

ويستعين بالطباق في أحد تشبيهاته، وذلك في قوله[3]:

(الكامل)

كم ذا أُداريكُـم بِنَفْسي جاهدا وكأنما أُرضيـكُـم كي تَغْضبوا

ويمدح الملك الناصر صاحب حلب بانقياد النفع والضر إليه –على سبيل المبالغة- في قوله[4]:

(مجزوء الكامل)

يا أَيهـا الملـك الـذي نَفَع الزمان به وضرْ

3. حسن التقسيم

حسن التقسيم هو: استقصاء جميع أقسام ما ابتدأ به القائل،[5] وهو من المحسنات البديعية التي ظهرت في شعر ابن سعيد بشكل ملاحظ.

وهذا الأسلوب يزيد في بيان المعنى المراد وتفصيله، ويضفي موسيقا عذبة على البيت الشعري مبعثها فواصل الكلام، وأقسامه في البيت الواحد.

([1]) القصيدة رقم 48 البيت السابع.

([2]) المقطعة رقم 70 البيت السادس.

([3]) المقطعة رقم 28 البيت الثاني.

([4]) المقطعة رقم 86 البيت الأول.

([5]) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، ص310.

فالشاعر يشكو ما أصابه في بعده عن غرناطة، من طعنٍ في عرضه، وتلَف في عقله، وضعف في جسمه، وقلة في ماله، يقول[1]:

(الطويل)

وعرضـك مبذولٌ وعقْـلُك تالِـفٌ   وجِسمـك مسلوب ومالُك ينْهـب

فذَكر الشاعر كل ما يخطر في ذهن السامع من أسباب البعد والنوى، وجاء بها مقسمةً منفردة بشيء من التفصيل الذي هو أدعى لإيصال المعنى.

ومن ذلك أيضا؛ قوله يذم مدينة القاهرة[2]:

(المتقارب)

يقُولُون سافر إلى القَـاهره   وما لِي بها راحةٌ ظَاهره
زِحام وضيـقٌ وكَرب وما   تُثيـر بها أرجـلٌ سائِره

ففي القاهرة كل ما يتأتى إلى بال السامع من أسباب تنغيص العيش، ففيها الزحام والضيقُ والكرب والغبار.

وفي أحد الأبيات المفردة يمدح شخصا ويعدد صفاته، يقول[3]:

(البسيط)

إِن غُيبتْ شَمسه فَالْبرقُ مهجتُه   والرعد زفْرتُه والْقَطْر أدمعه

4. محسنات أخرى

من المحسنات البديعية الأخرى التي استخدمها ابن سعيد: الاقتباس من القرآن الكريم وذلك بتوظيف المفردات القرآنية في شعره، ومن ذلك قوله في الغزل[4]:

(مجزوء الكامل)

كم ضـل صاحبـه بِسـحـ   ـرِ اللحظ منه وكم غَوى

ففي قول الشاعر اقتباس من قوله تعالى: ما ضل صاحبكُم وما غَوى .[5]

---

(1) القصيدة رقم 31 البيت التاسع.

(2) النتفة رقم 93.

(3) البيت المفرد رقم 122.

(4) القصيدة رقم 187 البيت الرابع.

(5) النجم، 2/53.

والشاعر باستخدامه لهذا المحسن يقرب الصورة للسامع، ويجعلُ المعنى مألوفًا في الذهن.

وقوله[1]:

(الطويل)

أَلا تَعس اللُّوام في الحب قَد عموا وصموا ودائي لَيس منْه طَبِيب

ففي قول الشاعر اقتباس من قوله تعالى: فَعموا وصموا كثير منْهم [2].

فاستخدام الاقتباس في هذا البيت يدل على شدة ضلال اللوام الذين يلومون الشاعر في حبه.

كما ظهر الترادف في شعر ابن سعيد ظهورا ملاحظًا، ومن ذلك قوله[3]:

(الطويل)

فلـو أَنه يجـزيكُـم بفعـالِـكُـم لَكـان له عـنْـكُم مراد ومطْـلَـب

فالترادف في لفظتي: (مراد، ومطلب)، وهما تؤديان المعنى نفسه تقريبا.

وقوله أيضا[4]:

ويعـذِلُنـي العـذالُ فيه وإِنـنـي لأعصي علَيـه من يلوم ويعتَـب

جاء الترادف في لفظتي: (يلوم، ويعتب)، وقد جاء التكرار للمعنى هنا لطيفًا خفيفًا.

وظهرت بعض المحسنات الأخرى، لكنها كانت قليلة، كالتورية، والمقابلة، وغيرها.

وخلاصةُ القول في المحسنات البديعية، إن ابن سعيد طرق هذا الباب، وتوسع فيه، إلا أنه لم يصل إلى حد التكلف أو المبالغة، وإنما جاء محاكيا للبيئة التي أقام فيها، ومنسجما والحياةَ المترفة التي عاشها.

([1]) القصيدة رقم 32 البيت الخامس.

(2) المائدة، 71/5.

([3]) القصيدة رقم 26 البيت السادس.

([4]) القصيدة رقم 31 البيت السادس.

خامسا- الصورة الشعرية

تُعد الصورة الشعرية بعناصرها وأدواتها أحد مقاييس البراعة الأدبية بين الشعراء، ومقياسا من مقاييس التفاضل بينهم، من أجل ذلك؛ أولاها الشعراء اهتماما كبيرا من العصر الجاهلي، وزاد هذا الاهتمام في العصور المتأخرة، وكان لزاما على الشعر الأندلسي التميز في هذا الجانب بحكم الصور الطبيعية التي أحاطت بالشعراء من كل جانب، وبذلك شكل شعر ابن سعيد مضمارا لهذا الفن الذي تميز به الشعراء عن غيرهم، معتمدا على التشخيص، وعلى التجسيم، وعلى مجموعة من الأدوات التي شاركت في بناء هذه الصورة، كاللون والحركة والهيئة وغيرها.

1. التشخيص

وهو إسقاطُ عناصر الحياة على كل ما ليس فيه حياة من ظواهر طبيعية، وجمادات، وانفعالات[1]، وأمثلةُ ذلك كثيرة في شعر ابن سعيد، فهو يجعلُ من الحمامة شخصا يدعو الندامى للصبوح، يقول[2]:

(الكامل)

فأدر كؤوسـك كي يتم لك المنَى   واسمـع إلى مـا قالت الورقاء

تدعوك حي على الصبوح فلا تَنَم   فعلى المنَامِ لدى الصباحِ عفَـاء

ويجعلُ الغصون شخصا متعلما يقرأُ صفحةَ النهرِ في قوله[3]:

(المنسرح)

كأنما النهـر مهـرقٌ كُتبـتْ   أسطُره والنسيـم منْشئُـها

لما أبانَتْ عن حسنِ منْظَـرِه   مالَتْ عليها الغُصون تَقْرؤُها

ويسقطُ على الأزهار صفة الكلام جاعلاً لها ألسنًا في قوله[4]:

(المتقارب)

فخُـذْها أزاهـر روضٍ غَـدتْ   فـألسـنـها لكـم في ثَنَـاء

([1]) ينظر: علي صبح، البناء الفني، ص187.

([2]) المقطعة رقم 5 الأبيات 5-6.

([3]) النتفة رقم 8.

([4]) النتفة رقم 12 البيت الأول.

ويصور الشاعر الغمام بالشخص الذي يطيلُ البكاء رحمةً بالأرض، أو طربا لأصوات الطيور في قوله[1]:

(الرمل)

فَبكى الطـ ـل عليـ ـها رحمـ ـةً أو بكى من وعظ طَيرٍ قَد خَطَب

ويلبس التين جلبابا، ويجعلُ له رأسا قد علته الجراح، فيقول[2]:

(السريع)

ممزقُ الجِلْبابِ يحكي ضحى هامـ ـةَ زِنْجِـ ـيٍّ علَيها جِراح

وتمرض شمس الشاعرِ عند غروبها، وتكون مثلَ الشخصِ الذي يمد يده عند وداع أحبته، يقول[3]:

(الكامل)

والشمس من أَلَمِ الفراق مريضةٌ مدتْ لِتَوديع البحيـ ـرة راحـ ـا

أما الجزيرةُ الخضراء فقد لبست بعد سقيا الغمام لها رداء ومئزرا ووشاحا، يقول[4]:

(الخفيف)

أَسقَتْها الغَمـ ـام ريـ ـًا فَلاحـ ـتْ فـ ـي رِداء ومـ ـئْـ ـزرٍ ووِشَـ ـاحِ

ويزف شمعتَه ليلاً مثل العروس بحليها، لكنه سرعان ما يطلقُها إذا طلع الصباح، يقول[5]:

(الكامل)

زفتْ ظَلامـ ـًا كَالْعـ ـروسِ بِحلْيها لكنها عنْد الصـ ـباحِ تُطَلَـ ـقُ

([1]) القصيدة رقم 15 البيت العاشر.

([2]) المقطعة رقم 45 البيت الثاني.

([3]) البيت المفرد رقم 49.

([4]) القصيدة رقم 62 البيت الثاني.

([5]) القصيدة رقم 137 البيت الخامس.

2. التجسيم

وهو جعل الأمور المعنوية أجساما محسوسة.[1]

ومن ذلك: جعلُ الشاعر الأهوالَ والأخطار مركبا تحملُ الناس في قوله[2]:

(الطويل)

إذا لم يكُن إلا الأسنةَ مركَب فَلا رأْي للمضطَر إلا ارتكابها

ويجسم الشاعر أنفاسه فيجعلها نارا تحرقُ صدره، يقول[3]:

(الرمل)

بلْ على الخَضراء لا أَنْفَكُ من زفْـرة في كُل حينٍ تَلْـهب

ويجسم القولَ والكلام فيجعله نقدا باطلاً مزيفًا لا قيمةَ له في قوله[4]:

(مخلع البسيط)

يفْخَر بِالشـرق أهلُ فَخْـرٍ قَولُهـم بهرج شَتـيتُ

وفي المقطعة نفسها يجعلُ الليلَ مسكًا فتيتًا، فيقول[5]:

قالوا لَنَا الشمس في طُلُوعٍ قُلْنَا لَهم: عنْد من تَبِيتُ؟

تَبِيتُ حيثُ المهـاد رحب والليلُ فيه مسك فَتـيتُ

3. عناصر الصورة الشعرية

أسهم عدد من العناصر والمثيرات الإدراكية في بناء الصورة الشعرية في شعر ابن سعيد، وقد حرص على إبراز هذه العناصر إبرازا واضحا بما يكفل للصورة وضوحا وإحساسا مميزا، وسأتحدث عن هذه العناصر على النحو الآتي:

---

(1) ينظر: علي صبح، البناء الفني، ص190.

(2) البيت المفرد رقم 25.

(3) القصيدة رقم 29 البيت 21.

(4) المقطعة رقم 42 البيت الأول.

(5) المقطعة رقم 42 الأبيات 2-3.

أ. **الحركة**

تشكلُ الحركة عنصرا هاما من عناصر الصورة الشعرية، وذلك بعد أن يسقطَ الشاعر عليها صبغته الخاصة وفيضا من المشاعرِ والخواطر، وقد أدت الحركة وظيفةً بارزةً في إنشاء الصورة الشعرية عند ابن سعيد، ومن ذلك قولُه في حديثه عن الخمر(1):

(الطويل)

أَتَتْ دونَها الأحقـاب حتى تَخـالُها سرابا بِآفـاق الزجاجـة يلْـعـب

فباتت هذه الخمر من طول الزمان عليها سرابا يلعب في الزجاجة، وجاء إسقاطُ الحركة هنا على شيء غير موجود أصلا، ما زاد الصورةَ حيويةً ورشاقة وخيالاً.

ويصور حركةَ اهتزاز الأغصان بفعل الرياح، وما تُساقطه من أزهار، بالفتاة التي ترقص فيتناثر عقدها، يقول(2):

(الطويل)

فكَم رقَصـتْ أَغْصـانُها فَرمـتْ لَها نثارا كما بددتَ حلْـي الكَـواعبِ

وحركةُ الرياح في شعر ابن سعيد لم تهدأ، وظلت مستمرة حتى صار لها أجنحةً تحملُ بها ما تُريد، فهي تحملُ حصانًا أدهم وتطير به في قوله(3):

(الوافر)

وأَدهم آخَرٍ مبيـض صـدرٍ مطارٍ بيـن أَجنحـة الريـاحِ

والرياح هي نفسها التي أثارت غضب الموج في النيل، فصار يلعب بالمركبِ مثلما يلعب اللاعب بحجر النرد، متلاطما به في جميع الاتجاهات، يقول(4):

(الطويل)

وَأصبح يطْفُو الْموج فيه ويرتَمي ويطْرب أَحيـانًا ويلْعـب بِالنـرد

---

(1) القصيدة رقم 31 البيت 26.

(2) القصيدة رقم 40 البيت الرابع.

(3) المقطعة رقم 64 البيت الأول.

(4) القصيدة رقم 83 البيت الثالث.

ب. اللون

من المعروف أن الطبيعة الأندلسية تشكلت من لوحة فنية زاخرة بالألوان الطبيعية، من: أبيض، وأسود، وأحمر، وأخضر، وأصفر وغيرها، ففرضت هذه الألوان نفسها على الصورة الشعرية في شعر ابن سعيد مشاركةً في تكوين لوحاته الفنية التي عرض من خلالها الكثير من أشعاره.

فالشاعر يصور البحر بالثوب الأزرق، ويجعلُ في البدرِ طرازا ذهبيا، يقول[1]:

(الرمل)

وكأن البـحـر ثـوب أزرقٌ فيه ِللبـدرِ طـراز مـذْهـب

ويصفُ الشاعر سواد فرسٍ، مبرزا هذا السواد من خلال بقعة بيضاء في صدره، يقول[2]:

(الوافر)

وأدهم آخَرٍ مبيـض صـدرٍ مطارٍ بيـن أجنحـة الريـاحِ

وألوان الخيل في الصورة الشعرية عند ابن سعيد كثيرة، فمنها ما كان أدهم فيه شيء من البياض، ومنها ما هو أدهم كالليل، أو أشهب يحاكي لون شَعرِ فارسه، أو أشقر مثل الشعلة المضيئة، أو أصفر مثل الشمعة الصفراء، وقد جمع هذه الألوان في مقطعة واحدة، يقول[3]:

(الكامل)

ولَكم سرينا في متُـونِ ضوامرٍ تَثْـني أعنـتَها من الخُيـلاء
من أدهمٍ كالليل حجـلَ بالضحى فتُشَـق غُرتُه عن ابنِ ذُكـاء
أو أشْهبٍ يحكـي غَدائِر أشْيـبٍ خَلَعتْ عليه الشهب فَضلَ رِداء
أو أشْقَـرٍ قد نَمـقَـتْه بِشُعـلَة كالمـزجِ ثار بِصفْحة الصهباء
أو أصفَـرٍ قد زيـنَـتْه غُـرةٌ حتى بدا كالشمـعة الصفْـراء

---

(1) القصيدة رقم 29 البيت 25.

(2) القصيدة رقم 64 البيت الأول.

(3) المقطعة رقم 9 الأبيات 1-5.

أما تونس ورياضها؛ فهي خضراء كما عهدها ابن سعيد، يقول[1]:

(السريع)

وأصبحـت أرجـاؤها جنـةً   مبيـضةَ الأبراجِ خُضر البِطاح

ولم يكن اللون في شعره مجردا لذاته؛ وإنما حملَ كل لون في طياته أحاسيس خاصة، فاللون الأحمر يعبر عن الخجل والحياة في قوله[2]:

(الكامل)

حتى ظُبـاهم فـي الحيـاء مثالُهـم   أبـدتْ وقـد أردتْ محيـّا أحمـرا

والأحمر كذلك يحملُ النضارةَ والحرارةَ والحياةَ، كما يحملُ الأصفر الوهن والذبول والانتهاء، ويظهر ذلك جليا في وصفه لافتضاض بكر، يقول[3]:

(الكامل)

جاءتْ إلي كـوردة محمـرة   فتَركْتُها كعـرارة صفْـراء

ج. الشكل والهيئة

يعد الشكلُ من أهم العناصر التي تشكلت منها بعض الصور، فهو الذي يوحي للسامع أو القارئ ما يمكن تخيله من هذه الصورة، ويرسم الحدود التي قد ينطلقُ منها الخيالُ أو يقف عندها، ومن ذلك قوله في أحد المجالس[4]:

(الطويل)

على نَهرِ شَـنـيلِ وللقُضبِ حولَنا   منابِر ما زالَتْ بِها الطيـر تَخْطُب

فجعلَ القُضب والأغصان منابر تخطب الطيور عليها.

أما كؤوس هذا المجلس؛ فهي في هيئة الكواكب الذهبية في السماء المظلمة، يقول[5]:

(الطويل)

وقالَ ألا تَدرون ما في كـؤوسـكُم   فَلا كأس إلا وهو في الليـل كوكب

---

(1) القصيدة رقم 44 البيت 11.

(2) القصيدة رقم 91 البيت 15.

(3) القصيدة رقم 10 البيت السادس.

(4) القصيدة رقم 31 البيت 20.

(5) القصيدة رقم 31 البيت 29.

ويهيئ للسامع شجر الأنشام رماحا سمرا تعلوها أعلام الخز في قوله[1]:
(الكامل)

وكأنما الأَنْشام فَوقَ جنـابه ... أعـلام خَـز فَـوقَ سمـرِ رماحِ

وأسنان محبوبته على هيئة المرجان والدر، وشفتاها ورد يحيط بهما، يقول[2]:
(الطويل)

ولم أر مـرجـانـًا ودرا خـلاقَـه ... يطيفُ به ورد من الشـهد أعـذَب

د. **الطعم**

وهو من العناصر الذوقية في الصورة الشعرية، وظهر استخدامه جليا في البيت السابق، وهو قوله[3]:

ولم أر مـرجـانـًا ودرا خـلاقَـه ... يطيفُ به ورد من الشـهد أعـذَب

وقوله[4]:
(الرمل)

لا جعلْتُ الدهر نُقْلي غير ما ... لذ لي من ريق ثَغْرٍ كالضرب

فهو يصفُ طعم الثغرِ والشفتين الذي هو أعذب من الشهد.
ويصفُ عذوبةَ الملح في تونس –على سبيل المبالغة- في قوله[5]:
(السريع)

من ذا الذي يبـخَلُ في تُونُسٍ ... والملْح فيها صار عذْبا قَـراح

(1) القصيدة رقم 61 البيت السابع.
(2) القصيدة رقم 31 البيت الثالث.
(3) القصيدة رقم 31 البيت الثالث.
(4) القصيدة رقم 15 البيت 16.
(5) القصيدة رقم 44 البيت العاشر.

هـ. الرائحة

وهذا العنصر شبيه الطعم، يظهر في بعض الصور الشعرية مشكلاً الأساس لها، ومن ذلك وصفه لرائحة الليل في بلاد المغرب، قوله(1):

(مخلع البسيط)

يفْخَر بالشـرق أهلُ فَخْـرٍ   قَولُهـم بهرج شَتَـيتُ

قالوا لنَا الشمس في طُلُوعٍ   قُلْنَا لهم: عنْد من تَبِيتُ؟

تَبِيتُ حيثُ المهـاد رحب   والليلُ فيه مسك فَتـيتُ

ومحبوبته لا تضع الطيب على جسمها، لكن رائحتها منتشرةٌ في الأرجاء، فهي كالظبي الذي يصنع المسك في جسمه، يقول(2):

(الخفيف)

ولَـكم لَيـلَـة أتاني بلا طيـ   ـبٍ ولكن يزري بِأَذْكى الروائِح

هو ظَبْـي فَلَيس يحتاج طيبـًا   قَد كَفاه عرفٌ من المسـك فَائِح

فالنماذج السابقة عكست مدى تأثير هذه العناصر في الصورة التي رسمها ابن سعيد في أشعاره.

وهناك عناصر أخرى أسهمت في تشكيل الصورة الشعرية، وتأثر بها الشعراء فزادت الصورةَ جمالاً ونقاء، وجاءت الصورةُ مصبوغةً بالألوان الطبيعية، تفوح منها روائح طيبة، وتميد بالحركة، فتتذوقها الأذواق، وتتمتع العيون برؤياها.

---

(1) المقطعة رقم 42 الأبيات 1-3.

(2) القصيدة رقم 48 الأبيات 8-9.

الخاتمة

بعد أن انتهيت، بفضل الله وشكره، من جمع شعر الشاعر نور الدين علي بن موسى الأندلسي من مظانه المختلفة التي ورد فيها، وتمكنت من الاطلاع عليها، ووثقته، أستطيع القول –تجاوزا- أنني صنعتُ ديوانًا متواضعا للشاعر مقارنةً مع ما أورده المقري من أنه اطلع على ديوانه الأصلي الذي يقع في بضعة أسفار، ويمكنني القول أيضا، إن الحقبة الزمنية التي عاش فيها الشاعر كانت حقبة عطاء أدبي ظهرت ملامحها من خلال مصنفاته ومصنفات تلك الحقبة، وبعد صناعة هذا الديوان، ووضع الدراسة عليه، تمكنتُ من الوصول إلى النتائج الآتية:

1. أن ما تمكنتُ من جمعه من شعر ابن سعيد الأندلسي لا يمثلُ إلا شيئًا يسيرا من ديوانه الأصلي الذي يقع في بضعة أسفار، وأن قسما كبيرا من هذا الديوان لم يصل إلينا باستثناء ما أوردته المصادر المشار إليها في هذا البحث.

2. جاءت لغة شعر ابن سعيد –غالبا- ملائمةً لأهل عصره، فلم يكن فيها الغريب ولا النشاز ولا الركيك، ولم ترد في شعره ألفاظ غير عربية إلا القليلُ من الأسماء المعربة.

3. تزاحمت في شعر ابن سعيد الصور الشعرية، والتشبيهاتُ، وألوان البديع المختلفة، مشكلةً بذلك عددا كبيرا من اللوحات الفنّية الرائعة التي خطتها طبيعةُ المكان.

4. أن ابن سعيد الأندلسي يعد من كبار الأندلسيين الذين جمعوا بين ثقافتي المشرق والمغرب، فكان ذا حظوة عند أهل الحكم والعلم من القطرين.

5. يبرز هذا البحث الجانب الشاعري عند ابن سعيد، بعدما عرفَ عنه من ريادة في علمي الجغرافيا والتصنيف التاريخي.

6. أن عصر الشاعر ما زال بحاجة إلى مزيد من الدراسات الأدبية والتاريخية، سواء أكان ذلك في مجال تحقيق النصوص التراثية وتوثيقها ، أو في دراسة ظواهر الأدب وقضاياه المختلفة، أو في جمع نتاجات الشعراء، والأدباء، والمؤرخين الذين ضاعت مؤلفاتهم، أو لم يكتب لها الوصول إلينا، وتنظيمها، وتنسيقها، وإعادة إخراجها بالصورة التي تمكن الباحثين والدارسين من الاطلاع عليها بسهولة ويسر، فلعل في ذلك ما يشفي ظمأ المتعطشين للدراسة والبحث.

وبعد؛ فإنني أوصي طلبة الدراسات العليا، والباحثين ممن صبوا اهتمامهم على التراث الأدبي العربي أن ينحوا هذا المنحى، فهناك عدد كبير من الشعراء الذين ضاعت دواوينهم، أو لم يكن لهم ديوان أصلاً، وهم يستحقون الدراسة التي تعتمد على طبيعة شعر هؤلاء الشعراء، وتنوع أغراضه، وما يمكن جمعه من هذا الشعر الذي احتضنته صفحات مصادر التراث الأدبي العربي، كما يمكن تطبيق الدراسات النقدية الحديثة على شعر ابن سعيد كالأسلوبية وغيرها.

القسم الثاني- الجمع والتوثيق

قافية الهمزة

-1-

في العتاب

وله من قصيدة عتابٍ يقول فيها*:

(الكامل)

1. ولقـد كسبتُ بكـم عـلاً لكنها	صارتْ بأقـوال الوشـاة هبـاء
2. فغَدوتُ ما بين الصحـابة أجربا	كُـل يحـاذر منـي الأعــداء
3. ولقـد أرى أن النجـوم تَقل لي	حجـبا وأصغـر أن أحـل سماء
4. فليهجـروا هجـر القَطيمِ لِـدره	ويساعدوا الزمن الخـؤون جفَاء
5. فلقـد شكـوتُ لهم إحالةَ ودهـم	إذ لم أكـن أرضـى بهم خُدمـاء
6. إيـه فَذكّـرهـم أقـل، وإنمـا	أُومـي إليـك فَتَفْـهـم الإيمـاء
7. لو لم يكن قَيد لَما فتكَتْ ظُبـًا[(1)]	أنـتَ الـذي صيـرتَهم أعـداء
8. ولَو انني أرجو ارتجاعك لم أُطلْ	شَكْـوى ولم أستَبـعد الإِغْضـاء
9. لكـن رأيتُـك لا تَميـلُ سجيةً	نحـوي ولا تتكـلـفُ الإِصـغاء
10. إن لم يكن عطْفٌ فمنوا بالنوى	إن الكـريـم إذا أُهيـن تنَـاءى

---

* تخريج القصيدة رقم (1)، وردت في:

- المقّري، نفح الطيب، 31/3.

* * * *

(1) الظبة: حد السيف، وطرفُه؛ اللسان: مادة ظبا.

-2-

في الغزل

وقال*:

(الكامل)

1. أَلِفَ التغَرب والتـوحشَ مثلَ ما ... أَلِفَ التوحشَ والنفور ظباء(1)
2. حجـابه أَلِفُـوا التجهـم والجفَـا ... فهم لِكُـل مهـذبٍ(2) أعـداء
3. فمتى يرم صـب(3) إليـه تَقَـربا ... بعـدتْ بذاك البدرِ عنْه سماء
4. لكنني ما زلـت أَخْـدع حاجبـًا ... ومراقبـًا حتى أَلان حبـاء(4)
5. فالأرض(5) لم تُظْهر محجب نَبتها ... حتى حبتْها الديمةُ الهطلاء(6)

---

* تخريج المقطعة رقم (2)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، 98-99. وقد أورد منها الأبيات 2-5 فقط.
- المقري، نفح الطيب، 31/3. وقد أورد المقطعة كاملة.

* * * *

(1) في ابن سعيد، م.س، ص98. لم يرد البيت. والمثبت في المقّري، م.س، 31/3.

(2) في المقري م.س، 31/3: أخي هدى.

(3) في المقري، م.س، 31/3: مهما يرم طاّب.

(4) حباء: اقتراب؛ اللسان: مادة حبا.

(5) في المقري، م.س، 31/3: والأرض.

(6) في المقري، م.س، 31/3: الوطفاء. والديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق أقلّه ثلث النهار أو ثلث الليل، والجمع ديم. الهطلاء: المطر الدائم المتفرق عظيم القطر، الوطفاء: السحابة السح الحثيثة طال مطرها أو قصر؛ اللسان: مادة ديم، وهطلَ، ووطَفَ.

-3-
في المدح

وقال يمدح من قصيدة*:

(الكامل)

1.[1] بحـر وليس نَـوالُـه بمشَقـة   المـالُ في يـده شَبيه غُثـاء

-4-
في الوصف

وقال في خسوف البدر*:

(الكامل)

1. شان الخُسوفُ البدر بعد جمالِه   فكـأنه مـاء عليه غُثَـاء(2)
2. أو مثل مرآة لِخَود(3) قد قَضتْ   نَظَرا بها فعلى الجِلاء غشاء

---

* تخريج البيت المفرد رقم (3)، ورد في:
- ابن سعيد، المغرب، 143/2.
-

* تخريج النتفة رقم (4)، وردت في:
- المقري، نفح الطيب، 31/3.

* * * *

(2) غُثاء: ما علا الماء من هشيم يابس؛ اللسان: مادة غثي.

(3) الخَود: الفتاة الحسنة الخَلْق الشّابة الناعمة، الجِلاء: الكُحل؛ اللسان: مادة خود، وجلو.

-5-

في المدح

وله من قصيدة يمدح أبا زكريا الحفصي ملك إفريقية*:

(الكامل)

1. الأُفْـقُ طَلْـقٌ والنسـيم رخَـاء ... والروض وشتْ بـرده الأنْـداء
2. والنهر قد مالَتْ عليـه غُصونُه ... فكـأنمـا هو مقْـلَةٌ وطْفَـاء [1]
3. وبـدا نثَـار الجلنـارِ [2] بصفْحه ... فكـأنمـا هـو حيـةٌ رقْطَـاء
4. والشمس قد رقَمـتْ طرازا فَوقَه ... فكـأنمـا هـي حلـةٌ زرقـاء
5. فَأدر كُؤوسـك كي يتم لَك المنَى ... واسمـع إلى مـا قالت الورقَاء
6. تَدعوك حي على الصبوحِ فلا تَنَم ... فَعلَى المنَامِ لَدى الصباحِ عفَاء [3]

* تخريج المقطعة رقم (5)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 30/3.

* * * *

(1) وطْفَاء: كثيرة شعر أهداب العين؛ اللسان: مادة وطف.

(2) الجلنار: زهر الرمان معرب كلنار. ينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط، 468/1.

(3) الصبوح: ما يشرب وقت الصبح من لبنٍ وخمر. عفَاء: محو للذنوب؛ اللسان: مادة صبح، وعفا.

-6-

في المدح

وكتب إلى ملك سبتة الموفق أبي العباس أحمد بن أبي الفضل السبتي يمدحه ويشفع لشخصٍ رغب في خدمته*:

(الكامل)

1. بالعـدل قُمتَ وبالسماحِ فَدن وجد	لا فارقتْـك كفـايةٌ[1] وعطـاء
2. ما كل من طلَـب السعادةَ نالَـها	وطلاب ما يأْبى القَضـاء شَقَاء
3. وقد استَطَار بأسطُري نحو الندى	من أنْهضـتْـه لِنَحـوك العلْياء
4. طلَب النبـاهةَ في ذُراك فمـا له	إلا لَـديـك تَـأَمـلٌ ورجـاء
5. وهو الذي بعـد التجاربِ أحمدتْ	أحـواله وجـرى عليـه ثنـاء
6. لا يقـرب الدنس المريب كواصلٍ	هجرتْه خوفًا أن يشان الراء[2]
7. قد مارس الحرب الزبون[3] زمانَه	وجـرتْ عليـه شـدةٌ ورخَـاء
8. وعلاك تقضي أن يسـود بأُفْقـها	لا غَرو[4] أن يعلي الشهاب بهاء

* تخريج القصيدة رقم (6)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 30/3-31.وقدم لها بقوله: "وله من قصيدة كتب بها إلى ملك سبتة الموفق أبي العباس أحمد بن أبي الفضل السبتي شافعا لشخص رغب في خدمته". وسبتة: مدينة مغربية كبيرة تقابل الجزيرة الخضراء، وتتكون من سبعة جبال صغار متصلة بعضها ببعض، وهي محاطة بالبحر من جميع جوانبها عدا الجانب الغربي، ولها مدخلان في الجانب البري منها، ومداخل كثيرة على البحر. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص303. وملك سبتة لم أعثر له على ترجمة.

* * * *

(1) كفاية: مكافأة. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، 240/1.

(2) الدنس: الوسخ. يشان: يقبح؛ اللسان: مادة دنس، وشين.

(3) الحرب الزبون: الشديدة؛ اللسان: مادة زبن.

(4) لا غَرو: لا عجب؛ الرازي، م.س، 198/1.

-7-

في المدح

وقال يمدح أبا زكريا الحفصي ملك إفريقية*:

(الكامل)

1. نَازعتُه كأْس المـ ـدامة سحرةً حتى تَرفـ ـع للصـ ـباح لِـ ـواء
2. وشَدا الحمـ ـام مبشـ ـرا بِقُدومه وتَرحلَـ ـتْ بِنُجومها الظـ ـلْماء
3. فَثَنَى علَـ ـي بِكـ ـأْسه ثُم انْثَـ ـنَى مترنحا تَهفُو بِـ ـه الصـ ـهباء(1)
4. نَاديتُـ ـه طَربا فَقَـ ـالَ بِدولَة الْـ ـملْك الذي اتصلَتْ بِه النعماء
5. يحيى الذي أَحيـ ـا الإمارةَ بعدما عـ ـم البرِيـ ـةَ فتْـ ـنَةٌ عمـ ـياء
6. ملك تَلُوح علَيه مسحـ ـةُ مـ ـلأَك فَالأرض منْـ ـذُ تَحمـ ـلَتْه سماء
7. تُنْمي إِلى العمـ ـرين منْه مفَاخر عمرتْ بِما شَاءتْ له الْعـ ـلْياء
8. نَهضتْ إِلى الغَايات منْه همـ ـةٌ جمـ ـعتْ علَى آرائِها الأَهـ ـواء
9. وتَأَلفَتْ فرقُ العصا ممن عصى وتَأَرجتْ بِنُـ ـتُوحه الأَرجـ ـاء(2)
10. مولاي قَد فَني الكَـ ـلام ولَم أَجِد ما فيه يا مغْنَى الأَنَامِ كفَـ ـاء(3)
11. فَلأَعكفَن علَى الدعاء لَعـ ـلـ ـني أَقْضي بِه حقّـً ـا وأَين جـ ـزاء
12. فَنُصرتَ حتى لا يخَالِفَـ ـك امرؤٌ وبقيـ ـتَ حتى لا يحـ ـد بقَـ ـاء

---

* تخريج القصيدة رقم (7)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص167-168. وقدم لها بقوله: "ابن سعيد: المؤلف، من قصيدة أميرية".

* * * *

(1) الصهباء: الخمر التي عصرت من عنبٍ أبيض؛ اللسان: مادة صهب.

(2) تأرجت الأرجاء: انتشرت في الأرجاء ريح طيبة؛ اللسان: مادة أرج.

(3) المغنى: الملاذ والمكان الذي يعود إليه الناس. الكفاء: الكُفؤ والمساوي؛ اللسان: مادة غني، وكفي.

-8-

في الوصف

وقال في نهر شنيل بغرناطة*:

(المنسرح)

1. كأنما النهـر مهـرقٌ[1] كُتبـتْ ... أسطُره والنسـيم منْشئُـها[2]
2. لما أبانَتْ عن حسنِ منْظَـره[3] ... مالتْ عليها الغُصون تقْرؤُها

-9-

في الوصف

وقال يصفُ الخيل*:

(الكامل)

1. ولكم سرينا في متُـونِ ضوامرٍ ... تَثْـني أعنـتَها من الخُيَـلاء[4]
2. من أدهمٍ كالليل حجـلَ بالضحى ... فتُشَـق غُرتُه عن ابنِ ذُكـاء[1]
3. أو أشْهبٍ يحكـي غَدائِر أشْيـبٍ ... خَلَعتْ عليه الشهب فَضلَ رِداء[2]
4. أو أشْقَـرٍ قد نَمـقَـتْه يشُعـلة ... كالمـزجِ ثار بصفْحة الصهباء[3]
5. أو أصفَـرٍ قد زيـنَـتْـه غُـرةٌ ... حتى بدا كالشمـعة الصـفْـراء

---

* تخريج النتفة رقم (8)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص98. وقدم لها بقوله: "ومما لم يسمع المملوك لأحد قوله". ونهر شنّيل: هو نهر ثلجي يمر في منتصف غرناطة، وينبع من جبل شلير ينظر: ابن إدريس، نزهة المشتاق، 569/2.
- ابن سعيد، المغرب، وقد أوردها مرتين: 83/2-84، 143/2. وقد أورد النتفة كاملة في كلا الموضعين.
- ابن سعيد، اختصار القدح، ص2. وقد أورد النتفة كاملة.
- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 130/4. وقد أورد النتفة كاملة.
- السيوطي، بغية الوعاة، 222/2. وقدم لها بقوله: "وله في نهر غرناطة".

* * * *

([1]) في ابن سعيد، المغرب، 83/2؛ السيوطي، م.س، 222/2: صفحةٌ.

([2]) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص2: منْشَؤُها. وفي لسان الدين، م.س، 130/4: ينْشئُها.

([3]) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص2: منظرها.

* تخريج المقطعة رقم (9)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 32/3.

* * * *

([4]) سرى: ارتفع وعلا. ضوامر: مفردها ضامر وهي الفرس دقيق الجانبين، الخُيلاء: الكبر؛ اللسان: مادة سرا، وضمر، وخَيَل.

6. طارت، ولكـن لا يهاض جناحها هبـتْ، ولكـن لم تكُن بِرخَاء[4]

-10-

في الغزل

وقال في افتضاض بِكر[*]:

(الكامل)

1. وخَرِيـدة ما إن رأيـتُ مثـالَها حيتْ من الألْحاظ بالإيمـاء[5]
2. فسألْتُها سمع الشكاة فأفْهـمـتْ أن الرقيب جهيـنةُ الأنْبـاء[6]
3. وتَبِعتُـها وسأَلـتُ منها قُبـلَةً في خَلْـوة من أعيـنِ الرقَباء
4. فَثَـنَتْ علي قَـوامها يتَعـانُق أحيا فؤادا ماتَ بالبـرحاء[7]
5. ووجدتُـها لما ملَكْـتُ عنـانَها عـذْراء مثلَ الـدرة العـذراء
6. جاءتْ إليَ كـوردة محمـرة[8] فتَركْتُها كعـرارة صفْـراء[9]
7. وسلبتُها ما احمر منها صفْوه[10] فجرى مذابا منْجِحا لرجائي[11]

([1]) الأدهم: الأسود، ويكون في الخيل والإبل وغيرهما. حجل: هو الذي ارتفع البياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود؛ اللسان: مادة دهم، وحجل.

ابن ذكاء: ابن الشمس. وأصله مثلٌ عربي هو: "أضوأ من ابن ذكاء"، يراد الصبح وإنما جعلوا ذكاء وهي الشمس أمه لأن ضوءه منها ينظر: الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، 218/1.

([2]) الأشْهب: الفرس وقد غلب بياضه سواده؛ اللسان: مادة شهب.

([3]) الصهباء: الفرس وقد علا شعرها حمرة وأصولها سود؛ اللسان: مادة صهب.

([4]) لا يهاض: لا يكسر. الرخاء: الهش من كل شيء؛ اللسان: مادة هيض ورخو.

[*] تخريج المقطعة رقم (10)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص100. وأورد بيتين هما: (6، 7).
- المقري، نفح الطيب، 32/3. وقد أورد المقطعة كاملة.

* * * *

([5]) الخريدة: البكر من النّساء التي لم تُمسس قط، والجمع خرائد، الألحاظ: مؤخر العين مما يلي الصدغ؛ اللسان: مادة خَرد، ولحظ.

([6]) جهينةُ: أبو قبيلة من العرب، وفي المثل "وعند جهينةَ الخبر اليقين" ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 3/2. والمقصود هنا أن من يراقبها يكتم سرها.

([7]) البرحاء: شدة الأذى؛ اللسان: مادة برح.

([8]) في ابن سعيد، م.س، ص100: حمراء.

([9]) العرارة: المرأة التي تلد ذكورا؛ اللسان: مادة عرر.

([10]) في ابن سعيد، م.س، ص100: خَجلةً.

([11]) منجحا: مسعفًا ومدركًا؛ اللسان: مادة نَجح.

-11-

في الغزل بالمذكر

وقال في غلام بديع الصورة نزل إلى البحر مناصفةً مع أبي محمد الزهري القرطبي*:

(المجتث)

الزهـري	1.	جِسم هو المـاء لُطْفـًا	وارتْـه شُـقـةُ مـاء
ابن سعيد	2.	لا بلْ هو النـور أضحى	يـدب في الظـلْـمـاء
الزهـري	3.	يخْفى كسيـف بِغـمـد	وينْـتَـضى للمضاء[1]
ابن سعيد	4.	كـأنه نَـجـم رجـمٍ[2]	يشُـق ثَوب السـمـاء

-12-

في الإخوانيات

وكتب إلى صديق له مريض يحثه على تناول الدواء*:

(المتقارب)

1. فخُـذْها أزاهـر روضٍ غَـدتْ فـألسـنـها لكُـم في ثَنـَاء
2. عسـاها تُشَـافـه أرجـاءكُـم نيـابةَ خـل صدوق الإخـاء

---

* تخريج المقطّعة رقم (11)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، ص135.

* * * *

([1]) ينتضى: يستل من الغمد؛ اللسان: مادة نضا.

([2]) نجم رجمٍ: النجم الذي يرمى به؛ اللسان: مادة رجم.

* تخريج النتفة رقم (12)، وردت في:

- ابن سعيد، م.س، ص3.
-

قافية البـــاء

-13-

في الغزل بالمذكر

قال مخاطبا أبا العباس الغساني، وقد دخل معه إلى حمام فنظر إلى غلْمانٍ في نهاية الحسن، ونعومة الأبدان*:

(السريع)

1. دخَلْـتُ حمـاما وقصدي به   تَنْعـيم جِسـمٍ فَغَـدا لي عـذاب
2. قُلْتُ لَظى فاعتَرضتْ حوره   وقُلْـتُ عدن فَتَـهاني التهـاب[1]
3. وأنتَ في الفضـل إمام فكُن   في الحكْمِ ممن حاز فصلَ الخطاب

-14-

في الوصف

وقال يصفُ ليلةً*:

(الكامل)

1. وعشية بلَغَتْ بِنا أيدي النوى   منها محاسن جامعات للنخَـب
2. فحـدائِقٌ ما بينَهـن جداوِلٌ   وبلابِلٌ فَوقَ الغُصونِ لها طَرب
3. والنخْلُ أمثالُ العرائِسِ لُبسها   خَز وحلْيتُـها قلائِد من ذَهب[2]

---

* تخريج النتفة رقم (13)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 56/3.

* * * *

([1]) التهاب: إشراق اللون من الجسد؛ اللسان: مادة لهب.

* تخريج النتفة رقم (14)، وردت في:

- المقري، م.س، 88/3.

* * * *

([2]) الخز: نوع من الثياب مرصع بالجواهر؛ اللسان: مادة خَزز.

-15-

في الوصف

وقال في وصف غرناطة*:

(الرمل)

1. باكرِ اللهـو ومن شاء عتَب ... لا يلَـذ العـَيـشُ إلا بالطـرب

2. ما تَوانى من رأى الزهر زها ... والصبا تمرح في الروض خَبَب[1]

3. وشَـذاه صانَه حتى اغْتَـدى ... بين أيدي الريح غَصبـًا ينْتَهب

4. يا نَسيما عطـر الأرجاء، هل ... بعثوا ضمـنَك ما يشْفي الكَرب؟

5. هم أعلـوه وهم يشْـفُـونَـه ... لا شَفاه اللهُ من ذاك الوصب![2]

6. خلَّـع الروض عليـه زهره ... حين وافى من ذُرالكُم فعلَ صب

7. فأبى إلا شَـذاه فـانْـثَـنى ... حاملاً من عرفه ما قد غَصـب

8. لستُ ذا نُكْرٍ لأن يشْـبهـكُم ... من بعثْتُم، غَير ذا منه العجـب

9. غالَب الأغْصـان في بدأتـه ... ثم لمـا زاد أعـطَـتْه الغَلَـب

10. فَبكى الطـل عليـها رحمـةً ... أو بكى من وعظ طَيرٍ قَد خَطَب[3]

11. كُل هـذا قد دعاني لِلـتـي ... ملكَـتْ رِقي على مر الحقَـب

12. قَهـوةٌ أبسـم من عجـبٍ لها ... عندما تَبسـم عجبا عن حبب[4]

13. حاكت الخَمـر فلَما شُعشعتْ ... قُلْتُ ما للخَمـرِ بالماه الْتَهب[5]

14. وبدتْ من كأسـها لي فضـةٌ ... ملئَـتْ إذ جمـدتْ ذَوب الذهب

15. اسقنيـها من يـدي مشْبِهـها ... بالذي يحـويه طَـرفٌ وشَنَـب

16. لا جعلْتُ الدهر نُقْلي غير ما ... لَذ لي من رِيق ثَغْرٍ كالضرب[6]

17. لا جعلْتُ الدهر ريحاني سوى ... ما يخَـديه من الورد انْتَهب[7]

18. لم أزلْ أقْطَـع دهـري هكذا ... وكذا أقْطَـع منْـه المـرتَقَـب

19. حبـذا عيـشٌ قَطَعـناه لدى ... معطَف الخابورِ ما فيه نَصب[8]

20. مع من لم يدرِ يوما ما الجفا ... من أراح الصـب فيه من تَعب

21. كُـل ما يصـدر منْه حسـن ... لم يذقْني في الهوى مر الغَضب

---

* تخريج القصيدة رقم (15)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 54/3-55. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بغرناطة"

* * * *

22. أي عيـشٍ سمـح الدهر به كُل نَعمـى ذَهبـتْ لَما ذَهـب

-16-

في الإخوانيات

وقال على لسان أحدهم*:

(الرمل)

1. شَرفَ الدين، أَين لي ما السبب في انْقلابِ الدهرِ لي عنْد الغَضب
2. فَلْـتَـدم غَضبان أَظْفَر بالمنى لَيس لي في غَيـرِ هذا من أَرب
3. إِنما ظَهـرك عنْـدي قبـلَـةٌ ووضوئي الدهر من ذاك الشنَب

-17-

في الوصف

(1) الخَبب: هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا؛ اللسان: مادة خَبب. وأراد هنا أن الصبا تمرح في الروض مثل الخيل.

(2) الوصب: الوجع والمرض؛ اللسان: مادة وصب.

(3) الطلّ: المطر الصغار القطر الدائم وهو أرسخ المطر ندى؛ اللسان؛ مادة طَلَلَ.

(4) العجب: إنكار ما يرِد عليك لِعلّة اعتياده، الحبب: ما جرى على الأسنان من الماء أو الخمر أو غيرهما؛ اللسان: مادة عجب، وحبب.

(5) شُعشعت: مزجت بالماء، التهب: احترق؛ اللسان: مادة شعع، ولهب.

(6) نُقلي: ينقلني من حال إلى حال، والناقلة من نواقل الدهر التي تنقل القوم من حالٍ إلى حال، الضرب: العسل الأبيض الغليظ؛ اللسان: مادة نقل، وضرب.

(7) انتهب: انتهابا أخذه من شاء؛ اللسان: مادة نهب.

(8) الخابور: نهر كبير يبدأ من رأس عين ويصب في نهر الفرات ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 334/2.

* تخريج النتفة رقم (16)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 67/3. وقدم لها بقوله: "وقلتُ بالقاهرة على لسان من كلفَني ذلك".

وقال في وصف مدينة دمشق*:

(مجزوء الكامل)

1. أما دمشْـقُ فجنـةٌ ينْسى بها الوطَن الغَرِيب
2. للهِ أيـ ـام السـبـو ت بها ومنْظَرها العجِيب
3. انْظُر بعينك هلْ ترى إلا محـبـًا أو حبِـيـب
4. في موطنٍ غنى الْحما م به على رؤْص الْقَضيب
5. وغدتْ أزاهر روضه تخْتَـالُ في فَرحٍ وطيـب

-18-

في الوصف

وقال في تفاحة عنبرٍ أُهديتْ للملك الصالح نجم الدين أيوب*:

(الخفيف)

1. أنا لونِ الشبابِ والخال أُهديـ ـتُ لِمن قد كسا الزمـان شَبابا
2. ملك العالمـيـن نَجـم بني أيـ ـيوب لا زالَ في المعالي شهابا
3. جِئْـتُ ملأى من الثناء عليه من شكـورٍ إحسانَـه والثـوابا
4. لستُ ممـن له خطـاب ولكن قد كفاني أريـج عرفي خطـابا

-19-

في المدح

---

* تخريج المقطعة رقم (17)، وردت في:

- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، 812/2-813. وقدم لها بقوله: "وقال أيضا فيها".

* تخريج المقطعة رقم (18)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 33/3، 53.

وقال يمدح أحدهم*:

(الكامل)

1. أَفْدي بِروحي كاتبا متَعلمـًا ... قَد حير الأبصار والألْبابا

2. لَو كان يكْتُب مثْلَ خَط عذَاره ... كان ابن بوابٍ[1] لَه بوابا

-20-

في الوصف

وقال بإشبيلية ذاكرا وادي الطلْح، وهو بشرق إشبيلية ملتف الأشجار*:

(السريع)

1. سائِلْ بِوادي الطـلْحِ رِيح الصبـَا ... هلْ سخرتْ لي في زمانِ الصبا[1]

2. كانتْ رسـولاً فيـه ما بـيـنَـنا ... لَن نأْمن الرسلَ ولن نَكْـتُـبا

3. يـا قـاتَـلَ اللـه أُنـاسـ ـًا إذا ... ما استُؤْمنوا خانوا، فما أعجبا

4. هلا رعـوا أَنا وثـقْـنـا بِهـم ... وما اتخَـذْنا عنْهـم مذْهـبا

5. يـا قـاتَـلَ اللهُ الذي لم يـتُـب ... من غَـدرِهم من بعد ما جربا

6. والْـيـم لا يعـرِفُ ما طَعـمـه ... إلا الـذي وافـى لأن يشْـربا

7. دعـني من ذكْـرِ الوشـاة الأُلى ... لَمـا يزلْ فكْري بِهم مـلْهـبا

8. واذْكُـر بِوادي الطـلْحِ عهـدا لَنا ... للهِ ما أحـلـى ومـا أطـيـبا

9. بِجـانبِ العطـف وقد مالَـت الْـ ... أغصان والزهر بيـث الصـبا

10. والطيـر مازتْ بيـن أَلْحـانهـا ... وليس إلا مـعـجِـبا مطْرِبا[2]

11. وخَانَـنـي من لا أُسمـيـه من ... شُحٍّ أَخافُ الدهر أن يسـلُبـا

---

* تخريج النتفة رقم (19)، وردت في:

- السيوطي، بغية الوعاة، 222/2. وقدم لها بقوله: "ومن شعره".

* * * *

([1]) ابن البواب: هو أبو الحسن علي بن هلال بن البواب البغدادي، (ت 413هـ)، تفرد بحسن الخط في زمانه، أكمل تعريب الخط الكوفي ودوره بعد ابن مقلة: ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 243/3؛ ابن شاكر الكتبي، الوافي بالوفيات، 179/22؛ اليافعي، مرآة الجنان، 42/3.

* تخريج القصيدة رقم (20)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 51/3-53. ووادي الطّلح: هو واد بشرق إشبيلية ملتفّ الأشجار، كثير مترنّم الأطيار. ينظر: المقري، م.س، 51/3.

* * * *

12. قـد أتْـرع الكـأس وحيـا بهـا ... وقلْتُ أهلاً بالمـنى مرحـبا[3]

13. أهـلاً وسهـلاً بالذي شـئْـتُـه ... يا بـدر تمٍّ مهـديـًا كوكـبا

14. لـكـنـني آليـتُ أسقـى بهـا ... أو تُودعـنْها ثغْرك الأشْنَـبا

15. فمـج لي في الكـأس من ثغْـره ... ما حبـب الشرب وما طَـيبا[4]

16. فقـالَ هـا لـثْـمـي نُقْـلاً ولا ... تَشـم إلا عـرفـي الأطْـيبا[5]

17. فاقْطفْ بِخَدي الورد والآس والنْـ ... ـنسرين لا تحفلْ بزهرِ الربا[6]

18. أُسعـفْـتُـه غُصـنًا غَدا مثْمـرا ... ومن جنـاه مـيـسـه قرّبا[7]

19. قـد كُـنْـتُ ذا نَهـيٍ وذا إمـرة ... حتـى تبدى فحـلّتُ الحبا[8]

20. ولم أصـن عـرضـي في حبـه ... ولم أُطـع فيـه الـذي أنبـا

21. حتـى إذا مـا قالَ لي حاسـدي ... ترجوه والكـوكب أن يغْـربا

22. أرسلْـتُ من شعـري سحـرا له ... ييـسـر المرغَب والمطْـلبـا

23. وقـالَ عرفْـه بـأنـي سـأحـ ... ـتالُ فما أجـتَـنب المكْـتَبا

24. فَـزاد في شَـوقـي لـه وعـده ... ولم أزلْ مـقْـتَـعـدا مرقَـبا

25. أمـد طَرفـي ثُـم أثْـنـيـه من ... خَوف أخي التنْغيص أن يرقبا

26. أُصـدقُ الـوعـد وطَـورا أرى ... تَكْـذيبـه والحـر لن يكْـذبا

27. أتـى ومـن سـخـره بعـد ما ... أيأس بطْـئًا كاد أن يغْـضـبا

28. قبـلْتُ في التـربِ ولم أستَطـع ... من حصرِ اللقْـيا سوى مرحبا

29. هـنـأْتُ ربعـي إذْ غَـدا هالَـةً ... وقُلْـتُ يا من لم يضـع أشْعبا

30. بـاللهِ مـلْ معـتَـنـقـًا لائمـًا ... فمـالَ كالغُصنِ ثنَـتْـه الصبا

31. وقالَ ما ترغَـب؟ قُلْـتُ اتـئِـد ... أدركْتُ إذْ كلمـتْـني المأْربا[9]

32. فقـالَ لا مـرغَـب عن ذكْرِ ما ... ترغَـبـه قُـلْتُ إذًا مركبـا[1]

33. فـكـان مـا كـان فَـو اللهِ مـا ... ذكرتُـه دهـري أو أُغْـلـبا

([1]) الصبا: الريح التي تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنّهار، الصبا: الصغر ؛ اللسان: مادة صبا.

([2]) مازتْ: انفردتْ؛ اللسان: مادة ميز.

([3]) أتْرع الكأس: ملأها. المنى: جمع أمنية، وهي ما يتمنى الرجل؛ اللسان: مادة منَي.

([4]) مج في الكأس: لفظ من فمه الشراب بمقدار ما يتسع الفم؛ اللسان: مادة مجج.

([5]) اللثم: التقبيل؛ اللسان: مادة لثَم.

([6]) الآس والنسرين: ضربان من الرياحين؛ اللسان: مادة أوس ونسر.

([7]) ميسه: تمايله وتبختره؛ اللسان: مادة ميس.

([8]) الحبا: السلم والخضوع؛ اللسان: مادة حبو.

([9]) اتّئد: تمهل، المأرب: الحاجة؛ اللسان: مادة أود وأرب.

-21-

في الوصف

ويقول في جزيرة بنيتْ وسط النيل*:

(الكامل)

1. انْظُر إلى سورِ الجزيرة في الدجى   والبدر يلْثُم منْه ثَغْـرا أشْنَبا[2]
2. تتَضاحـك الأنْـوار في جـنَـباته   فتُريك فَوقَ النـيل أمرا معجِبا
3. بيـنَا تَراه مفَضـضـًا في جانبٍ   أبصرتَ منه في سواه مذْهبا[3]
4. لله مـرأى مـا رآه نـاظـري   إلا خَلَـعـتُ له المقام تَطَـربا

([1]) المرغَب: المال اليسر؛ اللسان: مادة رغب.

* تخريج المقطعة رقم (21)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 104/3.

* * * *

([2]) الثغر الأشنب: الثغر شديد بياض الأسنان؛ اللسان: مادة شنَب.

([3]) المفضض: المرصع بالفضة. المذهب: المرصع بالذهب؛ اللسان: مادة فَضض، وذَهب.

-22-

في الرثاء

وقال يرثي الوزير أبا العلاء بن جامع*:

(الطويل)

1. بكتْ لك حتى الهاطـلاتُ السـواكب	وشَقتْ جيوبا فيك حتى السحـائب[1]
2. فكَـيـفَ بمن دافَعـتَ عنه ومن به	أحاطَتْ وقد بوعدتَ عنه المصـائب
3. ألاَ فانْـظُـروا دمعي فَأكْـثَـره دم	ولا تذْهبـوا عنـي فَـإنـي ذاهـب
4. وقولوا لِمن قد ظـل ينْـدب بعـده	وفـاؤك لو قامتْ عليك النـوائب[2]
5. لَعمـرك ما في الأرض وافٍ بذمـة	أيصـمتُ إدريس ومثْـلي يخاطب؟
6. دعـوتُـك يا من لا أقُوم بشُـكْـره	فَهـلْ أنتَ لي بعد الدعـاء مجاوب؟
7. أيا سـيـدا قد حالَ بيـني وبيـنَـه	تُراب حـوتْ ذكراك منه الترائِب[3]
8. لِمن أَشْـتَـكي إن جار بعدك ظالِـم	علَـي وإن نابتْ جنـابي النـوائِب
9. لِمن أَرتَجي عند الأميـرِ بمـنْطـق	تَحـف به حولي المنى والمواهـب
10. وقد كنتُ أختـار التـرحـلَ قبلَ أن	يصيـبـك سهم للمـنـيـة صائِب
11. ولكـن قضـاء اللهِ مـن ذا يـرده	فَصبرا فقد يرضى الزمان المغاضب
12. وإني لأدري أن في الصـبرِ راحـةً	إذا لم تكُـن فيـه علي مثَـالِب[4]
13. وإن لم يؤُب[5] من كُنتُ أرجو انتصاره	عليـك فَلُـطْـفُ اللهِ نَحـوي آيب

* تخريج القصيدة رقم (22)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 46/3. ويقول المقري عن هذه القصيدة: وهي طويلة.

* * * *

(1) الهاطلاتُ السواكب: المطر الدائم كبير القطر؛ اللسان: مادة هطَلَ، وسكَب.

(2) النوائب: جمع نائبة، وهي ما ينزل بالإنسان من حوادث ومصائب؛ اللسان: مادة نَوب.

(3) الترائب: عظام الصدر؛ اللسان: مادة ترب.

(4) المثالب: جمع مثلبة وهي العيب واللوم؛ اللسان: مادة ثَلَب.

(5) يؤب: يرجع ويعود؛ اللسان: مادة أوب.

-23-

في العتاب

وقال مخاطبا ابن محارب ناظر الديوان بالإسكندرية بعد أن احتجب عنه*:

(المجتث)

1. يا ذا الحجابِ ترفقْ   فَفي حيـاتي حجـاب
2. إن سـد بابك عني   فَـكـم إلى اللهِ بـاب
3. وإن أكُـن مغْريبـًا   فَلي معـانٍ غـراب
4. كُتْب التـأدبِ تُملي   وعنْك يروى الصواب
5. ولا تُصيخُ[1] لِمثْـلي   أهــكــذا الآداب

-24-

في الحكمة

وقال في سرقة سكّين له*:

(الطويل)

1. أيا سارقًا ملْكًا مصـونًا ولم يجِب   عليه به[2] قَطْع وفيـه نصـاب
2. ستَنْـدبـه الأقْلام عنْد عثـارها   ويبكيه إن يعد[3] الصواب كتاب

---

* تخريج المقطعة رقم (23)، وردت في:
- ابن سعيد، اختصار القدح، ص4. وابن محارب هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محارب القيسي الغرناطي الأصل الإسكندراني المولد، (554-640هـ)، كان له عناية قوية بالحديث والوارية، والتأليف: ترجمته في: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 95/23؛

* * * *

([1]) تُصخ: تُنصت وتستمع؛ اللسان: مادة صيخَ.

* تخريج النتفة رقم (24)، وردت في:
- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص100-101.
- ابن سعيد، المغرب، 143/2.
- ابن سعيد، اختصار القدح المعلّى، ص215.
- المقري، نفح الطيب، 340/2.

* * * *

(2) في ابن سعيد، المغرب، والمقري، م.س: على يده

(3) في ابن سعيد، م.ن: أن يعدو.

-25-

في الحكمة

وقال في التسليم للمقدور*:

(الطويل)

1. إذا لم يكُن إلا الأسنةَ[1] مركب   فلا رأْي للمضطَر إلا ارتكابها

-26-

في المدح

قال يمدح الوزير أبا العلاء بن جامع ويستأذنه بالسفر إلى المشرق برسم الحج بعد أن رفض له ذاك*:

(الطويل)

1. هل الهجـر إلا أن يطولَ التجنـب   ويبـعـد من قـد كان منه التقَرب
2. وتُقْطَـع رسـلٌ بـيـنَـنا ورسائِلٌ   ويمـنَع لُقْـيانَـا نَوى[2] وتَجـنب
3. ولو أنـني أدري لِنَـفْسـِي زلـةً   جعلْـتُ لكُم عـذْرا ولم أك أعـتَب
4. ولكنـكُـم لما ملَكْـتُـم هجرتُـم   وذَنـبـتُم في الحـب من ليس يذْنب
5. إلى اللهِ أشْكو غَدركُـم وملالكُم[3]   وقَـلْبـًا لـه ذاك التـعـذب يعـذُب

---

* تخريج البيت المفرد رقم (25)، ورد البيت في:
- المقري، نفح الطيب، 275/7.

* * * *

([1]) الأسنّة: جمع سنان، وهي حد السيف أو السكين؛ اللسان: مادة سنن.

* تخريج القصيدة رقم (26)، وردت في:
- المقري، نفح الطيب، 45/3-46.

* * * *

([2]) النّوى: البعد والفراق؛ اللسان: مادة نوي.

([3]) ملالكم: إعراضكم؛ اللسان: مادة ملّ.

6. فلـو أنه يجـزيكُـم بفعـالِـكُـم ... لكـان له عـنْـكُم مراد ومطْـلَـب

7. ولكـن أبى ألا يحـن لِغَـيـرِكُم ... وألا يرى عنْكُم مـدى الدهرِ مذْهـب

8. فَهلا رعـيـتُـم أنه في ذَراكُم[1] ... غريب، وليس الموتُ إلا التـغَـرب

9. لَزِمـتُـك لما أن رأيـتُـك كاملاً ... جمـالاً وإجمـالاً وذاك يـحـبـب

10. وإني لأخشـى أن يطولَ اشْتكاؤه ... لِمن إن أتى مكْـرا فليـس يثَرب[2]

11. فلَـم أسع إلا لارتيـاحٍ وراحـة ... وغيـري وقـد آواه غيـرك يتْعـب

12. فَأَنْتَ الذي آويـتَـني ورحمـتَني ... وذو الرحمِ الدنيا لِنـارِي يحـطـب

13. فما مر يوم لا يريـد مصـيـبةً ... عليـك، وبالتـدبيـرِ منْك يخَـيـب

14. وهـبك ثَبـوتًا لا تُحيلُ أما ترى ... مجـر حبـالٍ في الحجارة يرسب[3]

15. وهـبـك له سدا فكم أنْتَ حاضر ... أُحاذر خَرقـًا منْـه أن يتَـسـبـبوا

16. وما إن أرى إلا الفرار مخَـلصا ... وما راغب في الضيم[4] من عنْه يرغَب

17. فَأُنْهي إلى الأمرِ العلي شكـيـتي ... وأن خُطـوب الدهرِ نَحوي تَخْطب[5]

18. ولا تُطْمعوني في الذي لستُ نائِلاً ... فلا أنا عـرقُـوب ولا أنا أشْـعب[6]

19. ألا فلْـتَـمـنـوا بالسـراحِ فإنه ... لَراحةُ من يشْـقى لَديـكُـم وينْصب

20. سلُوا الكـأس عني إذْ تُدار فإنني ... لأتْـركُـها همـًا ودمعـي أشْـرب

21. ولا أسمع الألْحـان حين تَهـزني ... ولو كان نَوحا كُنْتُ أُصغي وأطْـرب

22. فَديـتُـكُـم كم ذا أهون بأرضكُم ... أهذا جـزاء لِـلـذي يـتَـغَـرب؟

23. أَبخْـلٌ علَي؟ ما سواك يصيخُ لي ... فهلْ لِي مما كدر العيـشُ مهـرب؟

24. تَقَلَـص عني كُـل ظـل ولم أجِد ... كما كُنْـتُ ألْقى من أود وأصحـب

25. أذو طَمعٍ في العيشِ يبقى؟ وحوله ... مدى الدهرِ أفْعى لا تَزالُ وعقْـرب

26. أجِـزني لأنجـو بالفـرارِ فإنـه ... وحقـك من نُعماك عنْـدي يحسـب

27. فلا زِلْـتَ يا خَير الكـرامِ مهنـأً ... فَعيـشي منْه الموتُ أشْهى وأطْيـب

28. وصانَك من قد صنْتَ في حقه دمي ... وغَيـرك من ثَوبِ المروءة يسلُـب

---

(1) ذَراكم: ظلّكم؛ اللسان: مادة ذَرا.

(2) يثرب: يؤنّب ويعير ويستقصي في اللوم؛ اللسان: مادة ثرب.

(3) يرسب: يذهب إلى الأسفل؛ اللسان: مادة رسب.

(4) الضيم: الظلم؛ اللسان: مادة ضيم.

(5) تخطب: تسير إليه؛ اللسان: مادة خَطَب.

(6) عرقوب: هو عرقوب بن معبد بن عبد شمس يضرب به المثل في خلف المواعيد فيقال: "مواعيد عرقوب" ينظر: أبو الحسن الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، 316/2؛ الميداني، مجمع الأمثال، 311/2.

أشعب: هو أشعب الطامع الملحي صاحب النوادر يضرب به المثل في الطمع فيقال: "أطمع من أشعب"؛ أبو الحسن الجزري، م.س، 254/3؛ الميداني، م.س، 439/1.

-27-

في الغزل

وقال متغزلاً*:

(الطويل)

1. سألْتُك يا من يستَلان فيصعب ... ومن يترضى بالحياة فيغْضب
2. أما خَدك البدر المنير فلم غدَتْ ... تَحل به ضد القَضية عقْرب

-28-

في الحنين

وقال في الحنين إلى الأحباب*:

(الكامل)

1. أحبابنَا عودوا علَيـنَا عودةً ... ما منْكم بعد التـفَـرق مرغَب
2. كم ذا أداريكُـم بنَفْسي جاهدا ... وكأنما أرضيـكُـم كي تَغْضبوا
3. وأزيد بعدا ما اقْتَربتُ إليـكُم ... كالسهم أبعد ما يرى إذْ يقْـرب
4. وأجوب نَحوكُم المنازلَ جاهدا ... ومع اجتهادي فاتَني ما أطْـلُب
5. كالبدر أقْطَـع منْزِلاً في منْزِلٍ ... فإذا(1) انْتَهيتُ إلى ذَراكُم أغْرب

---

* تخريج النتفة رقم (27)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 33/3.

* تخريج المقطعة رقم (28)، وردت في:

- المقري، م.س، 32/3.

(1) في المقري، م.س، 33/3: فإذا ما.

-29-

في الحنين

قال في الحنين إلى المغرب*:

(الرمل)

1. هـذه مصـر فأين المغْرِب؟ ... مذْ نأى عني فعيـني تسـكُب
2. فارقـتْـه النفْـس جهلاً إنما ... يعرفُ الشيء إذا ما يذْهـب
3. أين حمص؟[1] أين أيامي بها؟ ... بعدها لم ألْقَ شيـئـًا يعجِب
4. كم تقضـى لي بها من لـذة ... حيـثُ للنـهرِ خرير مطْرِب
5. وحـمام الأيك تشْدوا حولنـا ... والمثاني في ذراها تصخَب[2]
6. أي عيـشٍ قد قطعـناه بها ... ذكْـره من كل نُعمى أطْيـب
7. ولكـم بالمـرج لي من لـذة ... بعدها ما العيشُ عنْدي يعذُب
8. والنـواعير[3] التي تذْكـارها ... بالنوى عن مهجـتي لا تُسلب
9. ولكم في شنْتبوسٍ[4] من منى ... قد قضـيـناه ولا من يعتـب
10. حيثُ هاتيك الشراجِيب[5] التي ... كم بها من حسنٍ بدرٍ معصب
11. وغنـاء كُـل ذي قَـفْـرٍ له ... سامع غصبـًا ولا من يغْصب
12. بلْـدةٌ طـابتْ ورب غـافـر ... ليـتـني ما زلتُ فيها أُذْنـب

---

* تخريج القصيدة رقم (29)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/47-49. وقدم لها بقوله: "قال، رحمه الله تعالى: "ولما قدمتُ مصر والقاهرةَ ادركتْني فيهما وحشةٌ، وأثار لي تذكر ما كنتُ أعهد بجزيرة الأندلس من المواضع المبهجة التي قطعتُ بها العيشَ غضا خصيبا، وصحبتُ بها الزمان غلاما ولبستُ الشباب بردا قشيبا، فقلتُ"

* * * *

(1) يقصد بها إشبيلية.

(2) تصخب: ترتفع وتعلو مع اختلاط في الصوت؛ اللسان: مادة صخَب.

(3) النواعير: جمع ناعور، وهي التي يسقى بها، يديرها الماء ولها صوت؛ اللسان: مادة نَعر.

(4) شنتبوس: من متنزهات إشبيلية، كان ابن سعيد يرتاده ويقضي فيه أجمل أوقاته ينظر: المقري، م.س، 48/3

(5) الشراجيب: جمع شرجب، وهو الطويل والمراد هنا سور الجسر؛ اللسان: مادة شَرجب. وهو أيضا قصر من قصور المعتمد بن عباد؛ ينظر: المقري، م.س، 102/1.

13. أين حسن النيل من نهرٍ[1] بها ... كل نغمات لديه تُطرب

14. كم به من زورق قد حمله ... قمر ساق وعود يضرب

15. لذةُ الناظرِ والسمع على ... شمّ زهرٍ وكؤوسٍ تُشرب

16. كم ركبناها فلم تجمح بنا ... ولكم من جامحٍ[2] إذْ يركب

17. طوعنا حيثُ اتجهنا لم نجد ... تعبًا منها إذا ما نتْعب

18. قد أثارتْ عثيرا يشبهه ... نثْر سلك فوق بسط ينْهب

19. كلما رشْنا لها أجنحةً ... من قلاعٍ ظلْتَ منْها تعجب

20. كطيورٍ لم تجد ريًّا لها ... فبدا للعين منْها مشْرب

21. بلْ على الخضراء لا أنْفك من ... زفْرة في كل حينٍ تلْهب[3]

22. حيثُ للبحرِ زئير حولها ... تُبصر الأغْصان منْه ترهب

23. كم قطعنا الليل فيها مشْرقًا ... بحبيبٍ ومدامٍ يسكب

25. وكأن البحر ثوب أزرقٌ ... فيه للبدرِ طراز مذْهب

26. وإلى الحورِ حنيني دائما ... وعلى شنيلَ دمعي صيب

27. حيثُ سل النهر عضبا وانْثنتْ ... فوقه القُضب وغنى الربرب[4]

28. وتشفتْ أعين العشاق من ... حورِ عينٍ بالمواضي[5] تُحجب

29. ملْعب للهو مذْ فارقتُه ... ما ثناني نحو لهوٍ ملْعب

30. وإلى مالقة[6] يهفو هوى ... قلْب صب بالنوى لا يقلْب

31. أين أبراج بها قد طالما ... حث كأسي في ذراها كوكب

---

(1) هو نهر الوادي الكبير بإشبيلية.

(2) الجامح: صفة للفرس إذا ذهبت تجري جريا غالبا ولم تثن رأسها؛ اللسان: مادة جمح.

(3) الخضراء: هي الجزيرة الخضراء: جزيرة بالأندلس، وتسمى أيضا (جزيرة أم حكيم) نسبة إلى جارية طارق بن زياد، كان حملها معه فتخلفها في هذه الجزيرة فنُسبت إليها، وتقع على ربوة مشرفة على البحر، وهي وافرة الأشجار والمياه، وبها جامع حسن البناء، وهي مدينةٌ حصينةٌ، منها تغلب ملوك الأندلس على ما تغلبوا عليه من بلاد إفريقية. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص223. زفرة: التنفس بعد الغم؛ اللسان: مادة زفر.

(4) القُضب: ما يؤخذ من الأغصان للسهام. الربرب: القطيع من بقر الوحش؛ اللسان: مادة قضب وربب.

(5) المواضي: السيوف؛ اللسان: مادة مضي.

(6) مالقة: مدينة أندلسية، تقع على شاطئ البحر، عليها سور صخري كبير، ينسب إليها أجود أنواع التين، كما ينسب إليها عدد من العلماء، منهم: عزيز بن محمد اللخمي المالقي، وسليمان المعافري المالقي. ينظر: الحميري، م.س، ص517؛ ياقوت الحوي، معجم البلدان، 43/5.

32. حفت الأشْجار عشْقًا حولَنا ... تارةً تَنْأى وطَورا تَقْرب
33. جاءت الريح بِها ثُم انْثَنَتْ ... أَتُراها حذرتْ من تَرقُّب؟
34. وعلى مرسية(1) أَبكي دما ... منْزِلٌ فيه نَعيم معشب
35. مع شَمسٍ طَلَعتْ في ناظري ... ثُم صارتْ في فُؤادي تَغْرب
36. هذه حالي، وأَما حالَتي ... في ذَرى مصر فَفكْر متْعب
37. سمعتْ أُذْني محالاً، ليتَها ... لَم تُصدقْ ويحها من يكْذب
38. وكَذا الشيء إِذا غاب انْتَهوا ... فيه وصفًا كَي يميلَ الغُيب
39. ها أَنا فيها فَريد مهمَلٌ ... وكلامي ولِساني معرِب
40. وأَرى الأَلْحاظَ تَنْبو عنْدما ... أَكْتُب الطرس أَفيه عقْرب؟
41. وإِذا أَحسب في الديوانِ لَم ... يدرِ كُتابهم ما أَحسب
42. وأُنادى مغْرِبِيًا، لَيتَني ... لَم أَكُن لِلْغَربِ يوما أُنْسب
43. نَسب يشْرك فيه خامِلٌ ... ونَبيه، أَين منْه المهرب؟
44. أَتُراني لَيس لي جد لَه ... شُهرةٌ أو لَيس يدرى لِي أَب
45. سوفَ أَثْني راجِعا لا غَرني ... بعد ما جربتُ برقٌ خُلَب(2)

-30-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(الكامل)

1. برء كما آب الغَمام الصيب(3) ... فَتَراجع الروض الهشيم المذْنب
2. عطَفَتْ به النعمى على أُلافها ... واستَرجع الزمن المسيء المذْنب
3. ما كُنْتَ إِلا السيفَ يصدأُ متْنُه ... وغِراره ماضٍ إذا ما يضرِب

---

(1) ومرسية: مدينة بالأندلس بناها عبد الرحمن بن الحكم، وكانت دار العمال ومركز قرار القواد في عصرها، وتقع على نهر كبير يسقي جميعها، ولها جامع كبير وحمامات وأسواقٌ عامرة، كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة، وإليها ينسب أبو غالب تمام بن غالب اللغوي المرسي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 107/5؛ الحميري، الروض المعطار، ص139-140.

(2) الخُلب: الذي لا غيث فيه كأنّه خادع يومض حتى تطمع بمطره ثم يخلفك؛ اللسان: مادة خلب.

* تخريج النتفة رقم (30)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 143/2.

* * * *

(3) الصيب: المطر؛ اللسان: مادة صوب.

في الحنين

وقال في الحنين إلى غرناطة*:

(الطويل)

1. أَغنْـني إذا غَنى الحمـام المطْـرب ... بِكأسٍ بها وسواس فكْرِي ينْهب[1]
2. ومِلْ ميـلـةً حتى أُعانِـقَ أَيـكـةً ... وأَلْثـم ثغْرا فيه للصـب مشْـرب
3. ولم أر مـرجـانـًا ودرا خـلالَـه ... يطيفُ به ورد من الشـهد أعـذَب
4. فديـتُـك من غُصـنٍ تحـمـلُه نَقًّا ... تَطَـلـع أعلاه صباح وغيـهب[2]
5. وجـنـتُـه جناتُ عدنٍ وفي لظـى ... فُـؤادي وما لي من ذُنُوبٍ تُعـذب
6. ويعـذلُنـي العـذالُ فيـه وإنـنـي ... لأعصي عليـه من يلوم ويعتَـب
7. لقَد جهلوا هـلْ عن حياتي أَنْـثَـني ... إذا نَمـقـوا أَقْوالَهـم وتَألَّـبوا[3]
8. يقولونَها[4] قد صار ذكْرك مخلـقًا ... وأَصبـح كُل في هـواه يـؤنـب
9. وعرضـك مبذولٌ وعقْـلُك تالِـفٌ ... وجِسمـك مسلوب ومالُك ينْهـب
10. فَقُلْـتُ لَهم عرضي وعقْلي والعـلا ... وفَخْرِي لا أَرضى بها حين يغْضب
11. جـنـون أبى أن لا يليـن لِعـازمٍ ... بسحـرٍ بِآيات الرقى ليس يذْهـب
12. فَقالوا أَلا قد خان عهـدك قُلْـتُ لم ... يخُن من إذا قـربتَـه يتَـقَـرب
13. وكَم دونَـه من صـارمٍ ومثَقـف[5] ... فَيا من رأى بدرا بهذين يحـجب
14. على أنه يستَـسـهلُ الصعب عنْدما ... يزور فَلا يجـدي حمى وتَرقـب
15. وكَم حيـلَة تَـتْـرى على إثْرِ حالَة ... وذو الود من يحتالُ أَو يتَسـبـب
16. على أَنـه لَو خـان عهـدي لم أَزلْ ... لَه راعيا، والرعي للصب أَوجب
17. فَأيـن زمـان لم يخُـنـي ساعـةً ... به وهو مني في التـنَـعمِ أَرغَب

---

* تخريج القصيدة رقم (31)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 50/3-51. وقدم لها بقوله: "وقال بِقَرمونةَ متشوقًا إلى غرناطة". وقرمونة: مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية، افتتحها عبد الرحمن بن محمد سنة (305هـ) ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص461.

* * * *

(1) الوسواس: حديث النفس. ينهب: يزول؛ اللسان: مادة وسس، ونَهب.

(2) الغيهب: شدة سواد الليل؛ اللسان: مادة غَهب.

(3) تألبوا: تجمعوا؛ اللسان: مادة ألِب.

(4) في المقري، 50/2: يقولون. وكتبت يقولونها لتصحيح الوزن.

(5) الصارم: السيف القاطع. المثقّف: الرمح؛ اللسان: مادة صرم، وثَقَفَ.

18. ولا فيه من بخْـلٍ ولا بي قنـاعـةٌ | كلانا بلـذات التـواصل معجـب
19. ويـا رب يـومٍ لا أقـوم بشُـكْـره | على أنني ما زلْتُ أُثْني وأُطْنب(1)
20. على نهرِ شَـنـيلٍ وللقُضـبِ حولنا | منابر ما زالَتْ بها الطيـر تَخْطُب
21. وقد فُرِعـتْ منْه سبـائِـك فضـة | خـلالَ رياضٍ بالأصيـل تُذَهـب
22. شَرِبـنا عليـها قهـوةً ذَهـبِـيـةً | غَدتْ تَشْرب الألْباب أيـان تُشْرب
23. كأن ياسمينـًا وسطَ ورد تفَـتـحتْ | أزاهره أيـان في الكـأسِ تُسكب
25. إذا ما شَرِبـناها لِـنَـيـل مسـرة | تَبسـم عن در لَها قَـتَـقَـطب(2)
26. أتَتْ دونَها الأحقـاب حتى تَخـالُها | سرابا بآفـاق الزجاجـة يلْـعـب
27. نَعـمـنا بها واليـوم قد رق بـرده | إلى أن رأينا الشمس عنا تَغْـرب
28. فقالوا ألا هاتوا السـراج فكُـل من | درى قدر ما في الكأسِ أقْبلَ يعجب
29. وقالَ ألا تَدرون ما في كُـؤوسـكُم | فلا كأس إلا وهو في الليل كوكب
30. كواكب أمستْ بين شَربٍ ولَم نَخَـلْ | بأن النجـوم الزهر تَدنو وتَغْـرب
31. ظَـلَـلْـنا عليها عاكفين ولَيـلَـنا | نَهار إلى أن صاح بالأيـك مطْرِب
32. فلَم نَثْنِ عن دينِ الصـبوح عنانَـنا | إلى أن غَدا من ليس يعرِفُ يَنْـدب
33. صرعنا فأمسى يحسب السكْر قد قضى | علَينا، وذاك السكْر أشْهى وأَعجب
34. وكم لَيـلَـة في إثْـرِ يومٍ وعـذلي | وعـذلٌ من يصـغي لِقَولي خُيـب
35. فيا لَيـتَ ما ولى معـاد نَعيـمـه | وأي نَعيـمٍ عنْـد من يـتَـغَـرب

---

(1) أطنب: أطيل؛ اللسان: مادة طنَب.

(2) التّقطب: تزوي العينين عند العبوس؛ اللسان: مادة قطَب.

-32-

في الإخوانيات

وقال يهنئُ ابن عمه أبا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوارة*:

(الطويل)

1. أَما واجِب أن لا يحولَ وجيـب ... وقد بعـدتْ دار وحان حبيـب
2. وليس أَلِيـفٌ غير ذكْرٍ وحسرة ... ودمعٍ على من لا يرق صبيب[1]
3. وخَفْقُ فُؤاد إن هفا البرقُ خافقًا ... وشَوقٌ كما شاء الهـوى ونَحيب

* تخريج القصيدة رقم (32)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 41/3-44. وقدم لها بقوله: "قد كنتُ وقفتُ على بعض ديوان شعره المتعدد الأسفار، ونقلتُ منه قوله من قصيدة يهنىء ابن عمه الرئيس أبا عبد الله بن الحسين بقدومه من حركة هوارة". وهوارة: قبيلة بطرابلس في المغرب العربي، وهي إحدى بطون أوريغة من البرانس ينظر: الناصري، الاستقصا، 179/1.

* * * *

(1) صبيب: منحدر؛ اللسان: مادة صبب.

4.	ويعذلني من ليس يعرفُ ما الهوى	وعذْلُ مشُوق في البـكاء عجِيب
5.	ألا تَعس اللُوام في الحب قَد "عموا	وصموا"[1] ودائي ليس منْه طَبِيب
6.	يرومون أن يثْني الملام صبابتي	ولَستُ إلى داعي الملامِ أُجِيـب
7.	وفائي إذا ما غبتُ عنْكُم مجـدد	وغَيري ذُو غَـدرٍ أَوان يغيـب
8.	ولَو لَم يكُن مني الوفاء سجِيـةً	لَكُنْتُ لِغَيرِ ابنِ الحسيـنِ أُنيـب
9.	سموءلُ هذا العصرِ حاتم جوده	مهـلَّـبه إن مارستْه حروب[2]
10.	فَتى سير الأَمداح شَرقًا ومغْرِبا	أَبو دلَـف من دونه وخَصيب[3]
11.	إذا رقَم القرطاس قُلْتَ ابن مقْلَة	وإن نَظَم الأَشْعار قُلْتَ حبِيب[4]
12.	وإن نَثَر الأَسجاع قُلْتَ سميـه[5]	وإن سرد التاريخَ قُلْتَ عرِيب[6]
13.	وما أَحرز الصولي[7] آدابه التي	إذا ما تَلاها لَم يجِـبـه أَديـب

(1) فيها اقتباس من قوله تعالى: فَعموا وصموا كثير منْهم ؛ المائدة، 71/5.

(2) السموأل: هو السموأل بن عادياء اليهودي، شاعر مشهور، يضرب به المثل في الوفاء: ترجمته في: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 279/1؛ الميداني، مجمع الأمثال، 374/2؛ الأصفهاني، الأغاني، 347/6.

حاتم: هو حاتم بن عبد الله الطائي القحطاني المشهور بالكرم، (ت 605م)، شاعر جواد، سكن نجد، وزار الشام، ومات في طيء، أدرك ابنُه عدي الإسلام فأسلم: ترجمته في: أدورد فنديك، اكتفاء القنوع، 36/1؛ الزركلي، الأعلام، 151/2.

المهلب: هو المهلّب بن أبي صفرة الأزدي، (ت 82هـ)، من التابعين، يضرب به المثل في الشجاعة والفروسية وكان واليا على خراسان: ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 308/16؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 90/1؛ الزركلي، م.س، 315/7.

(3) أبو دلف: هو الأمير القاسم بن عيسى أبو دلف العجلي، (ت 225هـ)، صاحب الكرج وواليها، كان شيعيا مغاليا، وكان شاعرا محسنا، له كتاب في الصيد وكتاب في السلاح: ترجمته في: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 64/6؛ صلاح الدين الصفدي، م.س، 103/24-104؛ الأصفهاني، م.س، 257/8.

خصيب: هو أبو نصر الخصيب بن عبد الحميد، صاحب ديوان الخراج بمصر زمن هارون الرشيد: ترجمته في: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 137/1.

(4) ابن مقلة: هو أبو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة، (ت 338هـ)، الكاتب الأديب صاحب الخط المليح: ترجمته في: ابن خلكان، م.س، 117/5-118؛ صلاح الدين الصفدي، م.س، 82/4؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 310/2. وحبيب: هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (188-231هـ)، أبو تمام الشاعر المعروف، وأحد أمراء البيان، ولد في سورية، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته، وأقام بالعراق، توفي بالموصل، ومن أشهر تصانيفه ديوان الحماسة: ترجمته في: ابن خلكان، م.س، 11/2؛ ابن الحنبلي، م.س، 72/2؛ الزركلي، م.س، 165/2.

(5) أراد به ابن العميد الكاتب، وهو محمد بن أبي عبد الله بن الحسين (ت360)، كان متوسعا في علوم الفلسفة والنجوم، أما الأدب فلم يجاره فيه أحد من أهل عصره: ترجمته في: ابن خلكان، م.س، 103/5-104.

(6) عريب: هو عريب بن سعيد القرطبي، (ت 369هـ)، أديب وكاتب وشاعر ومؤرخ، له كتاب في التاريخ: ترجمته في: ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 35/4.

(7) الصولي: هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، (ت 335هـ)، الكاتب المعروف وأحد الأدباء المشاهير، روى عن أبي داود، وأبي العباس ثعلب، له عدة مؤلفات، منها: أدب الكاتب: ترجمته في: ابن خلكان، م.س، 356/4؛ صلاح الدين الصفدي، م.س، 125/5؛ الزركلي، م.س، 136/7.

ومنها:

14. وأما إذا ما الحرب أُخْمد نارها ... فَفيه تَلَظّى مارجٍ ولَهيب
15. فَكَم قارع الأبطالَ في كُل وجهة ... نَحاها وكَم لُفّتْ عليه حروب
16. وكائِن له بالغَربِ من موقف له ... حديثٌ إذا يُتْلى تَطير قُلوب
17. بمراكشٍ سلْ عنْه تَعلَم غَناءه ... وقَد ساءهم يوم هناك عصيب
18. إذا ما ثَنى الرمح الطويلَ كأنه ... مدير لِغُصنِ الخَيزرانِ لَعوب
19. وإن جره أَبصرتَ نَجما مجررا ... ذُؤابتُه[1]، منْه الكُماةُ تَذوب
20. يهيم به ما إن يزالُ معانقًا ... له راكعات ما تَحوز كُعوب
21. محمد، لا تُبد الذي أَنْتَ قادر ... عليه، وخَفْ عينًا علاك تُصيب
22. نُفوذُ سهامِ العينِ أودى بمصعبٍ ... وطاح به بعد الشبوبِ شَبيب
23. ألا فَهنيئًا أَن رجعتَ لِتُونُسٍ ... فَأَطْلَعتَ شَمسا والسفار غُروب
24. كَواكبها تَبدو إذا ما تَركْتَها ... وقَد جعلَتْ مهما حضرتَ تَغيب
25. إذا سدتَ في أَرضٍ فَغَيرك تابع ... علاك، ومهما ساد فَهو مريب

ومنها:

26. كَفاني أَني أَستَظل بِظلكُم ... ومن هاب ذاك المجد فَهو مهيب
27. فَأَصلُك أَصلي والفُروع تَباينَتْ ... بعيد على من رامه وقَريب
28. وحسبي فَخْرا أَن أَقولَ محمد ... نَسيب علي جل منْه نَصيب
29. تَركْتُ جميع الأَقْربين لِقَصده ... على حين حانَتْ فتْنَةٌ وخُطُوب
30. رأَيتُ به جناتُ عدنٍ فَلَم أُبلْ ... إذا وصلَتْنا للخُلود شَعوب
31. فَقَبلْتُ كَفًّا لا أُعاب بِلَثْمها ... وأَيدي الأَيادي لَثْمهن وجوب
32. وكَيفَ ولَيس الرأْس كالرجل، فَرقَتْ ... شياتٌ لَعمري بينَنا وضروب
33. ولَو كان قَدري مثْلَ قَدرِك في العلا ... لَحق بِأَن يعلو الشباب مشيب
34. ولَولا الذي أُسمعتَ من مكْرِ حاسد ... أَتاك بِقَولٍ وهو فيه كَذُوب
35. لَما كُنْتَ محتاجا لِقَولي آنفًا ... تَخَليتُ من ذَنْبٍ وجِئْتُ أَتوب

(1) الذؤابة: منبت الناصية من الرأس؛ اللسان: مادة ذأب.

36. إِذا كُنْتُ ذا طَوعٍ وشُكْرٍ وغِبـطَة — فَمن أَين لي يا ابن الكرامِ ذُنوب
37. لَقَد كُنْتُ معتـادا بِبِشْرٍ فَمـا الذي — تَقَـلَّدتُـه حتى يزالَ قُطُـوب
38. أَإِن رفَع السـلْطان سعيي بِقُربِكُم — أُحـلأُ[1] عن وِرد لَكُم وأُخـيب
39. فَأحسب ذَنْبي ذَنْب صحرٍ[2] بِدارِها — إِلى البِر عنْـد الخابِرِين معيـب
40. وحاشاك من جـورٍ علَي، وإِنمـا — أُخاطب من أَصفـو لَه فَيشُـوب
41. صحاب هم الداء الدفيـن فَلَيتَني، — ولَم أَدن منْهم، للذئابِ صحـوب
42. كَلامهـم شَهـد ولكـن فعلُـهـم — كَسم لَه بين الضـلـوع دبيـب
43. سأَرحلُ عنْهم والتجارب لَم تَدع — بِقَلْبي لَهم شَيـئـًا علَيـه أُثيب[3]
44. إِذا اغْتَرب الإِنْسان عمـن يسوءه — فَما هو في الإِبعاد عنْه غَريـب
45. فَدارِك بِرأْيٍ منْك ما قَد خَرقْـته — لِيحسـن مني مشْهـد ومغيـب
46. ولا تَستَـمع قَولَ الوشـاة فَإِنمـا — عـدوهـم بيـن الأَنـامِ نَجيـب
47. فَيا لَيـتَ أَني لَم أَكُـن متَـأَدبـًا — ولَم يك لِي أَصـلٌ هناك رسوب
48. وكُنْتُ كَبعضِ الجاهلين محببـًا — فَمـا أَنا لِلْهـم المـلـم حبيـب
49. وما إِن ضربتُ الدهر زيدا بِعمرِه — ولَم يك لي بين الكرامِ ضريب[4]
50. أَأَشْكوك أَم أَشْكو إِلَيك فَما عدتْ — عداتي حتى حان منْـك وثـوب
51. سأَشْكُـر ما أَولى وأَصبِر لِلـذي — تَوالى، على أَن العـزاء سليـب
52. فَدم في سرورٍ ما بقيـتَ فَإِنـني — وحقـك مـذْ دب الوشاةُ كَئيـب

---

(1) أُحلأ: أُمنع عنه؛ اللسان: مادة حلأ.

(2) صحر: هي صحر بنت لقمان بن عاد، وجاء في المثل: "ما لي ذنب إلا ذنب صحر"، يضرب لمن عوقب على الإحسان، وأصله أن أباها خرج يوما إلى الغزو ومعه أخوها لُقيم، فأصابا إبلاً كثيرة، وساقها لُقيم إلى منزله، فعمدت أخته صحر إلى جزور فنحرته وصنعت منه طعاما لأبيها، وكان لُقمان قد حسد لقيما على رجحانه عليه في تلك الغزوة، فلما قدمت له صحر الطعام وعلم أنه من غنيمة لُقيم لطمها لطمةً قضتْ عليها فصارت مثلاً. ينظر: الميداني، مجمع الأمثال، 39/1؛ اللسان: مادة صحر.

(3) أُثيب: أُجازي وأُكافىء؛ اللسان: مادة ثاب.

(4) الضريب: المثْل؛ اللسان: مادة ضرب.

-33-

في الإخوانيات

وكتَب إلى أبي المجد ابن الوزير مودعا[*]:

(الطويل)

1. لِئِن نَذَروا صوما لأول أوبة فَنَذْرِي صومي مُنْذُ يومِ ذَهابِه
2. إلى أن يمن اللهُ لي بِلقـائِه فأجعلَ يوم الفطْرِ يوم إيابِـه

-34-

في الإخوانيات

وقال في صاحبٍ له[*]:

(السريع)

1. فالحمـد للهِ على ساعة قَد قَربتْني من علا الصاحبِ
2. وليعذرِ المولى على أنني قد كُنْتُ من عليْاه في جانبِ
3. كمـن أتى نافلـةً أولاً ثُم أتى من بعـد بالواجِـبِ

---

[*] تخريج النتفة رقم (33)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص6. وقدم لها بقوله: "وودعه مرةً فقال". وأبو المجد: هو أبو المجد محمد بن عبد الله، ابن الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني: ترجمته في: ابن سعيد، م.س، ص6.

[*] تخريج النتفة رقم (34)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 33/3. وقدم لها بقوله: "وقوله من قصيدة".

-35-

في المدح

قال يمدح أبا المجد*:

(البسيط)

1. عرج على حلَبٍ إن كُنْتَ ذا طلَبٍ   للعلْمِ والحلْمِ والعلْياء والأدبِ
2. واقْرِ السلام بِها من بعد لَثْمِ ثَرى   أرجائِها الأرِجات الأُفْق والطنُبِ
3. على الوزيرِ أبي المجد الذي خُلقَتْ   أخْلاقُ سؤْدده من عنْصرِ الشهبِ
4. وقُلْ له يا كَرِيم الأصل ما فَعلَتْ   تلْك العهود التي زرتْ[1] على الحسبِ
5. هلْ تَذْكُرن ليالِينا التي سلَفَتْ   بِالنيرينِ ووجه الأُنْسِ لم يغبِ
6. وخَلْسةً قَد قَطَعنا بِالقَصيرِ[2] لها   وقْتًا يطُولُ ذكْراه مدى طَربِ
7. وفي حماةَ وفي قَصرِ المعرة والـ   أيام غَافلةٌ عن موجِبِ السببِ

---

* تخريج القصيدة رقم (35)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص6. وقدم لها بقوله: "وكتب من حضرة تونس إلى أبي المجد ابن الوزير جد العالم كمال الدين بن العديم، صدر صدور الشام، وما رأى أقوم بحقوق الأخوة منه".

* * * *

(1) زرتْ: شُدتْ؛ اللسان: مادة زرر.

(2) القصير: هي ضيعة في غوطة دمشق. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 367/4.

-36-

في الحنين

وقال في بعده عن المغرب*:

(الطويل)

1. فإن كُنْتُ في أرضِ التغَربِ غَارِبا   فسوفَ تَراني طَالِعا فوقَ غَاربِ [1]
2. فصمصام عمروٍ[2] حين فارقَ كفه   رموه ولا ذَنْب لِعجزِ المضـارِبِ
3. وما عزةُ الضـرغَامِ إلا عرينُـه   ومن مكة سادتْ لُؤَي بن غَالِبِ[3]

-37-

في الوصف

وقال في وصف مجلس*:

(البسيط)

1. إذَا الغُصـون غَدتْ خَفاقةَ العـذَبِ   فاسجد هديتَ إلى الكاسات واقْتَرِبِ
2. وطَارِحِ الورقَ في أوراقـها طَربا   وملْ إذَا مالَت الأغْصان من طَربِ
3. وانْهض إلى أُم أُنْسٍ بِنْت دسكرة[4]   تُجلى عليْـك بإكْليـلٍ من الذهبِ
4. وانْظُر إلى زِينَة الدنْيا وزخْرفـها   في روضة رقمتْها[5] أَنْملُ السحبِ
5. وللأزاهـرِ أحـداقٌ مـحـدقَـةٌ   قَد كحلَتْـها يمين الشمسِ بالذهبِ

---

* تخريج النتفة رقم (36)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 33/3-34. وقدم لها بقوله: "وقوله من أبيات".

* * * *

([1]) الغارب: سنام البعير، والمقصود هنا ذروة الشيء؛ اللسان: مادة غَرب.

([2]) الصمصام: السيف، والمراد هنا سيف عمرو بن معد يكرب، أحد فحول الشعراء والفرسان العرب المشهورين في الجاهلية، وكان سيفه يعرف بالصمصامة، قُتل في فتح نهاوند سنة (21هـ) ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص289؛ الأصفهاني، الأغاني، 200/15؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، 117/1.

([3]) هو لؤي بن غالب بن فهر، من قريش ، من عدنان، جد جاهلي من سلسلة النسب النبوي، كنيته أبو كعب، كان التقدم في قريش لبنيه وبني بيته: ترجمته في: القلقشندي، صبح الأعشى، 406/1؛ الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، 305/2؛الزركلي، الأعلام، 245/5.

* تخريج المقطّعة رقم (37)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 105/3. وقدم لها بقوله: "وقال".

* * * *

([4]) الدسكرةُ: بناء كالقَصرِ، فيه ملاه ومشارب؛ اللسان: مادة دسكر. وبنت الدسكرة هي الخمر.

([5]) رقمتها: رسمتها؛ اللسان: مادة رقم.

-38-

في المدح

وقال يمدح الوزير ابن حجاج بعد أن هجاه*:

(السريع)

1. من كان في منْصبكُم فَلْيكُن يفْعلُ ما يطْعـن في المنْصـبِ

2. إن أساء القَـوم لم تُحسنوا في الفعل والحلْمِ لدى المغْضبِ

3. هذا بذا فَما الذي سـدتُم به وفـقْـتُـم عن كُل ذي مطْلَبِ

4. كُـنـا نَروم العفْـو لكنـكُم أَنْتُـم به أَولى من المـذْنـبِ

-39-

في الإخوانيات

وكتب إلى أبي العباس الإشبيلي معتذرا*:

(البسيط)

1. عذْرا لِفَضلك يا أُستاذُ من صخَبي إِذْ لَيس يخْلو ذَوو الآدابِ من شَغَبِ

2. فَالْكُل منْهم يروم السبقَ مجتَـهدا لِكَي يرى سابِقـًا نَوعا من الغَلَـبِ

3. وما نَطَقْـتُ بِشَيء قَد نَطَقْـتُ به إِلا وقَد ملَـكَـتْـني نَشْـوةُ الأَدبِ

---

* تخريج المقطعة رقم (38)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص141. وقدم لها بقوله: "ثم قبض وجهه وقال: من أين يليقُ بمثل حسبك الشعر في الهجاء أو في المدح؟ فقلتُ: يا سيدي، اسمع قصيدتي، وقل بعد ذلك ما بدا لك. فاستحيا وجعل يتأملها ويهز رأسه مظْهرا لمواضع الاستحسان، ثُم صار يعقد بالبنان، إلى أن بلَغَ هذه الأبيات". وابن حجاج: هو أبو الوليد إسماعيل بن حجاج الأفلح اللخْمي، (ت 632هـ)، من البيت الحجاجي المعروف بإشبيلية، كاتب وأديب، كان وزيرا لابن هود: ترجمته في: ابن سعيد، م.س، ص140-142.

* تخريج المقطّعة رقم (39)، وردت في:

- ابن سعيد، م.س، ص96. وقدم لها بقوله: "فأذكر أنه جرى منه مرةً في المذاكرة، ما أوجب أن أكتُب إليه معتذرا بما صدر عنه في المبادرة، للرد في المحاورة والمحاضرة". وأبو العباس الأزدي: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي، (651 هـ)، يعرف بالحاج الإشبيلي، قرأ على الشلوبين وأمثاله، وله على كتاب سيبويه إملاء ومصنف في الإمامة، وفي علوم القوافي، ومختصر خصائص ابن جني وغيرها: ترجمته في: ابن سعيد، م.س، ص96؛ السيوطي، بغية الوعاة، 359/1

- 40 -

في الوصف

وقال في تفاحة عنْبر*:

(الطويل)

1. وذات حنيـنٍ لا تَزالُ مطيفَـةً[1] تَئِـن وتَبـكي بِالـدموعِ السواكبِ
2. كأن أليـفًـا بان عنْها فأصبـحتْ بِمربعه[2] كالصب بعد الحـبـائِبِ
3. إذا ابتَسـمتْ فيها الرياض شَـماتَةً تَرعها بِأمثـال السيوف القَواضـبِ
4. فكَم رقَصـتْ أغْصـانُها فَرمـتْ لَها نثارا[3] كما بددتَ حلْـي الكَـواعبِ
5. لقَد سخَطَتْ منْها الثغور وأرضت الـ ـقُدود ولَم تَحفلْ بِتَثْـريبِ[4] عائِبِ
6. شَربتُ على تَحنـانها ذَهـبِـيـةً ذَخيرةَ كسرى في العصورِ الذواهبِ
7. فَهاجتْ لِي الكَـأس ادكار مغَاضبٍ فَحاكيـتُـها وجدا بِذَاك المغَاضـبِ
8. فَلا تَدعِ التبريز[5] في كثْرة الهوى فَلَـولاي كانَتْ فيه إحدى العجـائِبِ

---

* تخريج القصيدة رقم (40)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 54/3.

* * * *

([1]) مطيفةٌ: مستديرة؛ اللسان: مادة طَوفَ.

([2]) المربع: المنزل؛ اللسان: مادة ربع.

([3]) النثار: ما ينثر من فُتات الشّيء، والمراد هنا زهر الأغصان عندما يسقط على الأرض؛ اللسان: مادة نَثَر.

([4]) التثريب: التأنيب؛ اللسان: مادة ثَرب.

([5]) التّبريز: الوثوق في الرأي؛ اللسان: مادة برز.

-41-

في الإخوانيات

وقال يرد على عتاب أبي المجد بن الوزير له في شراء المماليك بعد أن تعاهدا على ترك ذلك*:

(مخلع البسيط)

1. يا ابن الكمال اطرح[1] عتابا   في الشوق للغُصن والكثيبِ
2. واسألْ إلى اللهِ أن يعـافي   من مقلـة الشادن الربيبِ[2]
3. تُبـنا كلانا وسـوفَ نَنْسى   لكنـني عـدتُ من قريـبِ

---

* تخريج النتفة رقم (41)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص6-7.

* * * *

([1]) اطرح: اترك؛ اللسان: مادة طَرح.

([2]) الشادن الربيب: ابن الظبي الصغير؛ اللسان: مادة شَدن، وربب.

قافية التـاء

-42-

في المفاضلة

وقال يفضلُ بلاد المغربِ على المشرق*:

(مخلع البسيط)

1. يفْخَر بالشـرق أهلُ فَخْـرٍ قَولُهـم بهرج شَتَـيتُ
2. قالوا لنَا الشمس في طُلُوعٍ قُلْنَا لهم: عنْد من تَبِيتُ؟
3. تَبِيتُ حيثُ المهـاد رحب والليلُ فيه مسك فَتـيتُ

---

* تخريج المقطعة رقم (42)، وردت في:

- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار/ الإنصاف بين المشرق والمغربي، ص203. وقدم لها بقوله: "فأجابه ابن سعيد" ويعني العماد السلماسي.

قافية الجيـم

-43-

في الوصف

وقال في جبل طارق مجيزا لوالده*:

(المجتث)

والده	1.	انْظُر إلى جبل الفَتْـ	ـح راكبا متْن لُج[1]
ابن سعيد	2.	وقَد تَفَتـح مثْلَ الـ	أَفْنَان في شَكْل سرج

---

* تخريج النتفة رقم (43)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 159/1. وقدم لها بقوله: "قال أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد: أقبلتُ عليه مرةً مع والدي فنظرنا إليه على تلك الصفة، فقال والدي أجِز". وجبل الفتح: هو جبل طارق، جبلٌ يطل على البحر المتوسط، فيه خرج طارق بن زياد، ومنه افتتح الأندلس، وهو عند الجزيرة الخضراء، بنى عليه الخليفة عبد المؤمن مدينة، وحفر في سفحه ينابيع ماء للشرب، وعليه مرسى كبير للسفن. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص382.

* * * *

([1]) اللج: البحر عظيم الموج؛ اللسان: مادة لجج.

قافية الحاء

-44-

في المدح

قال يمدح أبا زكريا الحفصي ملك إفرقية مهنئًا إياه بقتْل ثائرٍ من زنَاتَةَ*:

(السريع)

1. برح بي من ليس عنْه براح[1] ... ومن رأى قتْلي حلالاً مباح
2. من صرح الدمع بحبي له ... وما لِقلْبي عن هواه سراح
3. ظَبي عدمتُ الصبح مذْ صدني ... وكيفَ لا يعدم وهو الصباح
4. مورد الخَد شَهي اللمى ... منَعم الردف جديب الوِشاح[2]
5. تَظُنه من قَلْبِه جلْمدا[3] ... ومنْه للماء بِجِفْني انْسياح
6. أرِدفُه أَضعفُ من صبه ... ولَم أَزلْ من لَحظه في كفَاح
7. نَشْوان من رِيقَته عربدتْ ... أَجفَانُه بِالمرهفَات الصفَاح[4]
8. فَها أَنيني خَافتٌ مثْلَ ما ... أَنا أَسير مثْخَن بِالْجِراح
9. يا قَاتلي صدا أَما تَستَحي ... أَن تَلْزم البخْلَ بِأَرضِ السماح
10. من ذا الذي يبخَلُ في تُونُسٍ ... والملْح فيها صار عذْبا قَراح[5]
11. وَأَصبحتْ أَرجاؤُها جنةً ... مبيضةَ الأَبراجِ خُضر البِطَاح
12. لَولا نَدى يحيى وتَدبِيره ... ما برحتْ تَغْبر منْها النواح
13. لكن يداه سحب[6] كُلما ... حلتْ بِأَرضٍ حل فيها النجاح
14. هذا وقَد آمن من حلها ... وحفها من غُربة وانْتزاح
15. كَم شُتتُوا من قَبل تَأْميرِه ... وحكَمتْ فيهم عوالي الرماح

---

* تخريج القصيدة رقم (44)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 72/3-74. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ أمدح ملك إفريقية وأُهنئه بقتل ثائرٍ من زناتةَ يدعي أَنه من نَسل يعقوب المنصور". زنَاتَةُ: قبيلة كبيرة من البربر بالمغرب، ومنهم بنو جراوة، وبنو خزر، وبنو مرين، وبنو عبد الحق، وبنو عبد الواد. ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 247/3؛ شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام، 32/25؛ الناصري، الاستقصا، 122/1.

* * * *

(1) برح بي: أتعبني وأجهدني. البراح: الابتعاد؛ اللسان: مادة برح.

(2) اللمى: سمرة في الشفا تُستحسن. جديب الوشاح: عكس خصيب، وهذا كناية عن رِقّة خصرها؛ اللسان: مادة جدب.

(3) الجلمد: الصخر؛ اللسان: مادة جلْمد.

(4) المرهفات الصفاح: السيوف؛ اللسان: مادة رهفَ، وصفَح.

(5) القَراح: الماء العذْب الذي لم يخالطه شيء؛ اللسان: مادة قَرح.

(6) السحب: المبسوطة؛ اللسان: مادة سحب.

16. يا سائِرا يرجو بلُـوغَ المنـى   باكر ذَرى يحيى وقُلْ لا رواح

17. وحـيـه بِالمـدحِ فَهـو الذي   يهتَز كالْهنْدي(1) حيـن امتداح

18. بِالشـرق والغَـربِ غَدا ذكْره   يحـث من حمد وشُكْـرٍ جناح

19. ساعده السعد وأَضحتْ له الـ   آمالُ تَجـرِي بِغَيـرِ اقْتـراح

20. ويـسـر اللهُ لَـه مـلْـكـه   من غَيرِ أَن يشْهر فيه السلاح

21. وكُـل مـن كان على غَيـرِه   ذا منْـعة أَمسـى بِه مستَـباح

22. وكم جمـوحٍ عنْدما قَام بِالأمـ   ـرِ رأَى القَهـر فَخَلى الجِماح

23. كَـف بِكَـفّ للنـدى والردى   بِها معـانٍ وهي خُرس فصاح

24. حتى لَقَـد أَحسـب من سـعده   تَجرِي على ما يرتَضيه الرياح

25. قُولوا لِيعـقـوب فَماذا جـنَى   وابن أَبي حمزةَ(2) ماذا استَـباح

26. قَد أَصبحا من فَوق جِذْعيـنِ لا   يؤْنسـهم غَيـر هبـوبِ الرياح

27. واسأَلْ عنِ الداعي الدعي الذي   حاولَ أَمرا كان عنْه انْضـراح(3)

28. أَكـان مـن صـيـره والِـدا   بِزعـمـه أَمـلَ فيـه فَـلاح

29. شُكْـرا لِسـعـد لَم يدع فرقَةً   قَد صير الملْك كَضربِ القـداح

30. رامـوا بِلا جاه ولا محتـد(4)   ما حزتَ بِالحـق فَكان افْتضاح

31. زنَاتَـةٌ يهـنيـكُم فعـلُـكُـم   عاجلْـكُـم ثائِركُم بِاجـتـياح

32. كفـر مـا قَـدمـتُـم آخـر   والخَير لِن يبـرح للشـر ماح

33. عهدي بِه في موكبِ الملْك ما   بيـنَـكُم نَشْوان من غَيرِ راح

34. يحسـب أَن الأرض مـلْك له   وروحـه ملْك لِسـمرِ الرمـاح

35. غَـدا يعـز المـلْـك لكنـه   أَهون مملُوك على الأرضِ راح

36. جـاءوا بِه يمـرح في عـزه   وهم أَزالوا عنْه ذاك المـراح

37. تَوقعـوا في القُربِ منْه الردى   من صحبة الأَجربِ يخْشى الصحاح

38. فَأَسـرعوا نَحوك يبـغُون ما   عودتَهم من عطْـفَة والْتـماح

39. فَـغَـادروه جـانيـًا غَـدره   لِطَائِرِ البـيـنِ علَيـه نيـاح

40. فَالْحـمـد للهِ على كُـل مـا   سنى لَك السعد بِرغْمِ اللواح(5)

(1) الهندي: السيف المصنوع بالهند؛ اللسان: مادة هنَد.

(2) هو الثائر الذي قتله أبو زكريا الحفصيي.

(3) الانضراح: الابتعاد؛ اللسان: مادة ضرح.

(4) المحتد: الأصلُ؛ اللسان: مادة حتَد.

(5) اللواح: أصلُها اللّواحي، وهي جمع اللاحية وهي اللائمة؛ اللسان: مادة لحا.

41. مثْـلُـك لا ينْـقَـد ما شـاده		فلسـتَ تأْتي الدهر إلا صلاح
42. لا زلْـتَ في عزٍّ وفي مكْـنَة		وفي سرورٍ دائِـمٍ وانْفسـاح

-45-

في الوصف

وقال بتونُس يصفُ التين*:

(السريع)

1. لا مرحبا بالتـين لمـا بدا		يسحب من ليلٍ عليه الوشاح
2. ممزقُ الجِلْبابِ يحكي ضحى		هامـةَ زِنْجِـي عليها جِراح
3. وإن تُصحـفْـه فلا حبـذا		ما قد أتى تصحيفُه بانْتـزاح

---

* تخريج النتفة رقم (45)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 75/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقُلْتُ بتونُس".

-46-

في الوصف

وقال يصفُ بنْيونشَ في سبتةَ* :

(مجزوء الكامل)

1. اشْرب على بـنْـيونشٍ	بين السواني[1] والبِـطَاح
2. مع فتْـية مثْل النـجو	مِ لَهـم إذا مروا جِمـاح
3. ساقـيـهم مـتَـبـذلٌ	لا يمـنَـع الماء القَراح
4. كُـل يمـد يـمـيـنَه	ما في الذي يأتي جناح[2]
5. هبـوا عليه كُـلـمـا	هبتْ على الروض الرياح
6. طَـوع الأماني كُـل ما	يأتي بـه فهـو اقْتـراح
7. عانَقْـتُـه حتى تَـركْـ	ـتُ بِخَصرِه أَثَر الوِشَاح

---

* تخريج المقطعة رقم (46)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 74/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقُلْتُ بِبنْيونشَ موضع الفُرجة بسبتةَ". وبنيونش: قال الحميري هي بليونش، وهي قرية كبيرة بسبتة آهلة بالسكان، وتقع على جبل عظيم عبر تحته موسى بن نصير إلى ساحل طريف. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص103-104؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 395/6.

* * * *

(1) السواني: جمع سانية وهي ما يسقى عليه الزرع والحيوان؛ اللسان: مادة سنا.

(2) الجناح: الإثم؛ اللسان: مادة جنَح.

-47-

في الغزل

وقال متغزلاً*:

(مخلع البسيط)

1. أوجه صبحٍ أم الصبـاح؟ ولحظُـها أم ظُبا الصفاح
2. وثَغْـرها أم نَـظـيـم درٍّ وريقُـها أم سـلافُ راحِ
3. وقَـدها أم قَـوام غُصـنٍ وعرفُـها أم شذا البِطـاحِ
4. يا حـبـذا زورةٌ تَـأتـتْ منْها على غَفْـلَة اللاـواحِ
5. فَلَـم أُصـدقْ بِها سرورا وظَلْـتُ نَشْوان دون راحِ
6. أما منَعـت السـلام دهرا ولا رسولٌ سوى الريـاحِ
7. قالت: ألا فَانْس ما تَقَضى فَمن يدع ما مضى استَراحِ
8. يا حبـذاها وقَـد تَأتـتْ من دونِ وعد ولا اقْتـراحِ
9. زارتْ ومن نُورِها دِليـلٌ والليـلُ قَد أسبلَ الجنـاحِ
10. أخْفَـتْ سراها فَبان نَشْر لَها يعرف فَـشَـا وشَـاحِ
11. وافَتْ فَأمسـى فَمي مداما وسـاعـدي لَها وشـاحِ
12. كأنمـا بِـت بيـن روضٍ والغُصـنِ والورد والأقاحِ
13. فَبيـنَما الشملُ في انْتظَامٍ إذْ سمعتْ داعي الفَـلاحِ[1]
14. فَغادرتْني فَقُلْـتُ: عَـدرا؟ قَالَتْ: أما تَحـذَر افْتضاحِ
15. ولتْ وما خلْتُ من صباحٍ يبـدو على إثْـره صباحِ

---

* تخريج القصيدة رقم (47)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/74-75. وقد لها بقوله: "قال: وقلتُ بإشْبيلية".

* * * *

(1) داعي الفلاح: صوت المؤذن، والمراد هنا آذان الفجر .

-48-

في المدح

قال يمدح ابن عمه أبا عبد الله محمد بن الحسين ويشكره*:

(الخفيف)

1. أه مما تُكـن(1) فيك الجـوانح	ودمـوعي على نَواك سـوافح
2. واشْتـفـاء من العـدو بِبيـنٍ	كدر العيـشَ، أي عيـشٍ لِنَازِح
3. يا أَتَم الأنَـامِ حسنـًا، أما تُحـ	ـسن حتى يتـم إطْـراء مادح
4. يا زمان الوصـال عـودا فإني	طَوحتْ بي لما غَدرتَ الطوائِح(2)
5. أين عيشُ العروسِ إذْ يبطَح السكْـ	ـر حبيبي ما بين تلْك الأباطـح
6. والأماني تتْـرى ولا أحـد ينْـ	ـصح إذْ لا يصغَى لِقَول نَاصح
7. وزمان السرورِ سمـح مطيـع	ورسولُ الحبيـبِ غاد ورائِـح
8. ولَـكم ليـلـة أتاني بِلا طيـ	ـبٍ ولكن يزري بِأذْكى الروائِح
9. هو طَبـي فليس يحتاج طيبـًا	قد كفاه عرفٌ من المسـك فَائِح
10. مثْلُ عليا محمـد لم تكُن كسـ	ـبا وما لا يكون في الطبع فاضح
11. يا كريما أتى من الجـود ما لا	كان يدرى فأوجـدته المـدائِح
12. وعلا كُل ذي عـلاء وأضحى	نَحو ما لا يرومه الناس طامـح
13. قد أتاني إِحسانُك الغَمر في إثْـ	ـرٍ سواه فكُنْـتَ أكْملَ مـادح
14. فاض بحر النـوال منْك ولا سا	حلَ يبـدو ولم أزلْ فيـه سابِح
15. حالٌ مثْلُ ما كسوتُك في المـد	حِ تُميـتُ العـدا ومالٌ وسائِـح
16. أورد الورد(3) منْطقي كُل شُكْرٍ	حين أضحى طَوع البنَانِ مسامح
17. لَون خَد الحبيـبِ حيـن كسوه	حلةَ الحسنِ بِالعيـونِ اللـوامح
18. شَفَقٌ سالَ بيـن عينَـيه صبح	حسنُه قيد اللحـاظَ السـوارِح(4)
19. لم أجِد فيه من جِمـاحٍ ولكنْـ	ـن ثَنائي عليـك ما زالَ جامح

---

* تخريج القصيدة رقم (48)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/80-81.

* * * *

(1) كن الشيء: ستَره وصانَه، وأكن الشيء في نفسه: أَسره؛ اللسان: مادة كنَن.

(2) طَوح به: ذهب به هنا وهناك وبعده في الأرض. والطوائح: جمع طائحة وهي المهلكة؛ اللسان: مادة طَوح.

(3) الورد: الفرس الوردي اللون؛ اللسان: مادة ورد.

(4) اللحاظ والسوارح: العيون؛ اللسان: مادة لحظ وسرح.

20. لِك يا ابن الحسيـن ذكْر جميلٌ   صيـر الكُـل نَحو بابِك جانح[1]

21. قّد هدى نَحوك الثنَاء كَما يهـ   ـدي إلى الروضِ باسماتُ النوافح

22. فَاعذرِ النـاس أن أَتَوا لَك أَفْوا   جا فَكُـل بِقَصـد فَضلك رابِـح

23. ما هدتْهـم إلَيـك إلا الأمـاني   لَم تُحلْهـم إلا علَيـك القَرائِـح

24. قُلْ لِذي المفْـخَرِ الحديث تَأَخر   لَيس مهر في شأْوِه مثْلَ قَارِح[2]

25. أَي أَصـلِ وأي فَـرعٍ أَقامـا   شَرفًـا طَـل لِلنجـومِ ينَـاطـح

26. قّد حوتْ مذْحج من الفَخْرِ لَما   كُنْتَ منْها ما لَيس يحـوِيه شَارِح

27. أُفْقُ مجـد قَد زانَه منْـك بدر   في ظَلامِ الخُطُـوبِ ما زالَ لائِح

28. بدر تَـم حفَـتْ بِه هالَـةٌ من   بيت مجد علاؤُها الدهـر واضح

29. يا سماكًا[3] يمسكه القَلَم الأعـ   ـلَى بدا بين أَنْجـمِ الملْك رامح

30. رفَـع اللهُ للـكـتَـابة قَـدرا   بعد ما كَابـدتْ تَوالي الفَضـائِح

31. يا أَعـز الأنامِ نَفْسـًا وأَعـلا   هم محـلاً لا زالَ أَمـرك راجِح

32. أَين أعـداؤُك الذين رعى سيـ   ـفُك فيهم فَأَشْبهـوا قَـوم صالِح

33. أَفْسد الدهـر حالَهم لِيـرى حا   لُك رغْمـًا بِمن يناوِيك صـالِح

34. دمتَ في عزة وسعد مدى الدهـ   ـرِ ولا زالَ طَائِر منْـك سانح[4]

([1]) جانح: قريب ومائل؛ اللسان: مادة جنَح.

([2]) شأْو المهر: سباقُه وسرعتُه. القارح: المهر في فمه قروح؛ اللسان: مادة شأو وقرح.

([3]) السماك: المرتفع؛ اللسان: مادة سمك.

([4]) السانح: الطير الذي يتيمن به؛ اللسان: مادة سنَح.

-49-

في الوصف

قال يصفُ غروب الشمس*:

(الكامل)

1. والشمس من ألمِ الفراق مريضةٌ   مدتْ لِتَوديع البحيـرة راحـا

-50-

في الوصف

وقال يصفُ الشمس وقد مالتْ للغروب*:

(الكامل)

1. رق الأصيلُ فَواصـل الأقْداحا   واشْرب إلى وقْت الصباح صباحا
2. وانْظُر لِشَمسِ الأُفْق طَائِرةً وقد   ألْقَتْ على صفْـح الخَليـج جناحا
3. فَاظْفَر بِصفْوِ الأُفْق قَبلَ غُروبِها   واستَنْطق الْمثْنَى وحث الراحـا[1]
4. متع جفُونَكَ في الحديقَة قَبلَ أن   يكْسـو الظـلام جمـالَها أمساحا

---

* تخريج البيت المفرد رقم (49)، ورد في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص101.

* تخريج المقطعة رقم (50)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص101. وأورد بيتًا واحدا فقط، وهو البيت الثاني.
- ابن سعيد، المغرب، 144/2. وأورد بيتين هما: (1-2).
- المقري، نفح الطيب، 70/3. وأوردها كاملة. وقدم لها بقوله: "قال: وقُلتُ وقد حضرتُ مع إخوان لي بموضع يعرفُ بالسلطانية على نهر إشبيلية وقد مالتْ الشمس للغروب".

* * * *

([1]) المثنى: زمام الناقة. الراح: الخمر؛ اللسان: مادة ثَنَي، وروح.

-51-

في الحنين

وقال في الحنين إلى مرسيةَ*:

(مخلع البسيط)

1. أَقلَقَـه وجـده فَبـاحـا   وزاد تَبـريحـه فَـنَـاحا
2. ورام يثْـني الدمـوع لما   جرتْ فَـزادتْ له جِمـاحا
3. يا من جفَـا فارفقَن عليه   مستَعـبدا لا يرى السراحا
4. يكـابِد المـوتَ كُل حيـنٍ   لو أنـه مـاتَ لاستَـراحا
5. ينْزو[1] إذا ما الرياح هبتْ   كأنـه يعـشَـقُ الريـاحا
6. يسأَلُها عن ربوعِ حمـصٍ   لمـا نَما عرفُـها وفَاحـا
7. كم قَد بكَـى لِلْحمـامِ كيما   يعيـره نَحـوها جـنـاحا

---

* تخريج القصيدة رقم (51)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 70/3.

* * * *

([1]) ينزو: يثب؛ اللسان: مادة نزا.

-52-

في الوصف

وقال بمدينة ابن السليم يصفُ كلبا*:

(الوافر)

1. وأدهم دون حلْيٍ ظَل حالي — كأن ليـلاً يقَلـده صبـاح
2. يطير وما له ريشٌ ولكـن — متى يهفُـو فأربعه جنـاح
3. تَكل الطيـر مهما نازعتْه — وتَحسده إذا مرقَ[1] الرياح
4. له الألْحاظُ مهما جاء سلْك — ومهما سار فَهي له وِشاح

---

* تخريج المقطعة رقم (52)، وردت في:

- المقري، م.س، 69/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بمدينة ابن السليم في وصف كلب صيد أسود في عنقه بياض". ومدينة ابن السليم: هي مدينة شذونة الأندلسية، وسميت بذلك لأن بني سليم سكنوا فيها، وهي مدينة سهليةٌ يمر فيها نهر بوطة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص466.

* * * *

([1]) مرقَ: سقط شيء من شعره إذا قفز؛ اللسان: مادة مرقَ.

-53-

في الحنين

وقال يحن إلى أُركُشَ*:

(مجزوء الكامل)

1. قُم هاتها لاح الصباح   ما العيشُ إلا الإِصطباح
2. مع فتْـيـة ما دأْبهم   إلا المـروءةُ والسـماح
3. جربتُـهم فَوجدتُهـم   ما لِلْمنـى عنْهـم براح
4. يثْنيهـم نَحـو الصبا   نَقْر المثـاني والمراح[1]
5. ما نادموا شَخْصا فَكا   ن لَهم بِخدمته استـراح
6. بلْ يعرِفُون مكانَه[2]   فَلَـه إِذا شـاء اقْتـراح
7. هم يتْعبون وضيفُـهم   ما دام عنْـدهـم يـراح
8. ما إِن يملون النزِيـ   ـلَ وبِالرضا منْه السراح
9. يدعـونَه بِأَجـل ما   يدعى بِه الحر الصراح[3]
10. حتى إِذا ما بان كـد   ر عيشَهـم منْه انْتـزاح
11. فَعـلى مثالِهـم يبـا   ح لِي المـدامع والنواح
12. كَرها فَقَـدتُهـم فَحا   لي بعد بعـدهم ارتيـاح
13. لِله شَوقي إِن هفَـتْ   من نَحـوِ أَرضهم الرياح
14. فَهنـاك قَلْبِي طَائِـر   لَهم ومن شَـوقي جنـاح

---

* تخريج القصيدة رقم (53)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/68-69. وأركش: حصن في إشبيلية، على وادي لكّه، وهي منطقة قديمة خُربت مرارا وعمرتْ، وعندها زيتون كثير، وهي معقل في غاية المنعة. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص27-28؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 5/217.

* * * *

([1]) المراح: الخفّة والنشاط؛ اللسان: مادة راح.

([2]) مكاتهُ: إقامته؛ اللسان: مادّة مَكَتَ. فهم يعرفون حقَّ إقامة الضيف.

([3]) الصراح: الرجل الخالص النّسب؛ اللسان: مادة صرح.

-54-

في الوصف

وقال في إشبيلية*:

(الكامل)

1. يا نيلَ مصرٍ أين حمص ونَهرها حيثُ المناظر أنْجم تَلْتاح
2. في كُل شَط للنواظر مسرح تَدعو إليه منازح وبِطاح[1]
3. وإذا سبحتُ فلستُ أسبح خائِفًا ما فيه تَيار ولا تمساح

* تخريج المقطعة رقم (54)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 69/3.

* * * *

([1]) المنازح: جمع منزح، وهي الأماكن البعيدة. البطاح: الوادي لين التراب مما جرته السيول؛ اللسان: مادة نَزح، وبطَح.

-55-

في الوصف

وقال يصفُ مجلس شراب*:

(مجزوء الكامل)

1. طاب الشراب لِمعشَرٍ سلبوا المروءةَ فاستَراحوا
2. لا يعـرِفون تَسـترا السكْـر عنْـدهـم مبـاح
3. متَهتـكون لَدى المنى وفَسادهـم فيـها صـلاح
4. ساقيـهم مـتَـبـذلٌ هلْ يمنَع الماء القَراح؟[1]
5. غُصن يميلُ به الصبا ردتْـه طَـوع الراحِ راح
6. طَوع الأماني كُل ما يأتـي به فهـو اقْتـراح
7. ما إن نُبـالي إن بـدا أَن لا يلُـوح لَنا الصـباح
8. ما زِلْتُ أَرشـفُ ثَغْره وعلَيه من عضدي وِشاح
9. والقَلْب يهفـو طائِـرا ولَعا ولا يخْشى افْتـضاح
10. ولَو اننـا نَخْشاه كـا ن لَنا من الظـلْما جنـاح
11. لكـنـنا في عصـبة ما في تَهتـكهـم جناح[2]
12. لا ينْكرون سوى ثَقيـ ـلٍ لا يمـيـلُ به مزاح
13. أَفْنى الذي قَد جمعـو ه الكأْس والحدقُ الملاح

---

* تخريج القصيدة رقم (55)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 68/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بِشَريش". وشَريشُ: من كُور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسةٌ وعشرون ميلاً، وتقع على مقربة من البحر، تتبع لها عدة قُرى منها قرية شرانة، تحيط بها الكروم وأشجار الزيتون والتين. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص340؛ الناصري، الاستقصا، 117/2.

* * * *

([1]) القَراح: الماء الذي لم يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر؛ اللسان: مادة قَرح.

([2]) جناح: بضم الجيم، الإثم؛ الرازي، مختار الصحاح، 48/1.

-56-

في الوصف

وقال يصفُ فرساً*:

(الطويل)

1. وأجرد تبـري أثَرتُ به الثرى		وللْفَجرِ في خَصرِ الظلامِ وِشاح
2. له لونُ ذي عشْق وحسن معشق		لـه ذلك فيـه ذلـةٌ[1] ومـراح
3. عجِبتُ له وهو الأصيلُ، يعرفه		ظلام وبين النـاظرين صبـاح
4. يقيد طَير اللحظ والوحش عنْدما		يطيـر به نحو النـجاح جناح

---

* تخريج المقطعة رقم (56)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص101. وأورد بيتين فقط، هما: (1، 3). وقدم لها بقوله: "وللملوك في فرس أصفر أغر أكحل الحلية"
- ابن سعيد، المغرب، 143/2. وأورد ثلاثة أبيات هي: (1-3). وقدم لها بقوله: "وقوله في فرس أصفر أغر أكحل الحلية".
- المقري، نفح الطيب، 34/3. وأورد المقطعة كاملة. وقدم لها بقوله: "وقوله في فرس أصفر أغر أكحل الحلية".
- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 131/4. وأورد منها بيتين هما: (1، 3). وقدم لها بقوله: "وقال: ومما نظمته بالحضرة في فرسٍ كان لهم لوباني أغر أكحل يحلْية"

* * * *

([1]) في ابن سعيد، المغرب، 143/2، والمقري، م.س، 34/3: دلةٌ.

-57-

في الوصف

وقال يصفُ الصبح*:

(السريع)

1. قد جـاء نَصـر اللهِ والفَتْحُ | والصبح لما رضيتُ صبح[1]
2. فهنـئُـوني بارتجـاع المنى | لولا الرضا ما برح البـرح[2]
3. يا أورقـًا يا غُصنـًا يا نقـًا | يا ظَبْـيةً بالليـل يا صبـح
4. يصحو جميع الناس من سكْرهم | ولسـتُ من سكْـرِكُم أصحو
5. بلغْـتُ فيـه غايـةً لم يبِـن | غايتَها التـفْسيـر والشـرح
6. وينْصح العـذالُ، من لي بأن | يعذلني عن عيـك النصـح

---

* تخريج المقطعة رقم (57)، وردت في:

- المقري، م.س، 67/3. وقدم لها بقوله: "وأستغفر الله من قول الكذب، قال: وقلتُ بإشبيلية".

* * * *

([1]) في البيت اقتباس من قوله تعالى: إذا جاء نَصر اللهِ والفَتْح ؛ النصر، 1/110.

([2]) البرح: الشّدة؛ اللسان: مادة برح

-58-

في الخمريات

وقال في الصبوح*:

(الرمل)

1. وضح الصبـح فأين القَـدح؟   يعرِفُ اللـذات من يصطَبِح[1]
2. ما ترى الليـلَ كطـرف أدهمٍ   وضياء الفَجـرِ فيـه وضح[2]
3. والثـرى دبجـه در النـدى   وعلى الأغْصـانِ منْه وشُـح
4. ومديـر الراحِ لم يعـد المنَى   كُـل ما يأتي به مـقْـتَـرح
5. في بِطاحِ المـرجِ قد نادمني   رشَـأٌ[3] من سكْرِه ينْـبـطح
6. جعلَ المسـواك ستْـرا لِلْمنى   فَـكَـأن قَـبـلَ فَـاه قُـزح
7. كُلـما شئْـتُ الّذي قد شاءه   فَحنَـى لي كأسه أفْـتَـتـح
8. ما أُبالي أن رآني كاشـح [4]   أم رآني من لـديـه نُصـح
9. هكذا العيشُ ودع عيشَ الّذي   خافَ من نَقْـد إذا يفْتَـضـح

-59-

في الوصف

قال يصفُ قدحا من الخمر*:

(المديد)

1. خَجِلَتْ والسـتْـر يحجـبـها   كيفَ تُخْفي الخَمـرةَ القَـدح

---

* تخريج القصيدة رقم (58)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/67-68. وقدم لها بقوله: " قال: وقلتُ بإشبيلية".

* * * *

(1) يصطَبِح: يتناول الصبوح، وهي خمرة الصباح؛ اللسان: مادة صبح.

(2) الطرفُ، بكسر الطاء وسكون الراء: الفرس. الوضح: البياض في قوائم الفرس؛ اللسان: مادة طَرفَ، ووضح.

(3) الرشَأ: الظّبي إذا قوي وتحرك ومشى مع أمه، والجمع أرشاء؛ اللسان: مادة رشَأ.

(4) الكاشح: العدو الظّاهر العداوة؛ اللسان: مادة كشَح.

* تخريج البيت المفرد رقم (59)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 2/144.

-60-

في الخمريات

وقال في الخمر*:

(مخلع البسيط)

1. قد رفعـتْ رايةُ الصـباحِ   تدعو النـدامى لِلاصـطـباحِ
2. فبادروا للصـبـوحِ إني   قد بعتُ في غيـه صـلاحي
3. ولا تميلوا عن رشْف ثغْرٍ   وسمعِ شَـدوٍ وشُـربِ راحِ
4. وأنْتَ يا من يروم نُصحي   قد يئس القَـوم من فَـلاحي
5. فلسـتُ أُصغي إلى نصيحٍ   ما نهضتْ بالكُؤوسِ(1) راحي

* تخريج المقطعة رقم (60)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 72/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بالجزيرة الخَضراء".

* * * *

(1) في المقري، م.ن، 72/3: بالبوس. وكتبت: بالكُؤوس؛ لاستقامة المعنى والوزن.

-61-

في الوصف

وقال مشاركةً مع ابن سهل الإسرائيلي في نهر إشبيلية*:

(الكامل)

1. غَيري يميلُ إلى كلامِ اللاحي   ويمد راحتَه لِغَيرِ الراحِ
2. لا سيما والغُصن يزهو زهره   ويهز[1] عطْفَ الشاربِ المرتاحِ
3. وقد استَطار القلْب ساجعِ أيكة   من كُل ما أشْكُوه ليس يصاحِ
4. قد بان عنْه قرينُه[2] عجبًا له   من جانحٍ للهجرِ خوف جناحِ[3]
5. بين الرياضِ وقد غدا في مأتمٍ   وتخاله قد ظل في أفْراحِ
6. الغُصن يمرح تَحتَه والنهر في   قصف تُدرجه يد الأرواحِ[4]
7. وكأنما الأنْشام[5] فوقَ جنابه   أعلام خز فوقَ سمرِ رماحِ
8. لا غرو أن قامتْ عليه أسطُرا[6]   لما رأتْه مدرعًا لِكفاحِ
9. فإذا تتابع موجه لِدفاعها[7]   مالتْ عليه فظل حلْفَ صياحِ
10. فلأي وقْت تَدفَع الأكْواس قد   آن اطراح نَصيحة النصاحِ
11. وعلى العروسِ من الغُصونِ عرائس   قد وشحتْ من زهرها بوِشاحِ

---

* تخريج القصيدة رقم (61)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص76. وأورد القصيدة كاملة. وقدم لها بقوله: "ثم ركبنا في نهرِ إشبيلية فأقمنا نُزهةً بالعروس، حيث مدار الأنسِ وإدارة الكؤوس، فقال ابن سهل، وله المعنى الصعب واللفظ السهل".
- المقري، نفح الطيب، 70/3-71. وأورد منها تسعةَ أبيات هي: (1-9). وقدم لها بقوله: "قال: وخَرجتُ مرةً مع أبي إسحق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي إلى نهر الفضة بنهر إشبيلية فتشاركنا في هذا الشّعر".

* * * *

([1]) في المقري، م.س، 70/3: يميلُ.

([2]) في المقري، م.س، 71/3: جناحه.

([3]) في المقري، م.س، 71/3: للعجزِ حلْف جناحِ.

([4]) في المقري، م.س، 71/3: تُزجيه يد الأرواحِ. والأرواح: جمع ريح؛ اللسان: مادة روح.

([5]) الأنشام: شجر جبلي تُتخذُ منه القسي؛ اللسان: مادة نَشَم.

([6]) في المقري، م.س، 71/3: أسطُر.

([7]) في المقري، م.س، 71/3: لِدفاعه.

-62-

في الحنين

وقال متشوقًا إلى الجزيرة الخضراء بالأندلس*:

(الخفيف)

1.	يا نَسيما من نَحوِ تلْك النواحي	كيـفَ ياللهِ نُور تلْـك البطـاحِ
2.	أسقَتْها الغَمـام ريـًا فَلاحـتْ	فـي رداء ومـئْـزرٍ ووشَـاحِ
3.	أم جفَتْـه فَصيـرتْه هشيمـًا	تَركتْـه تَذْروه هوج[1] الريـاحِ
4.	يا زماني بالحاجـبيـة إنـي	لَستُ من سكْرٍ ما سقيتُ بصاحي
5.	آه مما لَقيتُ بعـدك من همـ	ـمٍ وشَـوق وغُربـة وانْتـزاحِ
6.	أين قَوم أَلِفْـتُـهـم فيك لَمـا	قَرب الدهـر آذَنـوا بالـرواحِ
7.	تَركُوني أسيـر وجد وشَـوق	ما لِقَلْبي من الجوى من سـراحِ
8.	أسلَموني لِلْويـل حتى تَولـوا	وأصاخوا ظُلْمـًا لِقَول اللواحي
9.	أعرضوا ثُم عرضوني لِشَوق	تَرك القَلْـب مثْخَـنـًا بجِـراحِ
10.	أسهر الليلَ لَستُ أُغْفي لِصبحٍ	أتَرى النـوم ذاهبـًا بالصبـاحِ
11.	قَد بدا يظْهـر النجـوم حليـًا	وهو من لبسـة الصبا في براحِ
12.	مسبِـلاً ستْـره منَـعـم بالٍ	وجفُوني من سهـده[2] في كفَاحِ
13.	أيها الليـلُ لا تُؤَمـلْ خلُـودا	عن قَريبٍ يمحـو ظَلامك ماحِ
14.	ويلُوح الصبـاح مشْـرِقَ نُورٍ	فيه لِلْمستَـهامِ[3] بـدء نَجـاحِ
15.	إن يوم الفـراق بـدد شَمـلي	طائِـرا لَيـتَـه بغَيـرِ جنـاحِ
16.	حالِك اللونِ شبه لَونك فَاعرِفْ	عن عياني يا شبه طَيرِ النـزاحِ
17.	وإذا ما بدا الصبـاح فَما يشْـ	ـبه إلا لَـون الخُدود المـلاحِ

---

* تخريج القصيدة رقم (62)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 71/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بمالقة متشوقًا إلى الجزيرة الخضراء".

* * * *

([1]) الهوج: جمع هوجاء، وهي الريح التي تقلع البيوت؛ اللسان: مادة هوج.

([2]) السهد: القليل من النوم؛ اللسان: مادة سهد.

([3]) المستهام: مذهب الفؤاد؛ اللسان: مادة هيم.

-63-

في الوصف

وقال يصف الخليج بإشبيلية*:

(الكامل)

1. قُـم قُض عن أُذْني ختَـام الراحِ — واعدلْ بسمعـك عن كلامِ اللاحي[1]
2. وذَرِ العفَافَ فلَستَ أولَ من صبا — ودعِ الفَـلاح فَـلاتَ حيـن فَلاحِ
3. وانظُرْ إلى سفْحِ الخَليـجِ كطائِرٍ — لَقي الصـبا من موجِـه بجنـاحِ
4. جرح الصـبا أعطافَه فاسمع له — في الشـط أنـةَ مثْخَـنٍ بجِراحِ

-64-

في الوصف

وقال يصفُ فرسا*:

(الوافر)

1. وأدهم آخَرٍ مبيـض صدرٍ — مطارٍ بيـن أجنحـة الرياحِ
2. تُريك متى أدرتَ اللحظَ ليلاً — بهيما قَد تَعرى عن صباحِ
3. لَقَد أرضى بني سامٍ وحـامٍ — فَما يصغُون فيه لِقَول لاحي
4. وما هامتْ به الأحداقُ حتى — تَضمن حسنَه حدقُ المـلاحِ

---

* تخريج المقطعة رقم (63)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص52. وقدم لها بقوله: "وماثله المملوك بشعرٍ منه، ومن العجب الموافقة في المعنى، ولم يطّلع أحدنا على ما كتبه الآخر حتّى فرغنا جميعا". قال هذه الأبيات وهو على نهر إشبيلية مع ابن سهل الإسرائيلي، فقال كل واحد منهما شعرا.

* * * *

(1) اللاحي: اللائم والعاذل؛ اللسان: مادة لحا.

* تخريج المقطعة رقم (64)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص101. وقدم لها بقوله: "وله في فرس أدهم أبيض الصدر".

قافية الخاء

-65-

في الغزل

وقال في العشق والغرام*:

(الطويل)

1. غَرامي بِأَقْوال العِـدا كيفَ ينْسخُ ... وعهدي وقَد أَحكَمتُه كيـفَ يفْسخُ
2. كلامكُم لا يدخُلُ السمـع نُصحـه ... ولكن إِذَا حرضتُم[1] فَهو يرسـخُ
3. وبِي بدر تَم قَـد ذَلَلْـتُ لِحسنـه ... فَمن ذَا الذي فيـما أَتَيـتُ يوبـخُ
4. إِذا خَاصموني في هواه خَصمتُهم ... ويبغُـون تَنْقيصي بِذَاك فَأَشْمـخُ
5. أَرى أَن لِي فَضلاً علَى كُل عاشق ... فَقصـتُـنَا في الدهرِ ممـا يؤَرخُ
6. فَمـا بشَـر مثْـلٌ له في جمـاله ... ووجدي بِه في الْعشْق لَيس لَه أَخُ

---

* تخريج المقطعة رقم (65)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 75/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بالجزيرة الخضراء وقد كُلفتُ ذاك".

* * * *

([1]) حرضتُم: عشقتم؛ اللسان: مادة حرض.

قافية الدال

-66-

في الوصف

وقال يصف زهر النارنج*:

(الطويل)

1. بدا لَكَ النارنْج[1] وهو كأنمـا يريكَ على الأجياد درا منَضدا
2. وإن خلْتَه بين الزبرجد فضـةً فَعما قريبٍ سوفَ تَلْقَاه عسجدا[2]
3. علَى مثْله حث النديم شَمولَه[3] ونَظَم من شَمل المنى ما تَبددا

-67-

في الوصف

وقال يصف غُصنًا*:

(الكامل)

1. يا سيدا قَد زاد قَدرا إذْ غَـدا كَرما[4] لِمن هو دونَه يتَودد
2. والْغُصن من فَوق الثرى لكنه كَرما يميلُ إلى ذُراه ويسجد

---

* تخريج المقطعة رقم (66)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 355/1-356. وقدم لها بقوله: "وحضرتُ يوما بحضرة تونس عند الوزير أبي العلاء، فنظر زهر نارنج تفتح في أشجاره بين يديه، فقال: هل يحضرك فيه شيء من محفوظاتك على أن يكون مما يهز سامعه؟ فقلتُ: أَما على هذا الشرط فلا. فقال: قُلْ أنتَ فيه. فقلتُ: امتثالاً لأمركم لا على شرطكم. ثم أنشدته...، فأطنب بالاستحسان، وأقام السرور بواحد ثم ثان".

* * * *

([1]) النارنج: معرب (نارنْك) من الفارسية، وهي نوع من الثمار يشبه الليمون. ينظر: الزبيدي، تاج العروس: مادة نَرج.

([2]) الزبرجد: نوع معروف من المجوهرات مثل الزمرد، وهي على وزن سفرجل. العسجد: الذهب؛ اللسان: مادة زبرجد، وعسجد.

([3]) الشمول: ريح الشمال إذا ضربت الشراب فبرد وصفا؛ اللسان: مادة شَملَ.

* تخريج النتفة رقم (67)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص98. وقدم لها بقوله: "وولع المملوك بالتفنن في الريح والغصن فقال".
- ابن سعيد، المغرب، 144/2.

* * * *

([4]) في ابن سعيد، المغرب، 144/2: برا.

-68-

في المدح

وقال يمدح ابن الزبير*:

(الكامل)

1. لابنِ الزبيرِ مكارمٍ أَضحتْ بها طَيرُ المدائِحِ في البِلاد تُغَرِد
2. إن قيدوه وبالغُوا في عصـره فالْكرم يعصر والْجواد يقيد

---

* تخريج النتفة رقم (68)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 110/3. وابن الزبير: هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي الأندلسي، عاش ما بين (627 و708هـ)، عالم بالنحو والقراءات والحديث، وصاحب تصانيف كثيرة، ألّف تاريخًا للأندلس ذيل به على كتاب الصلة لابن بشكوال: ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 141/6؛ الذهبي، تذكرة الحفاظ، 1484/4؛ الزركلي، الأعلام، 86/1.

-69-

في المديح النبوي

وقال يمدح الرسولَ صلى الله عليه وسلم*:

(الكامل)

1. قرب المـزار ولا زمـان يسعـد — كـم ذا أُقـرب ما أراه ويبـعـد
2. وا رحمـةً لِمـتَـيـمٍ ذي غُربـة — ومع التغـربِ فاتَـه ما يقْـصـد
3. قد سار من أقْصى المغَارِبِ قاصدا — من لـذ فيه مسيـره إذْ يجـهـد
4. فلَـكم بِحـارٍ مع قفَـارٍ جبـتُـها — تَلْقى بِها الصمصام(1) ذُعرا يرعـد
5. كابدتُها عربـًا ورومـًا، لَيـتَـني — إذْ جزتُ صعب صراطها لا أُطْرد
6. يا سائِـرين لِيـثْـرِبٍ بلَـغْـتُـم — قَد عاقني عنْهـا الزمـان الأنْكَـد
7. أعلمتُـم أن طرتُ دون محـلـها — سبقـًا وها أنَا إذْ تَـدانى مقْـعـد
8. يا عاذِلـي فيـمـا أُكابِـد قـل في — ما أبتَغيـه صبابـةٌ وتَسـهـد(2)
9. لَم تَلْـقَ ما لُقيـتُـه فَعـذَلْـتَـني — لا يعـذر المشْتَـاقَ إلا مكْمـد(3)
10. لَـو كُنْـتَ تَعلَـم ما أروم دنُـوه — ما كُنْـتَ في هذا الغَرامِ تُفَـنـد(4)
11. لا طَاب عيشي أو أحـل بِطيـبـة — أُفُـقٌ بِـه خَيـر الأنَـامِ محمـد
12. صلـى علَيـه من بـراه خيـرةً — من خَلْقـه فَهو الجميـع المفْـرد
13. يا لَيـتَـني بلَـغْـتُ لَثْـم تُرابِـه — فَيـزاد سعـدا من بِنَعمى يسعـد
14. فَهنَـاك لَو أُعطَى منَـاي محلَـةً — من دونها حل السهـا والْفَرقَـد(5)
15. عيني شَكَتْ رمـدا وأَنْتَ شفَـاؤُها — من دائِها ذَاك الثرى لا الإثْمـد(6)

---

* تخريج القصيدة رقم (69)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 76/3-78. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بالإسكندرية وقد تعذر علي الحج عند وصولي إليها سنة تسع وثلاثين وستمائة".

* * * *

(1) الصمصام: السيف؛ اللسان: مادة صمم.

(2) التسهد: قلة النوم؛ اللسان: مادة سهد.

(3) المكمد: الحزين الذي كتم حزنَه؛ اللسان: مادة كمد.

(4) تُفند: تخطىء الرأي؛ اللسان: مادة فَنَد.

(5) السها: كوكب خفي يمتحن الناس به أبصارهم. ينظر: الرازي، مختار الصحاح: مادة سهي. الفرقد: نجم في السماء لا يغرب؛ اللسان: مادة فرقد.

(6) الإثمد: حجر يتخذُ منه الكُحل، وقيل هو الكحل نفسه؛ اللسان: مادة ثمد.

16. يا خَير خَلْق اللهِ مهما غبـتُ عن   علْيـا مشَاهدهـا فَقَلْبِـي يشْهـد
17. ما بِاخْتـيارِ الْقَلْبِ يتْـرك جِسمه   غيـر[1] الزمـانِ له بِذَاك تَشْهـد
18. يا جنـةَ الخُلْـد التي قَد جِئْـتُـها   من دونِ بابِك لِلْجـحـيـمِ تَوقـد
19. صرم التواصـلَ نُبـلٌ وصوارِم   ما لِلْجليـد على تَقَـحـمها يد[2]
20. فَلَئِـن حرِمتُ بلُوغَ ما أَمـلْـتُـه   فَـؤَـادي ذكْـرى لا تَـزالُ تَردد
21. فَلْتُنْعشُـوا مني الذمـاء[3] بِذكْرِه   ما دمـتُ عن تلْك المعـالِمِ أُبعـد
22. لَـولاه ما بقيـتْ حيـاتي ساعـةً   هو لِي إِذَا مـت اشْتياقـًا مولِـد
23. ذكْـر يليـه من الثـنَاء سحـائِب   أَبـدا علَـى مر الزمـانِ يجـدد
24. من ذَا الـذي نَرجوه لِلْيـومِ الذي   يقْصى الظمـاء بِه ويحمى المورِد
25. يا لَهـفَ من وافَى هنَـاك وما له   مـن حـبـه ذُخْـر بِه يـتَـزود

(1) غير الزمان: نوازِلُه وكوارِثُه؛ اللسان: مادة غَير.

(2) الذبلُ: الرماح. الجليد: ذو الجلَد والقُوة. تقحمها: خوضها؛ اللسان: مادة ذَبلَ، وجلَد، وقَحم.

(3) الذماء: بفتح الذال، بقية الروح في الجسد؛ اللسان: مادة ذَمأَ.

26. ما أرتَجِي عمـلاً ولكن أرتَجِـي | ثقَتـي به ولحسـب من يـتَـزود
27. ما صـح إيمـان خَـلا من حبـه | أيـلا ريـاشٍ يستعـد مهـنـد؟!
28. عن ذكْـره لا حلْـتُ عنْه لحظَـةً | ومديحـه في كُـل حفْـلٍ أسـرد
29. يا مادحـي يبـغي ثَوابـًا زائِـلاً | فثَـواب مدحي في الجِنَـانِ مُخَلَّـد
30. لولا رسـولُ اللهِ لم نَـدرِ الهـدى | وبِه غَـدا نَرجـو النجاةَ ونَسعـد
31. يا رحمـةً لِلْعالميـن بعثْتَ والـد | نيـا بجنْـح الكُفْرِ ليـلٌ أربـد[1]
32. أطْلَعتَ صبحا ساطعـًا فهديتَ لِلْـ | إيمـانِ إلا مـن يحيـد ويجحـد
33. لم تَخْـشَ في مولاك لومـةَ لائِمٍ | حتى أقَـر به الكفُـور الملْحـد
34. ونَصـرتَ دين اللهِ غَيـر محـاذرٍ | ودعوتَ في الأُخْرى الأُلي قد أصعدوا

(1) الليل الأربد: الليل الأسود المظلم؛ اللسان: مادة ربد.

35. ولَقيـتَ من حربِ الأعادي شـدةً ... لَو كابـدوها ساعـةً لَـتَـبـددوا

36. أَيـان لا أَحـد علَيـهـم عاضـد ... إلا الإلـه ولَم يخُـن مـن يعضـد

37. فَحمـاك بِالْغَارِ الذي هو من أَدا ... ـل المعجِزات وخَاب من يتَرصد[1]

38. ووقَـاك من سم الـذراعِ بِلُطْفـه ... كَيما يغَـاظَ بِك العـدا والْحسـد[2]

39. والْجِـذْع حن إِلَيك والْمـاء انْهمى ... ما بين خَمسك والصحابةُ شُهـد[3]

40. والـذئْب أُنْطـقَ لِلـذي أَضحى بِه ... يهدى إِلى سبل النجاحِ ويرشـد[4]

41. وبِلَيلَة الإِسرا حباك وسمـي الصـ ... ـصديقَ من أَضحى لِقَولِك يسعد[5]

42. وحباك بالْخُلُق الْعظيمِ ومعجِزِ الْـ ... ـكَلـمِ الذي يهدى بِه إِذْ يـورد[6]

43. وبعثْـتَ بِالْقُـرآنِ غَيـر معارِضٍ ... فيـه وأَمسـى من نَحـاه يعـرد[7]

44. فَتَـوالَت الأَحقَـاب وهـو مبـرأٌ ... من أَن يكُـون لَـه مثَـالٌ يوجـد

([1]) في هذا البيت إشارة إلى سراقة عندما لحق بالرسول ،صلى الله عليه وسلم، في أثناء هجرته، ثم عاد بعد أن وعده الرسول صلى الله عليه وسلم بسواري كسرى. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 16/3.

([2]) في هذا البيت إشارة إلى حادثة الشاة المسمومة التي قدمتها زينب بنت الحارث إلى الرسول ،صلى الله عليه وسلم، بعد أن وضعت السم في ذراعها، فلاك الرسول، صلى الله عليه وسلم، منها مضغة فلم يسغها، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، فاعترفت، وقال لزينب، ما حملك على ذلك؟ فقالت: بلغتُ من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكًا استرحتُ منه، وإن كان نبيا فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، 309/4.

([3]) في هذا البيت إشارةٌ إلى معجزتين من معجزات الرسول، صلى الله عليه وسلم، الأولى: بكاء جذع النخلة، فعن جابر، رضي الله عنه، قال: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعلُ لك منبرا؟ قال: إن شئتم، فاجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة ذهب إلى المنبر، فصاحت النخلةُ صياح الصبي، فنزل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فضمها إليه، فكانت تئن أنين الصبي الذي يسكت. قال: كانت تبكي على ما تسمع من الذكر عندها. والثانية: جريان الماء بين أصابعه الشريفة، وذلك عندما كان خارجا مع جابر بن عبد اللهِ، رضي اللهُ عنه، فشح عليهم الماء، فوضع الرسول، صلى الله عليه وسلم، يده في الجفنة فتفجر الماء من بين أصابعه الشريفة حتى امتلأت الجفنة. ينظر: الأصبهاني، دلائل النبوة، 46/1-56.

([4]) هنا إشارة إلى كلام الذئب في غزوة تبوك، فعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي، صلى الله عليه وسلم، في غزوة تبوك، فشد ذئب على غنم فأخذ منها، فشدت الرعاء عليه، فقال الذئب: طعمةٌ أطعمنيها الله، عز وجل، تنزعونها مني؟ قال: فتعجب القوم، فقال: ما تعجبون من كلام ذئبٍ وقد نزل الوحي على رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فمن مصدقٌ ومكذب. ينظر: الأصبهاني، م.س، 52/1.

([5]) في هذا البيت إشارة إلى معجزة الإسراء والمعراج.

([6]) في هذا البيت إشارة إلى المعجزة الخالدة معجزة القرآن الكريم.

([7]) يعرد: يفر ويخرج؛ اللسان: مادة عرد.

45. ولكـم بليـغٍ جالَ فَصـلَ خطـابِه   والسرج في ضوء الغَزالَة[1] تَهمد
46. زويتْ[2] لَكَ الأرض التي لا زالَ حتْـ   ـتَى الْحشْرِ ربك في ذُراها يعبـد
47. ونُصـرتَ بِالرعبِ الذي لَمـا يزلْ   يثْرى كأن ما عين شَخْصك تَفْقـد
48. فَمـتَى تَعـرض طَاعن أَو حاد عن   حـرمِ الْهِـداية فالْحسـام مجـرد
49. يا من تُخُيـر من ذُؤابـة[3] هاشـمٍ   نعم الفَخَـار لَها ونعـم المحتد[4]
50. لِسـنَـاك حيـن بـدا لآدم أَقْبـلَتْ   رعيـًا لأُخْـراه الْمـلائِك تَسجـد
51. لَم أَستَطـع حصـرا لِما أُعطيـتَـه   فَذَكَرتُ بعضـًا واعتـذَارِي منْشد
52. ماذا أَقُـولُ إِذَا وصفْـتُ محمـدا   نَفـد الْكَـلام ووصفُـه لا ينْـفَـد
53. فَعلَيـك يا خَيـر الخَلائِق كُـلهـا   مني التحيـةُ والسـلام السرمد[5]

([1]) الغزالة: الشمس؛ اللسان: مادة غَزِلَ.

([2]) زويتْ: قُبِضتْ وجمعتْ؛ اللسان: مادة زوا. وفي هذا البيت اقتباس من حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم،: "زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ حتى رأيت مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا"؛ ينظر: سنن ابن ماجه، الحديث 3952.

([3]) الذؤابة: منبِتُ الناصية من الرأس، والمراد هنا: من علية بني هاشم؛ اللسان: مادة ذَأَب.

([4]) المحتد: الأصل والطّبع؛ اللسان: مادة حتَد.

([5]) السرمد: الدائم الذي لا ينقطع؛ اللسان: مادة سرمد.

-70-

في المدح

وقال يمدح أبا عبد الله بن محمد بن الحسين*:

(السريع)

1. خُذْها إليكُم جفْنَةً(1) قَد غَدتْ	فَارِغَـةً يملَـؤُها الحمـد
2. تَطْلُـب منْكُـم عادةً لَم تَزلْ	يعجِز عن تَكْرارِها العـد
3. أرسلَـها رب البنَـات التـي	يحفـها السـكر والشهـد
4. باطنُهـا أحسـن من ظَاهرٍ	يحسـدها المبسـم والخَـد
5. من أدبٍ إرسالُهـا لِلْـعـلا	لا عسـلٌ فيـها ولا زبـد
6. الجزر من عنْدي ومن عنْدكُم	يكُون يا بحر الندى المـد

* تخريج المقطعة رقم (70)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص11.

* * * *

(1) الجفنةُ: القصعة التي يوضع فيها الطعام والماء، وهي أعظم ما يكون من القصاع، والجمع جِفان؛ اللسان: مادة جفَن.

-71-

في الغزل

وقال متغزلاً*:

(مجزوء الرجز)

1. هلْ تَمنَـع النهـود … ما أبدت الخُـدود
2. نَعـم وكم طَعيـنٍ … بِطَعنـها شَهـيـد
3. يا ربـةَ المحـيـا … خَفَـتْ بِه السعود
4. أم تُسكـرِ الحميـا … بلْ ريقُك البـرود
5. للهِ يـا عـذُولـي … ما تَكْتُـم البـرود
6. ما زِلْتُ فيـه أفْنَى … والْوجد مستَـزِيد
7. يا هلْ تُرى زمانـًا … مضى لنَـا يعـود
8. لَدى العروسِ[1] سقتْ … جنَابهـا العهـود
9. حيثُ الغُصون مالَتْ … كأنـهـا قُـدود[2]
10. وزهـرهـا نَظيـم … كـأنه عـقُـود
11. حمـامهـا تُغَـني … أعطَـافُها تَميـد
12. وبِالنسيـمِ شُقـتْ … لِنَـهـرِها بـرود
13. فُروعـه سـيـوفٌ … وسـوره بنُود[3]
14. هنَـاك كم دعتْـني … إلى الورود رود[4]
15. فَنلْـتُ كُـل سـؤْلٍ … يفْنَى بِه الْحسـود

---

* تخريج القصيدة رقم (71)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/78-79. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بإشبيليةَ"

* * * *

([1]) العروس: متنزه من متنزهات إشبيلية.

(2) القدود: جمع قد، وهو الجسم والقوام؛ اللسان: مادة قَدد.

([3]) البنود: جمع بنْد وهو العلَم؛ اللسان: مادة بنَد.

([4]) الرود: الشابة ذات الدل والخفر؛ اللسان: مادة رود.

16. قضيـتُ فيه عيشًا		مـا بعـده مزيـد
17. أُضحي بـه وأُمسي		مـرنحـًا أميد(1)
18. كأنـنـي يـزيـد		كأنـني الولـيد(2)
19. يجري الزمان طوعي		بكُـل مـا أُريـد
20. الخمـر ملكـتْـني		فالخَلْقُ لي عبيـد
21. يحـق لي إذا مـا		أبصرتُهـا تجـود
22. فهـا أنـا إذا مـا		فقـدتُهـا فقـيـد
23. يا من يلُـوم بغْيـًا		العـذْلُ لا يفـيـد
24. إذا عدمـتُ كأسي		فليـس لي وجود

-72-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(الكامل)

1. أو ما نظرتَ إلى الحمامة تُنْشد		والغُصن من طربٍ بها يتأود(3)
2. ونثـاره تلْـقـاه جائِـزةً لهـا		لمـا يزلْ يبـد النسيـم يبـدد
3. ألْقى عليها الطل بردا سابغـًا(4)		فتنَـاؤه طُول الزمـان يـردد
4. أترى الحمامةَ من محب مخْلصٍ		أولى بشُكْـرٍ حين تغْمـره يـد
5. فلأُثنـيـن عليك ما أثْنَى بأعـ		ـلى الغُصن حنان الهديل مغرد
6. كم نعمة لي في جنابك؟ كم أُكـ		ـيد جهـدها؟ أيـن برك يجهد

(1) أميد: أتمايلُ؛ اللسان: مادة ميد.

(2) أراد بيزيد: يزيد بن معاوية، والوليد: الوليد بن عبد الملك. وذلك دلالة على الترف.

* تخريج المقطعة رقم (72)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 79/3. وقدم لها بقوله: "قال: وقلتُ بإشبيلية"

* * * *

(3) يتأود: يتلوى ويتمايل؛ اللسان: مادة أود.

(4) سابغًا: طويلاً واسعا؛ اللسان: مادة سبغ.

-73-

في المدح

وقال يمدح آخر*:

(الطويل)

1. أرى العين مني تحسد الأذْن كلما — جرتْ مدحةٌ للعلم والفَضل والمجد
2. أحقـقُ أنبـاء ولم أر صـورةً — كتحقيقي الأخْبار عن جنة الخُلْـد
3. فمن على عيـني بلُقيـاك إنني — أخَذْتُ لها أمنـًا بذاك من السـهد

-74-

في السخرية

وقال ينصح أبا الحجاج مشيرا إلى محبوبه، وقد غطى هواه عنده على عيوبه*:

(السريع)

1. خَلي [1] أبا الحجاج هذا الذي — قد كُنْـتَ فيه دائم الوجـد
2. فانْظُر[2] إلى لحيته واعتبِـر — فيما جنَى الشعر على الخَد

---

* تخريج المقطعة رقم (73)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 79/3. وقدم لها بقوله: "وقال".

* تخريج النتفة رقم (74)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح،ص95. وقدم لها بقوله: "ولما التقينا بتونس بعد إيابي من المشرق، وقد دلَج ظلام الشعر على صبح وجهه المشرق؛ قُلتُ لأبي الحجاج مشيرا إلى محبوبه، وقد غطى هواه عنده على عيوبه". وأبو الحجاج: هو يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي، (573-653هـ)، نسبة إلى بياسة مدينة كبيرة من كور جيان بالأندلس، أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين، كان أديبا بارعا فاضلا مطلعا على أقسام الكلام من النظم والنثر وراويا لوقائعها وحروبها وأيامها، له كتاب الأعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، والحماسة، وتذكرة الغافل: ترجمته في: الذهبي، تاريخ الإسلام، 158/48؛ ابن الحنبلي، شذرات الذهب، 262/5؛ المقري، نفح الطيب، 316/3.
- المقري، م.س، 284/4.

* * * *

(1) في المقري، م.س، 284/4: خَل.

(2) في المقري، م.س، 284/4: وانْظُر.

-75-

في الغزل بالمذكر

وقال في غُلام جميل الصورة*:

(مجزوء الرمل)

1. نَاب ما أهديتَ عن عر ... ف وعن ريق وخَد
2. حبذا تُفاحةٌ قد ... أشْبهتْ أوصافَ مهدي
3. بِت منْها في سرورٍ ... فكأن قد بِت عنْدي

-76-

في المدح

وقال يمدح الملك الناصر يوسف صاحب حلب*:

(الطّويل)

1. خَطَرتُ إليه السمهري مسددا ... فَعانَقْتُه شَوقًا إلى ذَلِك القَد(1)
2. خَفي وستْر الليل فوقي مسبلٌ ... كأني حياء فوقَ وجنَة مسود
3. ولَيلي بخيلٌ بالنجوم وصبحه ... ونَجمي في رمحي وصبحي في غمدي
4. وتَحتي مثْلُ الليل أهدى من القَطَا ... بدا طالِعًا من وجهه كوكب يهدي
5. إلى أن وصلْتُ الحي والقَلْب ميتٌ ... حذَار الأعادي والمثَقفَة الملْد
6. فعانَقْتُ غُصن البان في دوحة القَنَا ... وقبلْتُ بدر التم في هالَة الجرد
7. كذَا همتي فيمن أهيم بحبه ... ومن أبتَغي من وجهه طالِع السعد
8. خزائِن أرضِ اللهِ في يد يوسف ... فَهلْ لِسواه في الملُوك يرى قَصدي
9. مليك ترى في وجهه آيةَ الرضا ... وتَقْرأُ من أمداحه سورةَ الحمد

---

* تخريج المقطعة رقم (75)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 34/3. وقدم لها بقوله: "وقوله في غلامٍ جميل الصورة أهدي تُفاحةً".

* تخريج القصيدة رقم (76)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 144/2. وقدم لها بقوله: "وقال من قصيدة ناصرية".

(1) السمهري: الرمح الصلب، وكان اسما يطلقُ على رجلٍ يثقفُ الرماح؛ اللسان: مادة سمهر.

-77-

في الإخوانيات

وقال وكتب إلى محمد بن يحيى بن همشْك التينمالي مع هدية*:

(الطّويل)

1. أخي ابن همشْك قد أتتْك هديتي — تُجمع أشْتاتــًا تُتَرجِم عن ودي
2. هديــةُ خــل قــد أدل بمــالِــه — لديك فلم يحتَج إلى كُلْفَة الجهد
3. فَقُلْــتُ وجلــتْ قيمــةً ومودةً — وحلتْ بأوفَى الناسِ كُلهم عنْدي

-78-

في الوصف

وقال في الإقبال على الملذّات*:

(الطّويل)

1. ولا لحظَ إلا رائع في خَميلَة — ونَهرٍ وخَــد بالْحيــاء مورد
2. ولا سمع إلا ســامع ما يريده — حديثُ حبيبٍ أو أغَارِيد منْشد

* تخريج المقطعة رقم (77)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص11. وابن همشْك: هو الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي بكر المعروف بابن همشْك التينمالي، (ت656هـ)، ولد بسبتة ونشأ وتأدب بها وبالجزيرة الخضراء، كان شاعرا مجيدا، وحافظًا للقرآن، جامعا لأنواع العلوم والآداب: ترجمته في: ابن سعيد، م.س، ص98-99؛

* تخريج النتفة رقم (78)، وردت في:

- ابن سعيد، م.س، ص73.

-79-

في الرثاء

وقال عند موت الوزير ابن جامع*:

(الطّويل)

1. وطيب نَفْسي أنه ماتَ عنْدما ... تَنَاهى ولم يشْمتْ به كُل حاسد
2. ويحكُم فيه كُل من كان حاكما ... عليه ويعط الثأر كُل معاند

-80-

في الخمريات

وقال في الخمر*:

(الطّويل)

1. يعيشك ساعدني على حث كاسها ... إذا ما بدا للصبح بثْر المواعد
2. وشَق عمود الفَجرِ ثوب ظلامه ... كما شَق ثوبا أزرقًا صدر نَاهد

---

* تخريج النتفة رقم (79)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 46/3. وقدم لها بقوله: "ولم يزل الوزير –لا أزالَ اللهُ عنه رضاه- يحمي جانبي، إلى أن أصابتني في العين، فأصابه الحين، فقلتُ في ذلك"

* تخريج النتفة رقم (80)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 144/2.

-81-

في الوصف

وقال في الغُراب*:

(الطّويل)

1.	إذَا ما غُراب البين لاح(1) فَقُلْ له	تَرفقْ رماك اللهُ يا طيـر بالبُـعد
2.	لأنْتَ على العشاق أقبـح منْظَرا	وأكْره في الأبصار من ظُلْمة اللحد
3.	تَصيح بنَـوحٍ ثُم تَعثُـر ماشيـًا	وتَبرز في ثَوبٍ من الحزن مسود
4.	متَى لُحتَ صح البين وانْقَطَع الرجا	كأنك من وشْك الفُراق على وعد

-82-

في الوصف

وقال *:

(الكامل)

1.	صاحبتُ فيه كُل ممتَـزجٍ به	كي أستَعين به إذَا لَم يسعـد
2.	والغُصن إن شَمخَ العلُو بقَدرِه	فَالريح تَدنيـه سريعـًا لليد

---

* تخريج المقطعة رقم (81)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص102. وأورد منها بيتين هما: (1، 3). وقدم لها بقوله: "ولم يسبق إلى استقصاء ما في الغراب مما يتطير به، وهو قوله".
- المقري، نفح الطيب، 34/3. وأورد المقطعة كاملة.

* * * *

(1) في المقري، م.س، 34/3: صاح.

* تخريج النتفة رقم (82)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص98.

-83-

في الوصف

وقال يصفُ النيلَ*:

(الطّويل)

1. نَزلْنَا من الفُسطَاط[1] أحسن منْزِلٍ   بحيثُ امتـداد النيـل قد دار كالْعقْد
2. وقد جمعتْ فيه المراكب سحرةً[2]   كسربِ قطًا أضحى يرف على ورد
3. وأصبح يطْفُو الْموج فيه ويرتَمي   ويطْرب أحيـانًا ويلْعـب بالنـرد
4. حـلا ماؤُه كالريق ممـن أحبـه   فمدتْ عليه حلـةٌ من حلى الخَـد
5. وقد كان مثْلَ النهرِ من قبـل مده   فأصبـح لمـا زاده المـد كالْورد

---

* تخريج المقطعة رقم (83)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 102/3. وقدم لها بقوله: "وبتنا في ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل، فقلتُ"

* * * *

([1]) الفُسطاط: في اللغة، بيتٌ من الأدم، وهي مدينة بناها عمرو بن العاص عند دخوله مصر سنة 20هـ ، فيقال إنّه ضرب فسطاطًا له هناك، وهي مصر اليوم، وسماها المسلمون فسطاطا لأنهم قالوا هذا فسطاط القوم ومجمعهم، بنى ابن العاص فيها مسجدا ثم لحقه ابن طولون بمسجد آخر، وأمامها روضةٌ خضراء، وتبعد عنها القاهرة حوالي ميلين. ينظر: أبو القاسم القرشي، فتوح مصر وأخبارها، 180/1؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 262/4؛ البلاذري، فتوح البلدان، 214/1.

([2]) السحرةُ: ثلث الليل الأخير إلى طلوع الفجر؛ اللسان: مادة سحر.

قافية الراء

-84-

في السخرية

وقال في حادث وقع له*:

(المتقارب)

1. لقيتُ بمصر أشدَّ البـوار ... ركُوب الحمـارِ وكُحلَ الغُبـار
2. وخَلْفي مكارٍ[1] يفُوقُ الريا ... ح لا يعرِفُ الرِفْقَ مهما استَطَار
3. أُنَاديه مهلاً فَلا يرعوي[2] ... إلى أن سجدتُ سجـود العثَـار
4. وقَد مد فَوقي رواقَ الثرى ... وألْحـد فيـها ضيـاء النـهار

-85-

في الغزل بالمذكر

وله في غلامٍ تركي بخده خال*:

(السريع)

1. كأنما الخَالُ على خَدِه ... إذْ لاح في سلْسلَة من عذَار[3]
2. أُسيود[4] يخْدم في جنة ... قَيـده مولاه خَـوفَ الفـرار

---

* تخريج المقطعة رقم (84)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 100/3. وقدم لها بقوله: "وعندما استويتُ راكبا أشار المكاري إلى الحمار، فطار بي، وأثار من الغُبار الأسود ما أعمى عيني، ودنس ثيابي، وعاينتُ ما كرهته، ولقلة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده، وقلّة رفق المكاري، وقعتُ في تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج، فقلتُ"

* * * *

([1]) المكاري: بضم الميم، الذي يؤجر الدواب؛ اللسان: مادة كرا.

([2]) يرعوي: يكُف عن الأمر؛ اللسان: مادة رعي.

* تخريج النتفة رقم (85)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص9. وقدم لها بقوله: "وكان بخُراسان مسايرا لبعض ملوكها، فلَقيهم مملوك وسيم من الأتراك، بخده خالٌ وهو معذر، فقال ارتجالاً"

* * * *

([3]) العذار: استواء شعر الغلام، يقال: ما أحسن عذار لحيته؛ اللسان: مادة عذَر.

([4]) أُسيود: تصغير أسود؛ اللسان: مادة سود.

-86-

في الاستعطاف

ولـه يستميح الملك الناصر صاحب حلب السفر إلى موطنه*:

(مجزوء الكامل)

1. يا أيهـا الملـك الـذي نَفَع الزمان به وضرْ
2. أهديتَ لِي التشْرِيفَ لـ ـكن دونَه زاد السفَر
3. فكـأنمـا أهديـتَ لِي فَصلَ الربيع بلا مطَر

-87-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(المتقارب)

1. ويزدحم اللحـظُ في خَـده فَيلْبس درعا لها من خَفَر(1)
2. كما ازدحم اللثْم في راحة الـ أميرِ المعلى عميـد البشَر

-88-

في الوصف

وقال يصفُ نهر شنيل*:

(الكامل)

1. انْظُر لِشنيلٍ يقَابِلُ وجهـه وجه الهلال كقَارئٍ أسطَـاره
2. لَما رآه معصما قَد زانَـه وشْي(2) الصبا ألْقَى عليه سواره

* تخريج المقطعة رقم (86)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص7. وقدم لها بقوله: "وجمع مختار أمداحه فكانت خمسة آلاف بيت، ورفعها إليه ورغب منه أن يترك سراحه للحج مع الركب، فأنعم عليه وأمر له بخلعة موشية، ولم يصله معها زاد، فكتب إليه".

* تخريج النتفة رقم (87)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص99.

* * * *

(1) الخَفَر: شدةُ الحياء؛ اللسان: مادة خَفَر.

* تخريج النتفة رقم (88)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 84/2. وقدم لها بقوله: "ونهرها الكبير –يعني غرناطة- يقال له شنيل، وفيه أقول".

* * * *

(2) الوشي: الثوب؛ اللسان: مادة وشَي.

-89-

في الإخوانيات

وكتب إلى ابن عمه أبي الحسين بن سعيد معتذرا*:

(الطويل)

1. ومن بعد هذا قد أتيتُ بزلـة أما حسن أن لا تَضيقَ بها صدرا
2. وعلمك حسبي بالأمور فإنني عهدتُك تدري سر أمري والجهرا
3. وقد أصلح اللهُ الأمور بسعيكُم ونيتكُم صلحا على البِشْرِ والبُشْـرى
4. ولم يبقَ لي إلا رضاك فإن به كتَبتَ ولو حرفًا أطبتَ به العمـرا
5. فبقيتَ كهفـًا للْجميع وموئلاً ولا زلْتَ ما دام الزمان لنَا سِتْـرا

-90-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(الكامل)

1. ما كُنْتُ أحسب أن أضيع وأنْتَ في الد دنْيا وأن أُمسي غَريبا معسرا
2. أنَا مثْلُ سهمٍ سوفَ يرجِـع بعـدما أقْصاه راميه المجِيد لِيخْبِـرا

* تخريج المقطعة رقم (89)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/83-84. وقدم لها بقوله: "وقال أبو الحسن علي بن سعيد: كتبتُ إليه من أبيات بحضرة تونس وقد نقل إليه بعض الحساد ما أوجب تغيره".

* تخريج النتفة رقم (90)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 3/35. وقدم لها بقوله: "وقوله من قصيدة"

-91-

في المدح

أنشد للملك لناصر يوسف صاحب حلب قصيدةً مدحه فيها، ومنها*:

(الكامل)

1. جد لي بما ألقى[1] الخيالَ من الكرى — لا بد للضيف[2] الملم من القـرى[3]
2. وا خَجلَـتي منه ومنـك متـى أنَـم — عيرتَنـي ومتـى سهـرتُ تنَكـرا
3. قُـم سقـنـيـها والسـماء كأنهـا — لبسـتْ رداء بالبـروق مشَـهـرا
4. وكأنمـا زهـر النـجـوم بـأفقـنا — خيـم طَواهـا بنْـد صبـحٍ نُشرا
5. النّـاصر الملك الـذي عـزمـاتُـه — أبدا تكـون مع العساكرِ عسـكرا
6. ما كـان أنبـا الفتـح يلْـزم لامـه — والجمـع من أعـدائِـه متكسـرا
7. الدين أصلحه وعـم صلاحـه الـد — دنيا وأصـبح ناصـرا ومظَـفرا
8. فكـأن كُنْيـتَـه غـدتْ موضـوعه — من ربه والوصـفُ منـه مقَـررا
9. وكأنمـا الأسماء قـد عرضتْ على — علْيـاه قبـلَ وجـوده متَخـيـرا
10. من آل أيـوب الّـذيـن هـم هـم — ورثوا النـدى والبـأس أكبر أكبرا
11. من كُل من جعـلَ السروج أرائكـًا — والسمر قُضبا والقواضب[4] أنْهـرا

---

* تخريج القصيدة رقم (91)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 144/2-145. وقد أورد الأبيات: (1-4، 11-21). ابن سعيد، رايات المبرزين وغايات المميزين، ص100. وقدم لها بقوله: "وقوله"، وأورد خمسة أبيات هي: (14-18).
- المقّري، نفح الطيب، 39/3. وقدم لها بقوله: "فدخل على الملك الناصر صاحب حلب فأنشده قصيدة أولها"، وأورد البيتَ الأول فقط.
- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 132/4-133. وقدم لها بقوله: "ودخلَ على السلطان بحلب وأنشده قصيدةً أولها..."، وأورد خمسة عشر بيتًا هي: (1، 5-18).
- ابن الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، 645/2. وقدم لها بقوله: "ويرحم اللهُ المؤرخ الزجال أبا الحسن بن سعيد من أهل بلادنا، أخبر أنه لما دخل على صاحب حلب وأنشده القصيدة التي أولها"، وأورد البيت الأول فقط.

* * * *

(1) في ابن الخطيب، روضة التعريف، 645/2: هب لي بما ألقى؛ المقّري، م.س، 39/3: لقي.

(2) في ابن الخطيب، الإحاطة، 132/4؛ روضة التعريف، 645/2: للطيف.

(3) في ابن الخطيب، الإحاطة، 132/4: الكرى. والقرى: طعام الضيف؛ اللسان: مادة قرا.

(4) القواضب: جمع قاضب وهو السيف اللطيف الدقيق؛ اللسان: مادة قضب.

12. من معشرٍ خبـروا الزمـان رياسةً وسياسةً حلـوا الذرى حمر الذرا[1]
13. سـم العـداة علـى حيـاء فيـهم "لا تعجبن كذاك"[2] آسـاد الشـرى
14. كادوا يقـيـلون العـداةَ من الردى لو لم يمـدوا كالحجـابِ العثْيرا[3]
15. حتى ظُبـاهم فـي الحيـاء مثالُهـم أبـدتْ وقـد أردتْ محيـّا أحمـرا
16. جعلوا خَواتم سمرهم من قلبِ كُـلـ ـل معاند حسب[4] المثقفَ خنْصرا
17. وبيضهـم قـد توجـوا أعـداءهم حتـى العـدا حلـوا لكيـما تشْكُرا
18. لو لم يخافـوا تيـه سارٍ نَحـوهـم وهبوا الكواكب والصباح المسـفرا
19. فاثـنِ المسـامع نحـو نظـمٍ كلما كـررتُـه أحببـتَ أن يتـكـررا
20. إن كـان طـالَ فإنـه مـن حسنه ليـلُ الوصـال بأُنْسـه قـد قُصرا
21. من بعـده الشعـراء تحكي واصلاً تتجـنـب الراءات كـي لا تَعثـرا

-92-

في المدح

وقال من قصيدة يمدح أبا عبد الله محمد بن الحسين ويستهديه*:

(المتقارب)

1. أخَا الجود قَد طَالَ شَوقي إِلى شُموسٍ بواطنُها مقْمـره
2. تَجِيء مع الْورد في فَصـله وأَوجهها لِلْمنَى مسفره[5]
3. وتَصحيفُها يقْتَـضي حبـها وبالضد يقْضي لِمن غَيره
4. وأَكْثَر وجـدي بها عنْـدما تُعض فَتَضحك مستَبشره[6]

(1) في ابن الخطيب، الإحاطة، 132/4، ورد هذا البيت هكذا: أهلُ الرياسة والسياسة والعلا بسيوفهم حلوا الذرى منحوا الذرا
والذرا: الستر والرعاية والكنَف؛ اللسان: مادة ذَرا.
(2) في ابن الخطيب، م.س، 132/4: لا تعجبوا فكـذاك.
(3) العثير: الغُبار؛ اللسان: مادة عثَر.
(4) في ابن الخطيب، م.س، 132/4: عد.

* تخريج المقطعة رقم (92)، وردت في:
- ابن سعيد، اختصار القدح، ص10. وقدم لها بقوله: "وكتب إلى رئيس من رؤساء هذه الدولة -خلد الله أيامها ونصر أعلامها، وأدام وجودها، وكبتَ حسودها- وهو الشيخ أبو عبد الله بن الحسين".

* * * *

(5) مسفرةٌ: بينةٌ ومضيئة؛ اللسان: مادة سفَر.
(6) في البيت اقتباس من قوله تعالى: ضاحكةٌ مستَبشرةٌ ؛ عبس، 39/80.

-93-

في الوصف

وقال في القاهرة*:

(المتقارب)

1. يقُولُون سافر إلى القَـاهره | وما لِي بها راحةٌ ظَاهره
2. زحام وضيـقٌ وكَرب وما | تُثيـر بها أرجـلٌ سائِره

-94-

في الحنين

وقوله من أبيات يحن فيها إلى بعض جيرانه*:

(الكامل)

1. لِي جِيرةٌ ضنوا علَي وجـاروا | فَنَبتْ بِي الأوطَان والأوطَار[1]
2. ومن العجائِبِ أنني مع جورهم | ما قَر لِي بعد الفُـراق قَـرار

---

* تخريج النتفة رقم (93)، وردت في:

- ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص25. وقدم لها بقوله: "ومن عيوب القاهرة أنها في أرض النيل الأعظم ويموت الإنسان فيه عطشًا لبعدها عن مجرى النيل، لئلا يصادرها ويأكل ديارها، وإذا احتاج الإنسان إلى فرجة في نيلها مشى في مسافة بعيدة بظاهرها بين المباني التي خارج السور إلى موضع يعرف بالمقْس، وجوها لا يبرح كدرا مما تثيره الأرض من التراب الأسود، وقد قلتُ فيها حين أكثر علي رفاقي من الحض على العود إليها".
- المقري، نفح الطيب، 106/3.

* تخريج النتفة رقم (94)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 35/3.

* * * *

([1]) ضنُوا: بخلوا وأمسكوا. نَبتْ: تجافتْ وابتعدت. الأوطار: جمع وطَرٍ، وهو الأرب والحاجة؛ اللسان: مادة ضنَن، ونَبا، ووطَر.

-95-

في الوصف

وقال يصفُ حالَه دون ما زوجٍ*:

(الكامل)

1. أَنَا شَاعرٌ أهوى التخَلي دون ما — زوجٍ لِكيما تَخْلُص الأفْكَـار
2. لَو كُنْتُ ذَا زوجٍ لَكُنْتُ منَغصـًا — في كُل حينٍ رزقُها أمتَـار(1)
3. دعني أُرح طُولَ التغَربِ خَاطري — حتى أعود ويستَـقر قَـرار
4. كَم قَائِلٍ قَد ضاع شَـرخُ شَبـابِه — ما ضيعتْه بِطَـالَةٌ وعقَار(2)
5. إِذْ لَم أَزلْ في العلْمِ أَجهـد دائِمـًا — حتى تَـأَتـتْ هذه الأبكَـار
6. مهما أرم من دون زوجٍ لم أَكُن — كلا ورزقي دائِمـًا مدرار(3)
7. وإِذَا خَرجتُ لِفُرجـة هنـيـتُها — لا ضيعةٌ ضاعتْ ولا تَذْكَـار

-96-

في الخمريات

وقال في الخمر*:

(السريع)

1. بِاللهِ يا حـابِسـهـا أَكْـؤُسـًا — شَابتْ لِطُول الحبس، ولى النهار
2. فَلْتَغْتَنم شُربا على صفْرة الشْـ — ـشَمسِ وقَابِلْ بِالنضارِ النضـار
3. من قَبل أَن يحجب جنْح الدجى — ثَغْـر الأقَاحي وخُـدود البهـار

---

* تخريج القصيدة رقم (95)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 35/3.

* * * *

(1) أمتار الرزقَ: أجمعه؛ اللسان: مادة مور.

(2) العقار: الخمر؛ وسمي عقارا لأنه يعقر العقل أي يهينه؛ اللسان: مادة عقَر.

(3) الكل: العالة على غيره. المدرار: الكثير والوفير؛ اللسان: مادة كلَلَ، ودرر.

* تخريج المقطعة رقم (96)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 145/2.

-97-

في الوصف

وقال يصفُ فَرسا*:

(السريع)

1. وعسجدي[1] اللونِ أعددتُه ... لِسـاعة تُظْلِم أنْوارهـا
2. كأنه في رهـجٍ[2] شَمعـةٌ ... مصفَـرةٌ غُرتُه نَارهـا

-98-

في المدح

وقال يمدح أبا زكريا الحفصي ملك أفريقية*:

(البسيط)

1. هذا الذي يهب الدنْيـا بِأجمعـها ... وبعد ذَلك يلْقَـى[3] وهو يعتَـذر
2. إِن هزه المـدح فَالأموالُ في بدد ... والغُصـن ما هز إِلا بدد الثمـر
3. فَقُلْـتُ لَما بدا لي حسن منْظَـرِه ... لَكنـه زاد إِشْراقـًا: هو الْقَمـر
4. متع لِحاظَك في وجه بِلا[4] ضررٍ ... إِن كان شَمسا يداه تَحتَها مطَر[5]

---

* تخريج النتفة رقم (97)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص101. وقدم لها بقوله: "وقوله في فرسٍ أصفر أغر"

* * * *

([1]) العسجدي: الذّهبي، والعسجد هو الذهب؛ اللسان: مادة عسجد.

([2]) الرهج: الغُبار؛ اللسان: مادة رهج.

* تخريج المقطعة رقم (98)، وردت في:

- ابن سعيد، م.س، ص99. وقدم لها بقوله: "وقوله في ملك إفريقية". وأورد منها بيتين هما: (2، 4).
- المقري، نفح الطيب، 34/3-35. وقدم لها بقوله: "وقوله من قصيدة". وأورد المقطعة كاملة.

* * * *

([3]) يلْقَى: يفتَقد ويتدارك؛ اللسان: مادة لقَا.

(4) في ابن سعيد، م.س، ص99: جفونَك في وجد.

(5) في ابن سعيد، م.س، ص99: المطَر.

-99-

في الوصف

وقال في وصف مدينة دمشق*:

(البسيط)

1. أما دمشْقُ فمـا في الأرضِ مشْبهها	جنـاتُ عدنٍ بها ما يشْتهي البشَر
2. أرض لعمرك ما فيها لِمبـتَـذلٍ	ذَام[1] يلُوم ولا في صفْـوِها كَـدر
3. وكُل سبـت بها عيـد تَعـود به	آمالُهـم وبـه الـزلاتُ تُغْـتَـفَر
4. كُل إلى ما دعتْـه نَفْسـه عجِـلٌ	كأنمـا فُرصـةٌ قَد جاء يبـتَـدر
5. حيثُ الميادين كالديباج[2] قَد بسطَتْ	خُضرا جرتْ حولَها من مائِها طُرر[3]
6. بها النعيم غَدا لِلنـاسِ مكْتَمـلاً	مطَولاً وهو في الآفـاق مخْتَصر[4]
7. القُضب[5] راقصةٌ والطير صادحةٌ	والنشْر[6] مرتَفع والْماء منْحـدر
8. وقَد تَجلتْ من اللـذات أوجهـها	لكنهـا بظـلال الدوحِ تَسـتَـتـر
9. وكُـل واد بـه موسـى يفَجـره	وكُل روضٍ على حافَاته الخَضـر

---

* تخريج القصيدة رقم (99)، وردت في:

- ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص144.
- ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص364. وأورد منها ثلاثة أبيات هي: (6-7، 9). وقدم لها بقوله: "وقال الشيخ الأجلّ نور الدين علي بن سعيد الأندلسي، من قصيدة".
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، 812/2. وأورد منها أربعة أبيات هي: (6-9). وقدم لها بقوله: " وقال فيها –يعني دمشق- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي المدعو نور الدين".
- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 104/3-105. واورد منها بيتين فقط، هما: (6،9). وقدم لها بقوله: "وقال أيضا"

* * * *

([1]) الذام: العيب؛ اللسان: مادة ذيم.

([2]) الديباج: ضرب من الثياب المصنوع من الإبريسم (فارسية)؛ اللسان: مادة دبج.

([3]) الطرر: جمع طُرة، وهي كفة الثوب وجانبه الذي لا هدب له؛ مختار الصحاح: مادة طَرر.

([4]) البيت في ابن بطوطة، م.س، 812/2:

دمشْقُ منْزِلُنَا حيثُ النعيـم بدا   مكملاً وهو في الآفَاق مخْتَصر

وفي ابن شاكر الكتبي، م.س، 104/3:

في جِلق نَزلُوا حيثُ النعيم غَدا   مطَولاً وهو في الآفَاق مخْتَصر

وفي ابن شداد، م.س، ص364:

في جِلق منبـع اللـذات منعمر   ممكملٌ، وهو في الآفَاق مخْتَصر

([5]) في ابن بطوطة، م.س، 812/2: القُصب.

([6]) في ابن بطوطة، م.س، 812/2: الزهر.

-100-

في الوصف

وقال يصفُ رحيل قومٍ*:

(البسيط)

1. لا، لستُ أنْسى وقد زمتْ هوادجهم(1) فَخلْتُها أَضلُعي هاجتْ بِها الْفكر
2. وقد علاها احمرار من تَزخْرفها فَقُلْتُ: هيجتُموها هذه الشرر(2)

-101-

في الحنين

وقال في الحنين إلى مواطن الصبا*:

(البسيط)

1. يا غُصن روضٍ سقَتْه أَدمعي مطَرا وليس لِي منْه لا ظل ولا ثمر
2. طَالَ انْتِظَاري لِوعد لا وفَاء له وإن صبرتُ فَقَد لا يصبِر العمر

-102-

في الغزل

وقال متغزلاً*:

(الوافر)

1. نَظير قَوامك الغُصن النضير وحبي فيك ليس له نَظير(3)

---

* تخريج النتفة رقم (100)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص99.

* * * *

(1) الهوادج: جمع هودج، وهو من مراكب النساء، يصنع من العصي ثم يجعلُ فوقه الخشب فيقَب؛ اللسان: مادة هدج.

(2) الشرر: ما يتطاير من النار؛ اللسان: مادة شَرر.

* تخريج النتفة رقم (101)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 105/3. وقدم له بقوله: "وقال".

* * * *

* تخريج البيت المفرد رقم (102)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 144/2. وقدم له بقوله: "وقوله في طالع قصيدة".

* * * *

(3) النضير: الأخضر الشديد الخُضرة. النظير: الشبيه، والمثل في كلّ شيء؛ اللسان: مادة نَضر، ونَظَر.

-103-

في الوصف

وقال في وصف الغيم والبرق*:

(مجزوء البسيط)

1. انْظُرْ إلى الغَيمِ كيفَ يبدو وقد أتَى مسبلَ الإزارِ
2. والبرقُ في جانبيه يذْكي أنْفَاسه وهو كالشرارِ
3. ما طاب هذا النسيـمِ إلا والجو من عنْبرٍ ونَارِ

-104-

في الوصف

وقال يصفُ قُطْربلَ بالعراق*:

(الخفيف)

1. قُم نَديمـي لِحـانَـة الخَمـارِ نَنْـف ما قَد أصابنَا من خُمارِ
2. قُم لِقُـطْـربـلِ فَإن بسمـعي لَفْظَـها غَير ممزوجٍ لِلْقُـمارِ
3. أي حالٍ حالٌ بأطْيـبِ عيـشٍ حين سرنَا في طيـبة ووقَارِ
4. وهدانَا شَـذًى من الديرِ دارتْ كأسه قَبلَ حث كأسِ العـقَارِ
5. ثُـم جِئْـنَا إلى عجـائِزِ قسٍ لابِسٍ مسحـه[1] مع الزنـارِ
6. نَسج العنْكبوتُ ستْـرا علَيـها كم بِه هتـكـتْ من الأسـتَارِ
7. قُلْتُ: ما هذه؟ فَقَالَ شُمـوس ستَـروها بِظُلْـمة من قَارِ[2]
8. ثُم وافَى بِسـاطعٍ مستَـطيـلٍ يتْرك الليـلَ في رِداء النهارِ
9. لَم نُطقْ أن نَزيد شَيئًا علَى الذو ق وبِتْنَا صرعى علَى الأزهارِ

---

* تخريج المقطعة رقم (103)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،106/3. وقدم له بقوله: "وقال".

* * * *

* تخريج القصيدة رقم (104)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص153-154. وقدم لها بقوله: "... فاقتضى الحالُ المسير إليها –يعني قُطربلَ- وهي كُروم وبساتين على الجانب الغربي من دجلة، ثم اقتضى الاجتماع أن نظمتُ هذه الأبيات". وقُطْربلُ: هي قريةٌ بجانب نهر دجلة بين بغداد وعكبرا، ينسب إليها الخمر الجيد. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 371/4.

* * * *

([1]) المسح: الكساء من الشعر؛ اللسان: مادة مسح.

([2]) القار: مادةٌ سوداء تُطلى بها الإبلُ والسفن؛ اللسان: مادة قير.

-105-

في الوصف

وقال مشاركة مع أبي العباس الغساني وأبي القاسم بن يامن في الجلنار*:

(الوافر)

أبو العباس 1. ألا فانْظُر لِزهرِ الجلنَـارِ

أبو القاسم يمتْنِ المـاء منْه جـل نَـارِ

ابن سعيد 2. كأن الماء قد أمسى سماء تُصاغُ له من الشفَق الدرارِي

-106-

في المدح

وقال يمدح أحد الأمراء*:

(الطويل)

1. له مـاء وجـه رق ستْـر حيـائِه صليبٍ على الأعداء، والماء في الصخْرِ

---

* تخريج النتفة رقم (105)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص55. وابن يامن: هو الفقيه الكاتب أبو القاسم أحمد بن يامن الشاطبي، من أهل جزيرة شُقَر، كتب مدة عند رئيس شاطبة أبي الحسين بن عيسى حتّى نُسب إليها، وصار فخره محسوبا عليها: ترجمته في: ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطّرف، ص153؛ ابن سعيد، اختصار القدح المعلّى، ص53.

* تخريج البيت المفرد رقم (106)، ورد في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص100. وقدم له بقوله: "وقوله من القصيدة التي شرفها بمدح الجناب العالي، وصلّ الله سعوده آمين"، وصاحب الجناب العالي هو موسى بن يغمور.

-107-

في الوصف

وقال يصف بركة الفيل بالفُسطاط*:

(البسيط)

1. انْظُر إلى بِركة الفيل التي اكْتَنَفَتْ ... بِها المنَاظر كالأهدابِ لِلْبصرِ
2. كأنمــا هي والأبصــار تَرمقُــها ... كواكب قد أداروها على القَمرِ

-108-

في الوصف

وقال يصفُ مدينةَ دمشق*:

(البسيط)

1. خيم بجلِــقَ بين الكَــأسِ والْوتَرِ ... في جنة هي ملْء السمــع والْبصرِ
2. ومتع الطرفَ في مرأى محاسنه ... وروض الفكْر بين الروض والنهرِ
3. وانْظُر إلى ذَهبِــيات الأصيل بها ... واسمع إلى نَغَمات الطيرِ في الشجرِ
4. وقُلْ لِمــن لام في لَذاتــه بشَــرا ... دعني فإنك عنْــدي من سوى البشَرِ

---

* تخريج النتفة رقم (107)، وردت في:

- ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص27. وقدم لها بقوله: "وأعجبني في ظاهرها بركة الفيل؛ لأنها دائرة كالبدر، والمناظر فوقها كالنجوم، وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل، وتُسرج أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم، فيكون لها بذلك منظر عجيب، وفي ذلك قيل". وبركة الفيل: بركة عظيمة متسعة جنوبي سور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها، وتنسب إلى رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 408/3.
- المقري، نفح الطيب، 107/3.

* تخريج المقطعة رقم (108)، وردت في:

- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، 812/2. وقدم لها بقوله: "وقال أيضا فيها".

-109-

في الوصف

وقال يصفُ أهل مصر*:

(الطويل)

1. أَسكان مصرٍ جاور النيلُ أرضكُم ... فأكْسبكُم تلْك الحلاوةَ في الشعرِ
2. وكان بِتلْك الأرضِ سحر وما بقي ... سوى أَثرٍ يبدو على النظْمِ والنثْرِ

-110-

في الإخوانيات

وكتب إلى إبراهيم بن سهل يدعوه إلى مرج الفضة*:

(الطويل)

1. هلُم أبا إِسحاقَ نَحو نَزاهة ... كمثْل التي عودتَ بِالدوحِ[1] والنهرِ
2. ونُبدي لِزهرِ الروضِ والْورد وجنَةً ... وثَغْرٍ فَمٍ أَنْدى من الْورد والزهرِ
3. وإِن عبتُمونَا في التصابي جهالَةً ... فَعصر الشبابِ الغَض[2] يغْني عن الْعذْرِ

---

* تخريج النتفة رقم (109)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 105/3. وقدم لها بقوله: "وقال أيضا"

* * * *

* تخريج المقطعة رقم (110)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص73. وقدم لها بقوله: "دعوته يوما إلى مرج الفضة بهذه الأبيات، فكان منه أطوع مجاوبٍ وآت".

* * * *

(1) الدوح: الشجر العظيم؛ اللسان: مادة دوح.

(2) الغَض: الطري؛ اللسان: مادة غضض.

قافيـة الـزاي

-111-

في الوصف

وقال يصفُ روضةً*:

(الكامل)

1. الروض بـرد بالنـدى مطْـروز	والنهر سيـفٌ بالصبا مهـزوز
2. كُتبتْ به خَوفَ النواظرِ أسطُر[1]	فَعلَيه[2] من خَط النسيمِ حروز[3]
3. ورمتْ عليه الشمس فَضلَ ردائِها	فَعـلا مـذَاب لُجيـنه إبريـز[4]
4. والغُصـن إن ركَد النسيم كأنـه	إلْـفٌ بهمـزة طَيـرِه مهمـوز
5. وكأنمـا الأزهـار فيـه قَلائِـد	وكأنمـا الأوراقُ فيه خُـزوز[5]
6. والراح تَنْظـم شَملَـنَـا بجنَابِه	وعقـيـقُـنَا من درها مفْـروز
7. تُبدي لنَا خَجلَ العروسِ وحلْيـها	في مثْل زِي البِكْـرِ وهي عجوز
8. شَمطُ الحبابِ[6] يبين كبرةَ سنـها	فَعلام تَحمـلُ حلْيـهـا ويجـوز
9. هي كالغَـزالَة لا تَـزالُ جديـدةً	والطـرفُ دون ضبابِها مغْمـوز

---

* تخريج القصيدة رقم (111)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص100. وأورد البيت الثاني فقط.
- ابن سعيد، المغرب، 2/145-146. وقدك لها بقوله: "وقوله من قصيدة". وأورد تسعة أبيات.

* * * *

(1) في ابن سعيد، رايات المبرزين، ص100: والنهر من خَوف العيونِ كأنه.

(2) في ابن سعيد، م.ن، ص100: كُتبتْ عليه.

(3) الحروز: جمع حرزٍ، وهو الموضع الحصين؛ اللسان: مادة حرز.

(4) اللجين: الفضة. الإبريز: الخالص لا يخالطه شيء؛ اللسان: مادة لجن، وبرز.

(5) الخُزوز: الجواهر؛ اللسان: مادة خَزز.

(6) شمطُ الحباب: بياض معظم شعر الرأسِ يخالطه سواد؛ اللسان: مادة شَمطَ، وحبب.

-112-

في الوصف

وقال يصفُ مركبه وقد أفلت من العدو*:

(السريع)

1. انْظُرْ إلى مركبِنَا منْقَذًا   من العدا من بعد إحرازِ
2. أَفْلَتَ منْهم فَغَدا طَائِرا   كَطَائِرٍ أَفْلَتَ من بازي[1]

* تخريج النتفة رقم (112)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 90/3. وقدم لها بقوله: "وقوله وقد أفلتَ المركب الّذي كان فيه من العدو"

* * * *

([1]) البازي: واحد البزاة التي تصيد، وهي ضرب من الصقور؛ اللسان: مادة بزا.

قافيـة السيـن

-113-

في الوصف

وقال يصفُ اجتماع النرجس بالورد*:

(السريع)

1. من فَضلَ النرجِس وهو الذي يرضى بحكْمِ الورد إذْ يرأس
2. أَما تَرى الورد غَـدا قاعـدا وقـام في خدمتـه النرجِس؟

-114-

في الوصف

وقال يصفُ نرجِسا على نهرٍ*:

(الطويل)

1. أَلا هاتها والنرجِس الغَض قد رنَا إليك كما تَرنُو العيون النواعس
2. وأَردافُ موجِ النهرِ فَوقَ خُصورِهِ تَميلُ عليهن الغُصون الموائِس(1)

* تخريج النتفة رقم (113)، وردت في:

- ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص30. وقدم لها بقوله: "وفي القاهرة أزاهر كثيرةٌ غير منقطعة الاتّصال، وهذا الشأن في الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد، وفي اجتماع النّرجس والورد فيها أقول".
- المقري، نفح الطيب، 108/3. وقدم لها بقوله: "وفي القاهرة أزاهر كثيرةٌ غير منقطعة الاتّصال، وهذا الشأن في الديار المصرية يفضل كثيرا من البلاد، وفي اجتماع النّرجس والورد فيها أقول".
- المقري، م.س، 39/3. وقدم لها بقوله: "ثم استدعاه سيف الدين بن سابق إلى مجلسٍ بضفة النيل مبسوط بالورد، وقد قامت حوله شمامات نرجس، فقال في ذلك".
- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 132/4.
- ابن القاضي، درة الحجال، 240/3. وقدم لها بقوله: "ولما دخل مصر دعاه سيف الدين بن سابق إلى مجلس بقصبة مبسوط بالورد، وقامت حوله شمامات نرجس، فقال في ذلك".

* تخريج النتفة رقم (114)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 146/2. وقدم لها بقوله: "وقوله"

* * * *

(1) الموائس: جمع مائس، وهي الغصون اللينة والمتثنية؛ اللسان: مادة مأس.

-115-

في الوصف

وقال يصفُ حديقةً مشاركةً مع أبي العباس الغساني وابن يامن*:

(المتقارب)

1. رنَتْ نَحوكُم مقَـلُ النرجِسِ ... وأمستْ تُشير إلى الأكْؤُسِ
2. وقَد حـدد الآس(1) آذانَـه ... ليسمع ما دار في المجلسِ
3. وأخْجلَ تُفـاحنَا(2) فَاغْتَدى ... يروم الكلام فلَم(3) ينْبِسِ(4)
4. وقَد باح أُتْرجنَـا(5) بالْهوى ... وظَاهره بالضـنَى مكْـتَسِ
5. وماس الترنْجان في(6) حلة ... تَروقُ الْعيون من السـنْدسِ
6. وكالْجمرِ نَارنْجنَـا(7) قَد بدا ... يروع الْعيون ولَـم يقْبِسِ(8)
7. وزنْبوعنَا(9) بعضه مثْلُ ما ... نَظَرتُ(10) إلى الذهبِ الأملَسِ
8. وتَضريس بعضٍ كشَمعٍ أسيلِ(11) ... ولكنـه بـارِد المـلْـمسِ
9. وقَد ضحكَـتْ بينَـنَا أَكْؤُسٌ ... فَوجه الدجنة(12) لَم يعبِـسِ
10. فَيا ربةَ العود حثي(13) الغنَا ... ويا ساقي الكأْسِ لا تَحبِـسِ

---

* تخريج القصيدة رقم (115)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص159. وأورد القصيدة كاملة. وقدم لها بقوله: "وأبو العباس الغساني المتقدم الذكر استدعاني مرة إلى جنّته بالجزيرة واقتضى الحال أن تشاركنا مع ابن يامن في هذه الأبيات".
- ابن سعيد، اختصار القدح، ص54. وأورد منها تسعة أبيات هي: (1-7، 9-10). وقدم لها بقوله: "وقولهم".

* * * *

(1) الآس: نوع من الأزهار؛ اللسان: مادة أسا.

(2) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص54: تُفاحها.

(3) في ابن سعيد، م.ن، ص54: ولم.

(4) لم ينبس: لم تتحرك شفتاه بأول الكلام؛ اللسان: مادة نبس.

(5) الأُتْرج: ثمر طيب الرائحة، وهو كثير ببلاد العرب ولا يكون بريا، وواحده تُرنجةٌ؛ تاج العروس، 437/5.

(6) التُّرنجان: الواحدة تُرنجة، وهو الأترج نفسُه ولكن حُذفت الهمزة وأُضيفت النون قبل الجيم؛ م.ن، 437/5.

(7) النارنج: معرب (نارنْك) من الفارسية، وهي نوع من الثمار؛ اللسان: مادة نرج.

(8) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص54: يقْبِس.

(9) في ابن سعيد، م.ن، ص54: زنْبوعها. الزنبوع: الواحدة زنبوعة، وهي كلمة بربرية، وتعني صنف من الليمون؛ ينظر: دوزي، تكملة المعاجم العربية، 364/5.

(10) في ابن سعيد، م.ن، ص54: نظرتَ.

(11) الأسيل: الأملس المستوي؛ اللسان: مادة أسل.

(12) الدجنة: الظُلمة؛ اللسان: مادة دجن.

(13) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص54: ضارب العود حث.

-116-

في الخمريات

وقال في الخمر[*]:

(الكامل)

1. يا صاح مذْ حضر الشراب ومنْيتي وحظيتُ بعد الهجرِ بالإيناسِ
2. وكسا العـذار الخـد فاسـقـني واجعلْ حديثَك كله في الكاسِ

---

[*] تخريج النتفة رقم (116)، وردت في:

- شمس الدين النواجي، روضة الأزهار في معاني أنواع الثمار، مخطوطة رقم (162/15).

قافية الصاد

-117-

في الإخوانيات

وبعث إلى أحد أصحابه، وقد عرف أنه شرب دواء *:

(الكامل)

1. فإذا نظرتَ فنون ما أهديتُه ... فاشْهد أخي أني المحب المخْلص

2. أبدا أدل على مكارم خُلْقكُم ... لكمالها لا كان خل ينْقُص

* تخريج النتفة رقم (117)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص3. وقد جاءت النتفة في رسالة كتبها إلى أحد أصحابه دون أي تقديم.

قافية الضاد

-118-

في المدح

وقال يمدح الناصر يوسف صاحب حلب*:

(دوبيت)

1. مولاي أراك دائِم الإعراضِ والعمر يمر ضائِع الأغْـراضِ
2. كم أسألك الرضا وكم تمنَعه الملْك لِمن أصبحتَ عنْه راضِ

* تخريج النتفة رقم (118)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص228. وقدم لها بقوله: "ولما عدتُ من العراق أنشدتُه من محاسن الدوبيتيات ما أمر بكتبه. ثم قال لي: هذا طراز لا تُحسنُه المغاربة. فقلتُ: يا خُونْد، كما أن الموشحات والأزجالَ طراز لا تُحسنُه المشارقة، والمحاسن قد قسمها اللهُ تعالى على البلاد والعباد. قال: صدقتَ، فهات مما نظمتَ أنتَ في هذا الطراز، فأنشدتُه:... فقال: ما قصرتَ. ركبتَ الجادة، وما تحتاج بعد إلى دليل".

قافية الطاء

-119-

في الوصف

ويقول في أرض الطبالة بالقاهرة*:

(الطويل)

1. سقَى اللهُ أَرضا كُلما زرتُ روضها كساها وحلاها بزِينَته القَـرطُ

2. تَجلـتْ عروسا والميـاه عقُـودها وفي كُل قُطْرٍ من جوانبِها قُرطُ

---

* تخريج النتفة رقم (119)، وردت في:

- ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص26. وأرض الطبالة: منطقةٌ جميلةٌ بالقاهرة، وهي منسوبة لامرأة مغنية اسمها طرب، أهداها لها المستنصر الفاطمي بعد أن غنت له سنة (432هـ). ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 406/3.
- المقري، نفح الطيب، 106/3. وقدم لها بقوله: "وعندما يقبل المسافر عليها –يعني القاهرة- يرى سورا أسود كدرا، وجوا مغبرا، فتنقبض نفسه، ويفر أُنسه، وأحسن موضع في ظواهرها للفرجة أرض الطبالة، لا سيما أرض القَرط والكتان، وقلت".
- القلقشندي، م.س، 407/3. وقد قدم لها بقوله: "وفيها –يعني أرض الطبالة- يقول ابن سعيد المغربي مجانسا بين القَرط الذي ترعاه الدواب والقُرط الذي يكون في الأُذن"

قافية العين

-120-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(الطويل)

1. يضيع الذي أسدى(1) إليك كأنه   حياء بوجه أسود اللون ضائع

-121-

في الوصف

وقال يصفُ أحدهم*:

(مخلع البسيط)

1. وافى علي لنَا بسيـ ـف   والْبين قد حان والْوداع
2. فَقَالَ شبه فَقُلْتُ شمس   قد مد من نُورِها شُعاع

---

* تخريج البيت المفرد رقم (120)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 146/2. وقدم له بقوله: "وقوله".

* * * *

(1) أسدى: اصطنع معروفًا؛ اللسان: مادة سدا.

* تخريج النتفة رقم (121)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 35/3. وقدم لها بقوله: "وقوله سامحه الله".

-122-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(البسيط)

1. إن غُيبتْ شَمسه فَالْبرقُ مهجتُه		والرعد زفْرتُه والْقَطْر أدمعه[1]

-123-

في الوصف

وقال يصفُ أحدهم*:

(مخلع البسيط)

1. لَبـذْلُ وجهي إلى لئيـمٍ		أمـر مـن وقْـفَـة الـوداع
2. فَالْبدر في وجهه كُلُـوح		حين اجتَدى[2] الشمس في الشعاع

---

* تخريج البيت المفرد رقم (122)، ورد في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص103. وقدم له بقوله: "وقوله".
- ابن سعيد، المغرب، 146/2.

* * * *

(1) البيت في ابن سعيد، المغرب، 146/2:

1. إن غُيبتْ شَمسه فَالْبرقُ مهجتُه		وقلْبه البرقُ والأمطار مدمعه

* تخريج النتفة رقم (123)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص102. وقدم لها بقوله: "وقوله".

* * * *

(2) اجتدى: سألَ العطاء أو المعروف؛ اللسان: مادة جدي.

-124-

في الوصف

وقال يصفُ بركة الفيل بالفسطاط*:

(البسيط)

1. انْظُرْ إلى بِركة الفيل التي فَجرتْ   لَها الغَزالةُ فَجرا من مطَالِعها[1]
2. وخَل طَرفَك مجنُونـًا ببهجتـها   يهيم وجدا وحبـًا في بدائِعـها

-125-

في الإخوانيات

وكتب إلى ابن عمه يودعه*:

(الطويل)

1. وداع كما ودعتَ فَصـلَ ربيـع   يفُض[2] ضلُوعي أو يفيض دموعي
2. لَئِن قيلَ في بعضٍ يفَارِقُ بعضه   فَإني قَـد فَـارقْتُ منْـك جميـعي

---

* تخريج النتفة رقم (124)، وردت في:

- ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص27. وقدم لها بقوله: " ونظرتُ إليها وقد قابلتها الشمس بالغُدوة ففاتُ".
- المقري، نفح الطيب، 107/3.

* * * *

(1) فَجرتْ: شَقتْ. الغزالة: الشمس؛ اللسان: مادة فَجر، وشَمس.

* تخريج النتفة رقم (125)، وردت في:

- المقري، م.س، 89/3. وقدم لها بقوله: "وقوله في وداع ابن عمه وكتب بهما إليه".

* * * *

(2) يفض ضلوعي: يكسرها؛ اللسان: مادة فضض.

قافية الفاء

-126-

في الوصف

وقال يصفُ حماةَ*:

(الطويل)

1. حمى اللهُ من شَطي حمـاةَ منَـاظرا وقَفْتُ علَيها السمع والْفكْر والطرفَا
2. تُغَـنـي حمـام أَو تَميـلُ خَمـائِـلٌ وتُزهى مبانٍ تَمنَح الواصفَ الوصفَا
3. يلُومون أَن أَعصي التصون[1] والنهى بِها وُأطيع الكْأس واللهـو والقَصفَا
4. إِذا كان فيها النهر عاصٍ[2] فَكيـفَ لا أُحاكيه عصيـانًـا وأَشْربها صرفَا
5. وَأَشْدو لَدى تلْك النـواعيـرِ شَدوها وَأَغْلبـها رقْصـًا وُأشْبِهـها عَرفَا
6. تَئِـن وتُذْرِي دمـعـها فَكَـأَنـهـا تَهيـم بِمـرآها وتَسأَلُها العـطْـفَا

---

* تخريج المقطعة رقم (126)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 89/3. وقدم لها بقوله: "وقوله أيضا في حماة". ومدينة حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات، واسعة الرقعة، يحيط بها سور محكم، وبها جامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي، وفي طرف المدينة قلعة عظيمة، وهي مدينة قديمة جدا وقد ذكرها امرؤ القيس في شعره. ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، 300/2.
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، 806/2-807. وقدم لها بقوله" وفي هذه المدينة ونهرها ونواعيرها وبساتينها، يقول الأديب الرحال نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي العماري الغرناطي نسبة لعمار بن ياسر -رضي الله عنه-".

* * * *

(1) التصون: الحفظ؛ اللسان، مادة صون.

(2) عاصٍ: أراد نهر العاصي الذي يمر بحماة، وسمي بذلك لأنَّه يسير بالاتجاه المعاكس لأنهار العالم، وقيل: لأنه يخرج من بلاد الإسلام ويدخل إلى بلاد الكفر. ينظر: ياقوت الحموي، م.س، 162/1. والصواب أن يقول: (عاصيا) ولكن الوزن ينكسر.

-127-

في الحنين

وقال متشوقًا إلى الجزيرة الخضراء*:

(الطويل)

1. رعى الله أياما إذا سر غَيرها فإن سروري بعـدها متكلـفُ

-128-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(مجزوء البسيط)

1. لا خَيب اللهُ أجر عيسى فكم يداني إلفـًا من ألف
2. يقْرِن هذا بذَاك فضـلاً كأنه الدهـر واو عطْف

-129-

في المدح

وقال مادحا *:

(الطويل)

1. كأنك لم تَجلُ القَتَام وقَد دجا بِشُهبٍ عوالٍ أو ببروق سيوف

---

* تخريج البيت المفرد رقم (127)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 243/1. وقدم لها بقوله: "فأقمنا بها مدة في عيشٍ يجب ذكره والحنين إليه، وفيه أقول".

* تخريج النتفة رقم (128)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 146/2. وقدم لها بقوله: "وقوله".

* تخريج البيت المفرد رقم (129)، ورد في:

- ابن سعيد، م.س، 146/2. وقدم له بقوله: "وقوله".

قافية القاف

-130-

في الخمريات

وقال في الخمر*:

(الطويل)

1. يلُومونَني أن شبتُ في الخَمرِ ضلة[1] وَأني إذا وافى المشيـب بِها أحـقْ

2. إذا شَاب رأسُ الليـل بِالفَجـرِ قَربتْ لَه أكْؤُس الصهباء من خَمرة الشفَقْ

-131-

في الغزل

وقال متغزلاً*:

(الطويل)

1. وهبـتُ فُؤادي لِلْمبـاسمِ والْحدقْ[2] وحكمـتُ في جفْـني الْمـدامع والأرقْ

2. ولمْ أستـَطع إلا الـوفَاء لِغَـادرٍ ويا ليْـتَـني لمـا وفَـيـتُ لَـه رفَـقْ

3. ومن أجلـه قَد رق جِسمي صبابـةً ويـا ليْـتَـه لَـمـا رآه علَـيـه رقْ

4. متَى أشْتَكي فَيض المـدامع قَالَ لِي خلافُـك قَـد قاسى المـدامع والْحـرقْ

5. إذا لاح في المحمر فَالْبدر في الشفَقْ وإن لاح في المخْضر فَالْغُصن في الورقْ

6. تُحـمـلُه أردافُـه فَـوقَ طَـاقَـة ومن هيـف لَو شَـاء بِالْخَـاتَمِ انْتَـطَـقْ

7. فَيـا عاذِلي فيـما جنَـتْـه لِحاظُـه أَتَعـذُلُنـي والسيفُ لِلْعـذْلِ قَد سبـقْ[3]

---

* تخريج النتفة رقم (130)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص99. وقدم له بقوله: "وقوله".

* * * *

([1]) فلان يلومني ضلة: إذا لم يوفق للرشاد في عذله؛ اللسان: مادة ضلَلَ.

* تخريج القصيدة رقم (131)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 147/2. وقدم له بقوله: "وقوله من قصيدة".

* * * *

([2]) الحدقُ: جمع حدقة، وهي السواد المستدير وسط العين؛ اللسان: مادة حدقَ.

([3]) في هذا البيت تضمين من المثل العربي: (سبق السيفُ العذل)، والمثل لضبةَ بن أد، كان له ابنان؛ أحدهما سعد، والآخر سعيد، خرجا في طلب إبلٍ له، فلحقها سعد فرجع بها ولم يرجع سعيد، ثم خرج ضبةُ يسير في الأشهر الحرم ومعه الحارث بن كعب، فمرا على سرحة، فقال الحارث: لقيت بهذا المكان شابا من صفته كذا فقتلته وأخذت بردا كان عليه وسيفًا، فقال ضبةُ: أرني السيف، فأراه فإذا هو سيف سعيد. فقتل ضبةُ الحارثَ، فلامه الناس وقالوا: قتلت في الشهر الحرام! فقال: سبق السيف العذل، فأرسلها مثلاً. ومعناه قد فرط من الفعل ما لا سبيل إلى رده. ينظر: أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، 377/1.

-132-

في الوصف

وقال يصفُ روضةً في جلق*:

(الكامل)

1. للهِ من أقْطَارِ جِلِقَ روضةٌ راقَتْ لنَا حيثُ السحاب يراقُ
2. وتلَونَتْ أزهارها فكأنمـا نزلَتْ بها الأحباب والعشـاقُ

-133-

في الحنين

وقال في الحنين إلى مواطن الصبا*:

(الكامل)

1. أنَا من علمـتُ يشَوقه ذكْر الحمى وتُساقُ روحي والركاب تُساقُ[1]
2. أخْلَصـتُ في حبي وكم من عاشق في ما ادعاه من الغَـرامِ نفَـاقُ
3. يدعو الحمام وتَرقُص الأغْصان من طَربٍ بهـم وتُصـفـقُ الأوراقُ
4. وحدي جمعتُ من الهوى مثْلَ الذي جمـعـوا كذَاك تُقَسـم الأرزاقُ

---

* تخريج النتفة رقم (132)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 104/3. وقدم لها بقوله: "وقال". وجلق: قريةٌ من قرى دمشق، وأصلها أعجمي. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 154/2.

* * * *

* تخريج المقطعة رقم (133)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، م.س، 104/3. وقدم لها بقوله: "وقال".

* * * *

([1]) الركاب: الظعن التي تحمل المرأة؛ اللسان: مادة ركب.

-134-

في الوصف

وقال يصفُ نَوار الكتان*:

(البسيط)

1. انْظُرْ إلى النهرِ والْكتان يرمقُه[1] من جانبيه بأجفَانٍ لها حدقُ
2. رأَتْه سيفًا عليه للصبا شُطَب[2] فقَابلَتْه بأحداقٍ بها أرقُ
3. وأصبحتْ في يد الأرواحِ تَنْسجها حتى غَدتْ حلَقًا من فَوقها حلَقُ
4. فقُم وزرها ووجه الأرض متضح أو عنْد صفْرته إن كُنْتَ تَغْتَبِقُ[3]

-135-

في المدح

وقال مادحا*:

(الطويل)

1. فَلا تُنْكرن صوب الدماء إذَا دجتْ سحاب قَتَامٍ والسيوفُ بوارِقُ

---

* تخريج المقطعة رقم (134)، وردت في:

- ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص26. وقدم لها بقوله: "وقلتُ في نوار هذا الكتان على جانبي هذا الخليج".
- المقري، نفح الطيب، 106/3. وقدم لها بقوله: "وقلتُ في نَوارِ الكتان على جانبي الخليج".

* * * *

(1) يرمقه: يتابعه بالنظر إليه؛ اللسان: مادة رمقَ.

(2) الشطَب: جمع شُطبة، وهي عمود السيف وحده؛ اللسان: مادة شَطَب.

(3) البيت في المقري، م.س، 106/3:

قُم تَزرها ووجه الأرض مصطَبح أو عنْد صفْوته إن كُنْتَ تَغْتَبِقُ

الاصطباح: الشُرب وقت الصباح. تغتبقُ: تشرب بالعشي، وغالبا يكون للبن؛ اللسان: مادة صبح، وغَبقَ.

* تخريج البيت المفرد رقم (135)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 146/2. وقدم له بقوله: "وقوله".

-136-

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(البسيط)

1. هلا نَظَـرتَ إلى الأغْصانِ تَعتَـنِقُ   ظَلَّـتْ تُلاقي غَراما ثُم تَفْتَرِقُ
2. نَادِ الصبوحَ عسى في القَـومِ مغْتَنِم   يباكر الراح صبحـًا ثُم يغْتَبِقُ

ومنها

3. قَد زيـنَ اللهُ قُطْـرا أَنْتَ ساكنُـه   كما يزان ببدرِ الغَيهبِ الفَلَقُ(1)

* تخريج المقطعة رقم (136)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 146/2. وقدم له بقوله: "وقوله".

* * * *

(1) الغيهب: مفرد غياهب، وهي الظلمة. الفلق: الصبح؛ اللسان: مادة غهب، وفلَقَ.

- 137 -

في الوصف

وقال مشاركةً مع ابن يامن وأبي العباس الغساني في وصف شمعة*:

(الكامل)

1. ما بالُ شَمعتِـنَا كَقَـلْبي تَخْفُـقُ ... أبدا تَهيم كما أهيم وأعشَـقُ
2. أم زارها حادي النسيمِ بِسحرة[1] ... فَغَدتْ إلى لُقْيا المعانق تَعنقُ
3. عجبًـا لَها فَالْجِسم منْها فضـةٌ ... وجفُونُها ينْهـل منْها الزئْبَقُ
4. عريـانَةً وثيـابها في جوفهـا ... لكنـها من حرقَـة تَتَحـرقُ
5. زفتْ ظَلامـًا كَالْعروسِ يحلّيها ... لكنها عنْد الصـباحِ تُطَلّـقُ
6. تُفْني الديـاجِي وهي فَانيـةٌ بِها ... وبِمائِها أَيـان تُشْرِقُ تَشْرقُ
7. ما حقـها إذْ جمعتْ شَملَ الْمنَى ... أن يغْتَدي مثْـلٌ لَها يتَفَـرقُ
8. قَامتْ خَطيبـًا تَشْتَكي بِخُطُوبِها ... وبِنَقْلَة الْحالات أمستْ تَنْطقُ

---

* تخريج القصيدة رقم (137)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص54. وقدم لها بقوله: "ومما اشترك فيه مع الحاج ابن سعيد ومع أبي العباس الغساني، وتطابق الثلاثةُ فيه بمجالس الأنس تَطابقَ المثالث والمثاني، قولهم".

* * * *

([1]) السحرةُ: آخر الليل، وتبدأ من ثلثه الأخير إلى طلوع الفجر؛ اللسان: مادة سحر.

- 138 -

في الوصف

وقال يصفُ فُرساناً في معركة*:

(الكامل)

1. للهِ فُـرسـان غَـدتْ رايـاتُـهـم مثْلَ الطيورِ على عداك تُحلقُ
2. والسمر[1] تَنْقُطُ ما تَخُط سيوفُهم[2] والنقْع يترِب والدماء تُخَلقُ[3]

- 139 -

في الإخوانيات

وكتب إلى صاحب له عرفَ أنه شرب دواء*:

(الكامل)

1. هـنـئْتَ عاقبةَ الدواء فإنها تَصحيفُها[4] وبها الحياةُ تَروقُ
2. فالجـو يحسن صحوه إلا إذا هطَـلَتْ رعود بالحيا وبروقُ
3. يا شَمس آفاق المروءة لا بدا أبدا لِضدك في الزمانِ شُروقُ
4. وبقيتَ فَوقَ الحاسدين يمكّنَة أبدا على رغْمِ العـدو تَفُـوقُ

---

* تخريج النتفة رقم (138)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص103. وقدم لها بقوله: "وقوله".
- ابن سعيد، المغرب، 147/2. وقدم لها بقوله: "وقوله".
- المقري، نفح الطيب، 36/3. وقدم لها بقوله: "وقوله من قصيدة في ملك إشبيلية الباجي، وقد هزم ابن هود".

* * * *

([1]) في المقري، م.س، 36/3: والسمر.

([2]) في ابن سعيد، المغرب، 147/2، وفي المقري، م.س، 36/3: ما تُسطر بيضهم.

([3]) النقع: غُبار المعركة. يترب: يلصقُ التراب. تُخلق: تَصبغُ بالخَلوقُ وهو ضرب من الطيب الأحمر؛ اللسان: مادة نَقَع، وتَرب، وخَلَقَ.

* تخريج المقطعة رقم (139)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص3. وقدم لها بقوله: "وبعثَ إلى صاحبٍ من أصحابه وقد عرف أنه شرب دواء".

* * * *

([4]) أراد العافية، وهي تصحيف العاقبة.

-140-

في الوصف

وقالَ يصفُ يومَ وغى*:

(الكامل)

1. لو كُنْتَ حاضرنَا لَدى عرسِ الوغَى ومن النجيعِ على الكُماةِ خَلُوقُ[1]
2. والشمـس زهر والعشي حَديـقـةٌ والنبـلُ قَطْـر والسيوفُ بروقُ

-141-

في الغزل

وقالَ متغزلاً*:

(المتقارب)

1. أتى عاطلَ الجيدِ يومَ النوى وقد حانَ موعدنَا للفراق
2. فَقَلَّـدتُه بِلآلي الدمـوعِ ووشحتُه بِنطـاق العنَاق

---

* تخريج النتفة رقم (140)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص102. وقدم لها بقوله: "وقوله".

* * * *

([1]) النجيع: ما كان يضرب إلى السواد من الدماء. الخَلوقُ: نوع من الطيب الأحمر؛ اللسان: مادة نَجع، وخَلَقَ.

* تخريج النتفة رقم (141)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 106/3. وقدم لها بقوله: "وقال".

* * * *

-142-

في الحنين

وقال متشوقًا إلى حلب*:

(الخفيف)

1. حادي العيس، كم تُنيخُ المطايا سقْ فروحي من بعدهم في سياق
2. حلَب إنها مقرّ غرامي ومرامي وقبلةُ الأشْواق
3. لا خَلا جوسقٌ وبِطْياس والسعداء من كُل وابِلٍ غَيْداق(1)
4. كم بها مرتَع لِطَرف وقلْبٍ فيه يسقى المنَى بكأسٍ دهاق(2)
5. وتُغَني طيوره لارتياحٍ وتَثَنى غُصونُه لِلْعناق
6. وعلُو الشهباء(3) حيثُ استَدارتْ أنْجم الأفْق حولها كالنطاق

-143-

في الاستعطاف

وأنشد للملك الناصر صاحب حلب يستميحه بالسفر*:

(السريع)

1. بالله يا أكرم من قد رأتْ عينَاي بالْمغْربِ والْمشْرق
2. انْظُر لِقولي منْصفًا مفْكرا حينًا وعوقْ بعد أو أطْلِق
3. قضيتُ خَير الْعمرِ في أرضكُم فمتعوا أهلي بما قد بقي

---

* تخريج المقطعة رقم (142)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 89/3. وقدم لها بقوله: "ومن نظمه رحمه الله تعالى في حلب قوله".
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، 809/2. وأورد منها ثلاثة أبيات هي: (1-3). وقدم لها بقوله: " وقال فيها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي العنسي"

* * * *

(1) جوسق وبطياس والسعداء: أسماء مواضع بحلب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 184/2، 450/1. الوابل: المطر الشديد. الغيداق: المطر الغزير؛ اللسان: مادة وبلَ، وغَدقَ.

(2) الكأس الدهاق: المترعة الممتلئة؛ اللسان: مادة دهقَ.

(3) الشهباء: هي مدينة حلب؛ ابن مصطفى الدمشقي، اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء)، 209/1.

* تخريج المقطعة رقم (143)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص8. وقدم لها بقوله: "...فكتب إليه في ذلك جملةً من المقطعات، فلم يفتح له في السفر بابا، إلى أن حضر عنده فأنشده".

-144-

في الوصف

وقال يصف ليلةً*:

(الكامل)

1. أَأَمَ الخَليج[1] أَتَذْكُرن بِكِ لَيلَةً   أَفْنَيتُ فيها من عقَافي ما بقـ ـي
2. والليلُ بحر مزبِد[2] بِنُجومه   والسحب موج والهلالُ كزورق

---

* تخريج النتفة رقم (144)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص102. وقدم له بقوله: "ومن استقصاءاته قوله". وأورد بيتًا واحدا فقط، هو البيت الثاني.
- ابن سعيد، المغرب، 147/2. وقدم لها بقوله: "وقوله". وقد أورد النتفة كاملة.

* * * *

([1]) يقع في القاهرة.

([2]) مزبد: مائج يقذفُ بالزبد؛ اللسان: مادة زبد.

قافية الكاف

-145-

في الرثاء

وقال في الملك المعظم ابن الصالح*:

(الكامل)

1. لَيثَ المعظم لم يسـر من حصنه يومـًا ولا وافَى إلى أملاكـه
2. إن الطبائِع [1] إذْ رأَتْه مكمـلاً حسدتْه فَاجتَمعتْ علَى إهلاكه

---

* تخريج النتفة رقم (145)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص8. وقدم لها بقوله: "وقال في الملك المعظم ابن الصالح ابن الكامل، وكان لما مات أبوه صاحب مصر استدعي من حصن كيفا، ومكن من ملْك أبيه بالشام ومصر، وهزم الفرنج الهزيمة العظمى على دمياط، ثُم اضطربتْ أحواله عقيب ذلك مع الأتراك، فقتلوه بين الغرق والحرق والتراب في حكاية عجيبة". وحصن كيفا: ويقال كيبا، بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 265/2.
- المقري، نفح الطيب، 66/3-67. وقدم لها بقوله: "وقال: لما سار المعظم من حصن كيفا، وآل أمره إلى الملك، ثم القتل والهلاك".

* * * *

([1]) في المقري، م.س، 67/2: العناصر.

قافية اللام

-146-

في الوصف

وقال في الشعر*:

(الوافر)

1. وخَير الشعرِ ما أُولاه تَبدو كأسحارٍ وآخـ ره أَصائِلْ[1]

-147-

في السخرية

وقال يسخر من أحدهم*:

(الرجز)

1. نَحنَح زيد وسعلْ لَما رأى وقْع الأسلْ[2]

---

* تخريج البيت المفرد رقم (146)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 148/2. وقدم لها بقوله: "وقوله".

* * * *

([1]) الأسحار: جمع سحرٍ، وهو قبيل الصبح. الأصائلُ: جمع أصيل، وهو العشي؛ اللسان: مادة سحر، وأَصلَ.

* تخريج البيت المفرد رقم (147)، ورد في:

- المقري، نفح الطيب، 294/2.

* * * *

([2]) الأسلُ: نباتٌ له أغصان كثيرة دقيقة بلا ورق تُصنع منه الرماح ؛ اللسان: مادة أَسلَ.

-148-

في الوصف

وقال في وصف الورد*:

(المتقارب)

1. دع اللحظَ يسرح يورد الخَجلْ   فقد منَعـتْه سيـوفُ المقـلْ
2. وكم أغْصـنٍ قـد نعمـنَا بها   ومن بعد ذَلك عادتْ أسلْ[1]
3. وكم دن خَمرٍ[2] طـربنَا بِـه   وعدنَا لَه فَوجدنَـاه خَـلْ[3]

-149-

في الوصف

وقال يصف تونس*:

(المتقارب)

1. مازلْتُ أضرب في الخَافقَين[4]   أروم البِلاد وأرعى الدولْ
2. إلى أن رجعـتُ إلى تُونُـسٍ   محل الإمامِ وأقْصى الأملْ
3. فَقُـلْتُ البِلاد لِهـذي قـرى   وقُلْتُ الأنَام لِهذَا خَـولْ[5]

---

* تخريج المقطعة رقم (148)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص99. وقدم لها بقوله: "وقوله". وأودر منها البيتين: (3،2) فقط.
- ابن سعيد، المغرب، 147/2-148. وقدم لها بقوله: "وقوله". وأورد المقطعة كاملة.

* * * *

([1]) في ابن سعيد، رايات المبرزين، ص99: عَدتْ أسلاً. والأسلُ: نباتٌ له أغصان كثيرة دقيقة بلا ورق تُصنع منه الرماح؛ اللسان: مادة أسلَ.

([2]) في ابن سعيد، رايات المبرزين، ص99: ويا رب دن.

([3]) الدن: وعاء الخمر. الخل: ما حمض من عصير العنب وغيره؛ اللسان: مادة دنَن، وخَلَلَ.

* تخريج المقطعة رقم (149)، وردت في:

- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 134/4. وقدم لها بقوله: "واتصل بخدمة الأمير أبي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوته، وقال عند اتصاله به لحين قدومه".

* * * *

([4]) الخافقان: المشرق والمغرب؛ اللسان: مادة خَفَقَ.

([5]) الخَولُ: الحشم والأتباع؛ اللسان: مادة خَولَ.

-150-

في الوصف

وله في وصف حراقة*:

(مجزوء الكامل)

1. يالله محيي الدين يا — من ظله أبداً ظليلْ
2. انْظُرْ إلى شَفَق على — فَلَق يطير به أصيلْ

-151-

في الوصف

وقال في الجزيرة الصالحية بمصر*:

(الطويل)

1. تأملْ لِحسنِ الصالِحيةِ إذْ بدتْ — مناظرها [1] مثْلَ النجومِ تلالا
2. ولِلْقَلْعة الغَراء كالْبدرِ طَالِعاً — تَفَجر صدر الماء عنْه هلالا
3. ووافَى إليها النيلُ من بعد غَايةٍ — كما زار مشْغُوفٌ يروم وصالا
4. وعانَقَها من فَرط شُوق بحسنها[2] — فَمد يميناً نَحوها وشمالا
5. جرى قَادما بالسعد فَاخْتَط حولَها — من السعد إعلاماً بِذَاك دالا

---

* تخريج النتفة رقم (150)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص9. وقدم لها بقوله: "وله وقد دخل نهر دجلةَ ببغداد راكبا في حراقة، مع زعيمٍ من زعماء دولة بغداد، يقال له محيي الدين، فقال وقد نظر إلى حمرة الحراقة وصفرة قلعها وسرعة جريها". والحراقة: بفتح الراء وتشديدها، ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر؛ الأزهري، تهذيب اللغة، 85/14؛ اللسان: مادة حرقَ.

* تخريج المقطعة رقم (151)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 36/3. وقدم لها بقوله: "وقوله في الجزيرة الصالحية بمصر، وهي الشهيرة الآن بالروضة". والجزيرة الصالحية: أو الروضة، أنشأها السلطان الصالح نجم الدين أيوب، قبالة الفسطاط، وبنى بها قلعةً عظيمة. ينظر: المقريزي، السلوك، 405/1.
- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 105/3. وأورد منها ثلاثة أبيات، هي: (1، 3-4). وقدم لها بقوله: "وقال في جزيرة مصر".

* * * *

([1]) في ابن شاكر الكتبي، م.س، 105/3: وأبراجها.

([2]) في ابن شاكر الكتبي، م.س، 105/3: محبها.

-152-

في الوصف

وقال يصفُ مجلسا لفخر الدين الدامغاني بين نهر الأيلة ونهر معقل*:

(المجتث)

1. ما بين نَهرِ الأيله ونَهرِ معقـ ل حله
2. قد حلها كُل جود وأمهـا كُل ملـه
3. بدتْ لديها بدور دارتْ عليها أهله
4. يمم ذُراها لِتَلْقَى بِأُفقها المجد كُله

-153-

في الوصف

وقال يصفُ مجلسا*:

(المجتث)

1. يا أيها المبـ تَدي قبـ ـلَ أن نُسائِلَ فَضلَه
2. ماذَا تَـ رى في نَعـ يمٍ خَلا من الأُنْسِ جمله
3. لا تَضحك الكَـ أس فيه وينْظم الشرب شَمله
4. ولا يـ هـ ز سـ مـ اع لا يعدم الطيب مثْله
5. وكُـ ل وجـ ه مليـ حٍ يزويـ ه بدر لِعـ له
6. لو كان يرتَاح بِالسرا حِ لم يضـ ن بقُبـ له

---

* تخريج المقطعة رقم (152)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص155. وقدم لها بقوله: "إنا لما وصلنا إلى البصرة حللنا بين نهر الأبلّة ونهرِ معقل، وضرب الصاحب هناك خيمة، وفيها ماء يرتفع ويدور كالأهلة يرسم الجلوس للناس، وجاءه الوافدون من المسلمين والنصارى والمجوس والصابئة، فسنح لي القولُ فأنشدتُه". ونهر الأبلة: نهر في البصرة، حفره زياد بن أبيه زمن خلافة عثمان بن عفان، رضي الله عنه. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 77/1. ونهر معقل: نهر في البصرة، حفره معقل بن يسار المزني بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، فنُسب إليه. ينظر: ياقوت الحموي، م.س، 324/5.

* تخريج المقطعة رقم (153)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص155-156. وقدم لها بقوله: "فأنشدته تمام الشعر لما دعا ذاك المنظر العجيب إلى ما يشتاق إليه الأديب". ويعني بالكلام ابن الدامغاني.

-154-

في الهجاء

وقال يدعو على أحدهم*:

(الخفيف)

1. كم جفَاني ورمتُ أَدعو علَيه   فَتَوقفْـ تُ ثُم نَاديتُ قَائِلْ

2. لا شَفَى اللهُ لَحظَه من سقَامٍ   وأَراني عذَاره وهو سائِلْ

-155-

في المدح

وقال يمدح أبا عبد الله بن الأحمر*:

(الطويل)

1. لِمثْلك تَنْقَاد الجيوشُ الجحافلُ   وتُذْخَر أَبنَاء القَنَا والقَنَابِلُ

---

* تخريج النتفة رقم (154)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 30/3. وقدم لها بقوله: "وله أيضا".

* تخريج البيت المفرد رقم (155)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 88/2. وقدم له بقوله: "وهو إلى الآن بها مثاغرا لعساكر النصارى الكثيرة بدون ألف فارس، وهو من عجائب الدهر في الفروسية، والإقدام، والسعادة في لقاء العدو. ويفهم الشعر، ويكثر مطالعة التاريخ، وقد ملك إشبيلية وقتل ملكها المعتضد الباجي، وكنت حينئذ هناك وأنشدته قصيدةً أولها". وأبو عبد الله بن الأحمر هو: أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الأحمر المرواني، (ت 671هـ)، كان مؤيدا فلم تُكسر له رايةٌ قط، ظهر في بداية أمره من قرية أرجونة، ثم انتزع الملك من ابن هود، واستمرت ولايته اثنتان وأربعون سنة إلى أن توفي رحمه الله": ترجمته في: ابن سعيد المغربي، المغرب، 88/2؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، 216/2؛ ابن خلدون، العبر، 220/4.

في المدح

وقال يمدح أحدهم*:

(البسيط)

1. أدر كؤوسك إن الأفقَ في عرسٍ وحسبنا أنْتَ، ترعى حسنَك المقَـلُ
2. البرقُ كف خضيب والحيا[1] درر والأفْقُ يجلى وطرفُ الصبح مكْتَحلُ

-157-

في الاستعطاف

وقال يستعطف أمير تونس أبا عبد الله المستنصر*:

(الرمل)

1. يا غزالاً في الحشَا منْزِلُه ويعيـني دائِمـًا منْهـلُـه
2. لا ترعني[2] بالجفَا ثانيةً ما بقي في الجِسمِ ما يحملُه

* تخريج النتفة رقم (156)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص102. وقدم لها بقوله: "وقوله".
- ابن سعيد، المغرب، 147/2. وقدم له بقوله: "وقوله".

* * * *

([1]) الحيا: المطر؛ اللسان: مادة حيا.

* تخريج النتفة رقم (157)، وردت في:

- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 134/4-135. وقدم لها بقوله: "فكتب إليه".

* * * *

([2]) ترعني: تُخيفني وتُفزعني؛ اللسان: مادة روع.

-158-

في الوصف

وأنشد لابن الصفار في الشيب*:

(الوافر)

1. وقَائِلَة أَراكَ علَى التصابِي ... وغُصن العُمرِ دب بِه الذبولُ
2. وهذا الشيب أَنْجمه أَنَارتْ ... وطَالعها لِصاحبِهـا أُفُـولُ
3. فَقُلْتُ لَها ودمع العينِ مني ... علَى تلْك النجـومِ له مسيلُ
4. أَصيلُ العمرِ أَتْركُه ضياعا ... إِذ الأوقَاتُ أَطْيبـها الأَصيلُ

-159-

في الوصف

وقال يصفُ طقسا عاصفًا*:

(الكامل)

1. قُم سقني شَفَقَ الشمولِ[1] بِسحـرة ... فَكأَنما شَفَـقُ الصباحِ شَمولُ
2. والْبرقُ قُضب والسحـاب كَتَائِب ... والْقَطْر نُبلٌ والرعـود طُبولُ
3. فَلْتُعذَرِ[2] الأَنْهـار في تَدرِيعها[3] ... ولْتُعذَرِ[4] الأغْصان حين تَميلُ

---

* تخريج المقطعة رقم (158)، وردت في:

- ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص54. وقدم لها بقوله: "وأنشدني قوله:.... فلم أُبد له ما يعهده من الارتياح إذا أغرب علي بمعنى. فسألَ عن سببِ ذلك. فقلتُ له: لأني قلتُ، ولم أُسمعه:" وابن الصفار هو: جلال الدين الماريديني علي بن يوسف ابن شيبان والمعروف بابن الصفار الدنَيسري، عاش ما بين (575 و658هـ)، ومات مقتولا، قتله التتار لما دخلوا ماردين سنة 658هـ. خدم بكتابة الإنشاء لأرتق صاحب ماردين، وكان شاعرا مجيدا، صنف كتابا يحتوي على آداب كثيرة سماه كتاب "أنس الملوك"؛ ترجمته في: الذهبي، تاريخ الإسلام، 351/48؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 166/2؛ صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 216/22.

* تخريج المقطعة رقم (159)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص102. وقدم لها بقوله: "وقوله".
- ابن سعيد، المغرب، 147/2. وقدم لها بقوله: "وقوله"

* * * *

([1]) الشمول: الريح التي تهب من جهة الشمال؛ اللسان: مادة شَملَ.

([2]) في ابن سعيد، المغرب، 147/2: ولْتُعذَر.

([3]) تدريعها: يراد تتّخذُ دروعا؛ اللسان: مادة درع.

([4]) في ابن سعيد، المغرب، 147/2: وكذلك.

-160-

في الوصف

وقال يصفُ واديا*:

(الوافر)

1. بوادي رية عرج فإني ... رأَيتُ الحسن عنْه لا يميلُ
2. وهات الخَمر صرفًا دون مزجٍ ... بحيثُ الماء والظل الظليلُ
3. غَدا متَقَسمًا في كُل وجه ... كما سلتْ على خَز نُصولُ
4. تَجولُ لَواحظي ما دمتُ فيه ... بحيثُ تَرى مذَانبه تَجولُ

---

* تخريج المقطعة رقم (160)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 348/1. وقدم لها بقوله: "وعلى مذانبه المتفرعة كسبائك اللجين ما ترتاح بمرآه النفس والعين، وفيه أقول".

-161-

في الغزل بالمذكر

وقال متغزلاً في غُلام مشاركةً مع عبد الله بن ثابت*:

(مخلع البسيط)

ابن ثابت 1. هذا هو المنْطقُ الجميلُ فَكُـل قَلْـبٍ لَـه يميـلُ

ابن سعيد 2. قَد حالَ بيني وبين عقْلي

ابن ثابت أفي الْهوى تُطْلَب العقُولُ؟

-162-

في الوصف

وقال يصفُ النرجس*:

(السريع)

1. يا واطىء النرجِسِ، ما تَستَحي أن تَطأَ الأعين بالأرجل؟(1)

2. قَابِلْ جفُـونـًا بجـفُـونٍ ولا تَبتَـذل الأرفَع بالأسـفَـل

---

* تخريج النتفة رقم (161)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص167. وقدم لها بقوله: "بينما أنا معه ذات يوم بالجزيرة الخضراء في موضع إقرائه، إذ مر بنا غُلام يميس في برود شبابه كالغصن في ورقه وأندائه، فقال". ولابن ثابت في هذه النتفة الأشطر: 1، 2، 3، ولابن سعيد الشطر الثالث فقط. وابن ثابت هو: أبو عبد الله محمد بن ثابت أستاذ الجزيرة الخضراء بالأندلس، وأحد أُدبائها الكبار: ترجمته: ابن سعيد، اختصار القدح، ص167.

* تخريج النتفة رقم (162)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 36/3. وقدم لها بقوله: "وقال ارتجالاً بمحضر زكي الدين بن أبي الإصبع وجمال الدين أبي الحسين الجزار المصري الشاعر، ونجم الدين بن إسرائيل الدمشقي بظاهر القاهرة، وقد مشى أحدهم على بسيط نرجس".
- المقري، م.س، 38/3. وقدم لها بقوله: "ثم ناب عن أبيه في أعمال الجزيرة، ومازج الأدباء، ودون كثيرا من نظمه، ودخل القاهرة، فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها، وانتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس، وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجله، فقال أبو الحسن".
- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 106/3.
- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 131/4. وأورد البيت الأول فقط. وقدم له بقوله: " ودخل القاهرة، فصنع له أدباؤها صنيعا في ظاهرها، وانتهت بهم الفرجة إلى روض نرجس، وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجله، فقال أبو الحسن".

* * * *

(1) البيت في لسان الدين، م.س، 131/4، وابن شاكر، م.س، 106/3:

يا واطىء النـرجِـسِ بالأرجـل ما تَستَحي أن تَطأَ الأعين بالأرجل

-163-

في الوصف

وقال يطلب الدخول على فخر الدين ابن الشيخ*:

(مخلع البسيط)

1. ماذا ترى في دخُول من لا يروم شَيْئًا سوى الدخُول
2. تَحصيـلُ جاه وكَف بـاغٍ والأمـر للهِ في القَبـول

-164-

في الوصف

وقال يصفُ جبهة *:

(الرمل)

1. إن لِلْجبهة في قَلْبِي هوى لم يكُن عنْدي لِلْوجه الجميل
2. يرقُص الماء بها من طَربٍ ويميلُ الغُصن للظل الظليل
3. وتود الشمس لو باتَتْ بها فَلذَا تَصفَـر أوقاتَ الأصيل

---

* تخريج النتفة رقم (163)، وردت في:

- ابن سعيد، الغصون اليانعة، ص85. وقدم لها بقوله: "وولعتُ بحفظ هذين البيتين، واحتجتُ مرةً إلى طلب الإذن على فخر الدين ابن الشيخ، نائب السلطنة بالديار المصرية، فكتبتُ إليه: ...، فخرج في الحال حاجبه وقابل بما يليق بمكارمه، وجعل يستحسن: "والأمر للهش في القَبول" ويكررها". وفخر الدين هو: الأمير فخر الدين يوسف ابن الشيخ صدر الدين محمد بن حمويه الجويني الزاهد العابد، (ت 648هـ)، انتُدب ملكًا بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب لكنه رفض، واستشهد بعدها على يدي الفرنجة قبل وصول توران شاه إلى مصر في ذي القعدة من تلك السنة: ترجمته في: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 36/10؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 86/7؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 178/13.

* تخريج المقطّعة رقم (164)، وردت في:

- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 105/3. وقدم لها بقوله: "وقال".

قافية الميم

-165-

في الحنين

وقال يخاطب أحبته*:

(السريع)

1. أحبتي عنْد اتصالي بِكُم   قَطَعتُم وصلي كفعل الحسام
2. فإن نأيتُم عنْد مزجِي بِكُم   تشَتَتَ العقْلُ بمزج المـدام

-166-

في المدح

وقال يمدح الرئيس أبا عثمان بن حكم*:

(الرمل)

1. إنما شعر الرئيس ابن حكم   بِدع من كُل فضـلٍ وحكـم
2. لو بنُو حمدان أصغَوا نحوه   حمدوا البحر الذي فيه انْتَظَم

---

* تخريج النتفة رقم (165)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص100. وقدم لها بقوله: "وقوله".

* تخريج النتفة رقم (166)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص28. وقدم لها بقوله: "ولما عدتُ لهذه الحضرة العلية وقفتُ على محاسن من شعره عند رسوله، فكتبتُ عليها ما عرضه علي فضلُه فكان مفتاحا لقبوله". وابن حكم هو: الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكمٍ بن عمر بن حكم القرشي، (600-680هـ) ولد في طَبيرة غرب الأندلس، وهو شاعر مجيد، ومحدث وأديب وكاتب، نزل جزيرة منورقة وكان حسن السياسة فقدمه أهلها وأمروه عليهم وبذلك سمي رئيسا: ترجمته في: ابن الأبار، الحلة السيراء، 318/2؛ ابن سعيد، اختصار القدح، ص28؛ صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، 132/15.

-167-

في المدح

وقال يمدح أبا زكريا الحفصي ملك إفريقية*:

(الوافر)

1. وقد أرسلْتَه نَحو الأعـادي كما جردتَ من غمد حساما

-168-

في الإخوانيات

وقال يدعو لصاحبه ابن سهل الإسرائيلي*:

(الطويل)

1. وإني لأرجو أن تكُون وفَاتُه على ملة الإسلامِ كيما يسلَما
2. وَأَلْقَاه في جنات عدنٍ مخَلدا فليس بِأهلٍ أن يحـل جهنما

* تخريج البيت المفرد رقم (167)، ورد في:

- المقري، نفح الطيب، 37/3. وقدم له بقوله: "وقوله من أبيات في ملك إفريقية وقد جهز ولده الأمير أبا يحيى بعسكر".

* تخريج النتفة رقم (168)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص74. وقدم لها بقوله: "ولما وصل أظهرتُ استحسان خطابه، مع سرعة جوابه؛ ثم أنكرتُ عليه منتزع بيته الأخير، ولدغته من الملامِ بيسير، فقال: أليس في الجنة نهر الخمر؟ قلتُ: بلى. قال: فذاك حسبي لا أبتغي به بدلاً، ولا أُريد لبنًا ولا عسلاً. فقلت: بحرمة ما بيننا إلا ما أزلتَ عني شك الناسِ فيكم؛ وصدقتني هل أنتم على دين أسلافكم أو دين المسلمين؟ فقال: للناس ما ظهر، ولله ما استتر؛ وبعد فهذا خلاف ما نحن فيه، فأضربتُ عن مناقشته ولم أقف له على ما أُثبته أو أَنفيه".

-169-

في الحنين

وكتب إلى أبي العباس الغساني متشوقًا إليه*:

(الكامل)

1. أَطْلَعْـتَ في لَيل التشَوق أَنْجمًـا ... لَمـا بعثْـتَ مسـائِلاً ومسـلـما
2. لَولا كتَـابك ظَلْـتُ فيه حائِـرا ... حيثُ اتجهتُ رأَيتُ جنْحـًا مظْلما
3. وافَـى وأُوْقـي حـالِك فَأَنَـاره ... وأُوام[1] شَوقي مؤْلم فَشَفَى الظما
4. أَودعتُـه قَلْـبي فَفَـاح نَسيمـه ... فَكَأَنمـا نَور[2] بِجـمرِ ضـرمـا
5. فَرددتُـه في نَاظـري فَكَـأَنمـا ... زهر الريـاضِ سقَيـتَه ماء السما
6. فَرددتُـه في مسمـعي فَكَأَنمـا ... طَيـر أَمالَ الغُصن حيـن ترنـما
7. ما طرسـه[3] إلا كجـمرٍ ساطعٍ ... رقَـم العـذَار بِصفْحتَـيه أَرقَـما
8. عهدي بِصـدرك مثْلُ بحرٍ زاخرٍ ... لا غَرو أَن أَرسلْـتَ درا نُظـمـا
9. عهدي بِكَفِـك مثْلُ غَيـث هاطلٍ ... لا غَرو أَن أُهديتَ زهرا نُمـنـما
10. إِيـه أَبا العبـاس بعـدك لَم أَزلْ ... مهـما تُـدر مشْمـولَةٌ[4] متَجهما
11. متَمنعـًا من شُربِهـا إِذْ خلْتُـها ... سمـًا إِذَا خلْـتَ كَأْسـك علْقَـما
12. ولَقَد بكَيتُ فَلَم أَجِد في الجفْنِ ما ... أَبكي بِه إِن[5] كُنْـتَ أُبكيتَ الدما
13. ولَقَد علمـتُ بِأَن شَوقَـك جاذب ... مهـما رأَيتَ مكَـاني المتَـوهـما
14. أَو ما تَدل علَى الوفَـاء رِسـالَةٌ ... قَطَعتْ علَى حال التقَاطُعِ خضرما[6]

---

* تخريج القصيدة رقم (169)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص163-164. وقدم لها بقوله: "أبو العباس الغساني، كتب إلي من حضرة تونس إلى المشرق قصيدة منها هذه القلائد: ... فجاوبته". وأورد اثني عشر بيتًا هي: (1-12).
- ابن سعيد، اختصار القدح، ص5. وقدم لها بقوله: "ووصله من تونس إلى المشرق قصيدةٌ من الأخ الأود أبي العباس الغساني، كاتب القلم الأعلى، فجاوبه بقصيدة، منها ما يقصر عن قوله حلاوة وانطباعا". وأورد اثني عشر بيتًا هي: (1-7، 10-14).

* * * *

([1]) الأُوام: شدةُ العطَش؛ اللسان: مادة أَوم.

([2]) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص5: نَد.

([3]) الطرس: الكتاب الذي محي ثُم كُتب؛ اللسان: مادة طَرس.

([4]) المشمولةُ: الخمر التي تضربها ريح الشّمال فتبرد؛ اللسان: مادة شَملَ.

([5]) في ابن سعيد، اختصار القدح، ص5: إِذْ.

([6]) الخضرم: البحر الواسع كثير الماء، والكثير من كل شيء؛ اللسان: مادة خَضرم.

-170-

في المدح

وقال يمدح أبا العباس الغساني*:

(الطويل)

1. سعيتُ إلى ذي الجود في حج فَضله فقَـابلني منْه القَبولُ الذي عمـا
2. وواعـدتُ نُعـماه صبيـحةَ جمـعة فوفَتْ تُباري في المبادرة السهما
3. وأسهمتُ فيما قد حوتْ جفْنَةُ(1) الندى بني جفْنَةَ(2) أبغي بها منْهم السلْما

-171-

في الوصف

وقال يصفُ حصانًا*:

(الطويل)

1. وأشْقَر مثل البرق لونًا وسرعةً قَصدتُ عليه عارِض الجود فانْهمى

---

* تخريج المقطعة رقم (170)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص11. وقدم لها بقوله: "وقال، لما أسهم منها الأخ المخاص أبو العباس الغساني، وخاطب بذلك المنعم بها".

* * * *

(1) الجفنةُ: أكبر ما يكون من القصاع؛ اللسان: مادة جفَن.

(2) بنو جفنةَ: قبيلة من الأزد، ويقال من اليمن، سكنوا الشام وكانوا ملوكًا عليها مدة ستمائة سنة، حيث بلغ عدد ملوكها اثنين وثلاثين ملكًا. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 338/2. وشبههم بهم الشاعر كرما وفضلاً.

* تخريج البيت المفرد رقم (171)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 148/2.

-172-

في الوصف

وقال في وصف الخليج الّذي بين مصر والقاهرة*:

(مخلع البسيط)

1. لا تَركبن في خَليج مصرٍ ... إلا إذَا ُأسـدلَ الظـلام
2. فَقَد علمـتَ الذي علَيـه ... من عالَمٍ كُلهـم طُغَام(1)
3. صفان لِلْحربِ قَد أَطَـلا ... سلاح ما بينَـهم كَـلام
4. يا سيـدي لا تَسر إلَيـه ... إلا إذَا هـوم(2) النـيام
5. والليلُ ستْر علَى التصابِي ... علَيه من فَضـله لِثَـام
6. والسرج قَد مددتْ علَيـه ... منْـها دنَـانيـر لا تُرام
7. وهو قَد امتَـد والْمبـاني ... علَيه في خدمـة قيـام
8. للهِ كَـم دوحـة جنَـيـنَا ... هنَاك أَثْمـارها الأثَـام

-173-

في المدح

وقال يمدح أبا زكريا الحفصي ملك إفريقية*:

(الطويل)

1. يقـر لَه بِالْفَـضـل من لا يوده ... ويقْضي لَه بِالسـعد من لا ينَجم

---

* تخريج القصيدة رقم (172)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 108/3-109. وقدم لها بقوله: "وقد دخلتُ في الخليج الذي بين القاهرة ومصر، وتعظُم عمارته فيما يلي القاهرة، فرأيتُ فيه من ذلك العجائب، وربما وقع فيه قتلٌ بسببِ السكرِ فيمنع فيه الشرب، وذلك في بعض الأحيان، وهو ضيق، عليه من الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم التهكم والطرب والمخالفة، حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به في مركب، وللسرج في جانبيه بالليل منظر، وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر في الليل، وفي ذلك أقول:... قال المقريزي: وفيه تحاملٌ كثير" . وخليج مصر: حفره عمرو بن العاص في عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عام الرمادي، وبعد عامٍ من حفره جرت به السفن متجهةً إلى مكة والحجاز. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، 331/3.

* * * *

(1) الطغام: أراذل الناس وأوغادهم، الواحد والجمع فيه سواء؛ اللسان: مادة طَغَم.

(2) هوم: الرجلُ إذا هز رأسه من النعاس؛ اللسان: مادة هوم.

* تخريج البيت المفرد رقم (173)، ورد في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص96. وقدم له بقوله: "الوزير العالم الرئيس: أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين بن سعيد صاحب دولة ملك إفريقية في هذا التاريخ، وهو سنة أربعين وستمائة، وصل الله تأييده".

-174-

في المدح

وقال يمدح أبا زكريا الحفصي ملك إفريقية*:

(البسيط)

1. تَوارثَ المجد عن جد له وأبٍ ... بنَوا له منْه طَودا[1] لَيس ينْهدم

-175-

في المدح

وقال يمدح أبا زكريا الحفي ملك إفريقية*:

(الكامل)

1. يا أيها الملك الذي هباتُه ... وهباتُه شَدتْ عرى الإسلامِ
2. لَما أسالَ نَداه سل حسامه ... فَأراك برقًا في متُونِ غَمامِ
3. للهِ شيعتُك التي تَرك العدا ... أَفْداحهم بمواطىء الأقْدامِ
4. طَاروا بِأجنحة السيوف إِليهم ... مثْلَ الحمامِ جلَبن كُل حمامِ
5. فَهم سهام والجِياد قسيهم[2] ... وعداهم هدفٌ وعزمك[3] رامِ

---

* تخريج البيت المفرد رقم (174)، ورد في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، مقدمة الكتاب ص56. وقدم له بقوله: "أبو زكريا ابن سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله المنصور بفضل الله أمير المؤمنين... المؤملُ للفضل والفضلُ لسانه ويده، الداني بجلاله على أن جل مجده".

* * * *

(1) الطود: الجبل العظيم؛ اللسان: مادة طود.

* تخريج المقطّعة رقم (175)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص103. وأورد البيت الخامس فقط. وقدم له بقوله: "وقوله وقد وجه ملك إفريقية عسكرا فرجع ظافرا".
- ابن سعيد، المغرب، 148/2. وأورد البيت الخامس فقط. وقدم له بقوله: "وقوله في سلطان إفريقية".
- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 130/4. وأورد المقطعة كاملة. وقدم لها بقوله: "وناب عن أبيه في أعمال الجزيرة، ومازج الأدباء، ودون كثيرا من نظمه، وحفظ له في المدح"

* * * *

(2) في ابن سعيد، المغرب، 148/2: والقسي جيادهم.

(3) في ابن سعيد، رايات المبرزين، ص103: حزامك. لكن الوزن ينكسر.

-176-

في الوصف

وقال يصفُ الليل*:

(الطويل)

1. وتَحتي لَيـلٌ قَد تَرقى يسمـعه   فَوجهه ما امتَد من كَوكَبِ الرجمِ(1)
2. وقَد أَنعلُوه بِالأَهلة هلْ تَرى اتْـ   تخَـاذَ هلالٍ للظـلامِ من الظـلْمِ

-177-

في الوصف

وله في وصف قوس*:

(الخفيف)

1. أَنَا مثْلُ الهـلال في ظُلَمِ النقْـ   ـع سهامي تَنْقَض مثْلَ النجومِ
2. تَقْصر القُضب والقَنَا عن مجالِي   عنْـد رجمي بِها لِكُـل رجيـمِ
3. قَد كستْها الطيـور لمـا رأَتْها   كافِـلات لَهـا بِرِزق عمـيـمِ

---

* تخريج المقطعة رقم (176)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 148/2. وقدم لها بقوله: "وقوله".

* * * *

(1) الرجم: نجم في السماء يرمى به للظن والشك؛ اللسان: مادة رجم.

* تخريج المقطعة رقم (177)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 37/3. وقدم لها بقوله: "وقوله في قوس".

قافية النون

-178-

في الوصف

وله إجازةٌ وتتميم لبيت قاله والده في وصف وادي المنصورة من بلاد الأندلس، قال*:

(الطويل)

1. ترى الآلَ[1] فيـها خافقـًا متعطشًا   يمـد إلى لفْح الهجيرِ[2] لِسانَا
2. لبستْ بها شمس الظهـيرة حلـةً   مذهبـةً حيثُ الهجيـر كسانَا
3. وقد ثار من وقْع السنابك قسطلٌ[3]   تخالُ لِتـلْك النـارِ منْه دخانَا
4. ولا سمـع إلا وهو سامٍ مذلـلٌ[4]   يراقب أن يلقـى الحمام عيانَا

* تخريج المقطعة رقم (178)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص4. وقدم لها بقوله: "وسافر مع والده في البرية التي بين وادي المنصورة وأُورقةَ من بلاد الأندلس، وهي مجر العوالي، ومجرى السوابق لغارات الروم، فقال له أجِز وتمم:

"ومجهلة معروفة بتوحشٍ   يصير بها قلْب الشجاع جبانَا"

فقال له رحمه الله: هذا طراز يعجز عنه أبوك، وأعجب ما في الشأن نظمه في هذا المكان".

* * * *

([1]) الآلُ: جمع آلة، وهي الحربةُ في نصلها عرض؛ اللسان: مادة ألل.

([2]) الهجير: نصفُ النهار عند اشتداد الحر؛ اللسان: مادة هجر.

([3]) السنابك: جمع سنبك، وهي طرف الحافر وجانباه. القسطل: الغُبار الساطع؛ اللسان: مادة سنْبك، وقسطل.

([4]) السمع: الذئب من الضبع؛ سامٍ: متطلع. اللسان: مادة سمع وسمي.

-179-

في الوصف

وله في وصف دمشق*:

(الوافر)

1. وإني لو نَظَرتُ بِأَلْفِ عينٍ لَما استَوفَتْ محاسنَها العيون

-180-

في الغزل بالمذكر

وله في وصف غُلامٍ نائم*:

(الكامل)

1. الريح أقْود ما تكُون، فإنها تُبدي خَفَايا الردف والأعكان[1]
2. وتُميلُ الأغْصان بعد إبائِها[2] حتى تُقَبِّلَ أوجه الغُدران
3. ولِذَاك العشاقُ يتخذُونَها رسلاً إلى الأحبابِ والإخْوان[3]

---

* تخريج البيت المفرد رقم (179)، ورد في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص181. وقدم له بقوله: "وكان كثيرا ما يطنب في الثناء على دمشق ويصفُ محاسنها، فلا أنفصلُ عنه إلا وقد امتلأ خاطري من شكلها فأتمنى أن أحل مواطنها؛ إلى أن بلغ اللهُ الأمل والأماني قبل المنون". وهنا يتحدث عن أبي العباس الإشبيلي: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الإشبيلي، عاش ما بين (561 و631هـ)، كان يعرف بابن الرومية أو الزهري أو النباتي، كان أديبا بارعا، كما اشتهر بعلوم أخرى كعلم أنواع الحشائش، وكان ظاهريا متعصبا لابن حزم، وراويا للحديث وحافظًا، له كتاب التذكرة في معرفة شيوخه، وكتاب المعلم فيما زاد البخاري على مسلم: ترجمته في: ابن سعيد، اختصار القدح، ص181؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 59/23؛ الدمشقي، توضيح المشتبه، 319/4.

* تخريج المقطعة رقم (180)، وردت في:

- ابن سعيد، رايات المبرزين، ص98. وقدم لها بقوله: "وقوله".
- ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، 104/3. وقدم لها بقوله: "حكي أنه كان يوما في جماعة من شعراء عصره المصريين، وفيهم أبو الحسين الجزار، فمروا في طريقهم بمليحٍ نائمٍ تحت شجرة، وقد هب الهوا فكشفَ ثيابه عنه فقالوا: قفوا بنا لينظم كل منا في هذا شيئًا، فابتدر الأديب نور الدين فقال"

* * * *

([1]) الأعكان: الأطواء في البطن من السمن؛ اللسان: مادة عكن.

([2]) في ابن شاكر الكتبي، م.س، 104/3: هبوبها.

([3]) في ابن شاكر الكتبي، م.س، 104/3: الأوطان.

- 181 -

في الوصف

وقال مشاركة مع أبي العباس الغساني وابن يامن في وصف مجلس*:

(البسيط)

1. منَادلٌ الشـ ـربِ أطْرافُ الرياحين — لم يعلُـ ـها درن بلْ مسـ ـك دارين[1]
2. تَنَاولتْـ ـه يد النـ ـدمان فَاكْتَسـ ـبتْ — بالطـ ـي نَشْـ ـرا له ما زالَ يحييني
3. لا كان من قَالَ أعرافُ الجِياد لَنَا — منَـ ـادلٌ فَهو مجنُـ ـون المجـ ـانين
4. فَللشـ ـياطين كانَتْ تلْك في قـ ـدمٍ — بيـ ـن القـ ـفَـ ـارِ وهذي للسـ ـلاطين
5. في مجلسٍ جمع الأشْتَاتَ من نعمٍ — في دارة الملْك لا في ديرِ عبدون[2]
6. ركائِب الأُنْسِ فيـ ـه من مدامتـ ـنَا — تُحـ ـدى إليـ ـنَا بأنْـ ـواعِ التـ ـلاحين
7. والشمع يضحك أُنْسا من تَجمعنَا — وشدةُ الضـ ـحك تُبـ ـكيـ ـه إلى حين
8. أمستْ عرائِس تُجلَى في منَايِرها — من نَفْسها برزتْ في حسنِ تَزيين
9. فَالتاج من ذَهبٍ والْعقْد من دررٍ — والكُـ ـل منْـ ـها بدا في كُل تَحسين

---

* تخريج القصيدة رقم (181)، وردت في:

- ابن سعيد، المقتطف من أزاهر الطرف، ص153-154. وقدم لها بقوله: "... ، حضرتُ عنده ليلة (يعني أبا العباس الغساني) ومعنا أبو القاسم بن يامن الشاطبي، خرجتُ معه إلى الرياض بالحريرية فاقتضى الحال أن اشتركنا في هذه الأبيات".

* * * *

([1]) دارين: اسم منطقة بالبحرين ينسب إليها المسك؛ اللسان: مادة درن.

([2]) دير عبدون: دير في العراق بظاهر المطيرة، بين شجر وبساتين ومياه، وسمي بذلك نسبة إلى رجل نصراني كان يزوره باستمرار ويعرف كل ما فيه، كان اسمه عبدون. ينظر: أبو عبيد الأندلسي، معجم ما استعجم، 587/2؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 521/2؛ الحميري، الروض المعطار، ص251.

-182-

في المدح

وقال يمدح الملك الناصر يوسف صاحب حلب عندما فتح دمشق*:

(البسيط)

1. أما دمشْقُ فقَد ألْقَـتْ أزِمتَـها على يديك على حسنٍ وتَحصينِ
2. لم تَمتَنع عنْدما قَاربتَ ساحتَـها وجالَ جيشُكَ في تلْكَ الميـادينِ
3. لما نَهضتَ إليْـها وهي عاصيةٌ تَلَفَّـعتْ[1] من حياء بالبسـاتين
4. مثْلَ العروسِ تَجلتْ في ملابسها بكُـل ما جل من حسنٍ وتَزيينِ

---

* تخريج المقطعة رقم (182)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص7. وقدم لها بقوله: "ولما مات الملك الصالح، ابن الكامل صاحب مصر، زحف الملك الناصر من حلب إلى دمشق بما ظنه من الأكراد، ففُتحتْ له عندما أطل عليها، ونظم في هذا الفتح قصيدةً منها".

* * * *

([1]) تلفعتْ: غطَتْ جسدها كله بالثوب؛ اللسان: مادة لفَع.

قافية الهاء

-183-

في المدح

وقال يمدح قوما*:

(البسيط)

1. ظُباهم الحمر كالنيران حين قِرى[1] يُأْفِقُهم فلذاك الطير تغشاها

-184-

في الحنين

وقال يحن لإفريقية*:

(الطويل)

1. رفيقَيَّ، جاوزنا حدود مواطنٍ صحبنا بها الأيام طَلْقًا محيّاها
2. وما إن تركْناها لجهلٍ بقَدرِها ولكن ثَنَتْ عنا أَعِنّةَ سقْياها
3. فَسِرنا نحث السير عنْها لِغَيرها إلى أن يمن اللهُ يوما بِلُقْياها

-185-

في الهجاء

وقال في ذم مصر*:

(المجتث)

1. كم ذا تُقِيم بمصر مُعَذَّبًا بِذَوِيها
2. وكيف ترجو نَداهم والسحب تَبخَلُ فيها

---

* تخريج البيت المفرد رقم (183)، ورد في:

- ابن سعيد، المغرب، 148/2. وقدم له بقوله: "وقوله".

* * * *

(1) الظبة: حد السيف ونصله. القرى: ما يقدم للضيف من الطعام؛ اللسان: مادة ظَبا، وقَرى.

* تخريج المقطعة رقم (184)، وردت في:

- المقري، نفح الطيب، 90/3. وقدم لها بقوله: "وقال رحمه الله تعالى، لما خرج من حدود إفريقية".

* تخريج النتفة رقم (185)، وردت في:

- المقري، م.س، 109/3. وقدم لها بقوله: "وقال رحمه الله".

- 186 -

في الحنين

وقال في الحنين والتغربِ*:

(الكامل)

1. أصبحتُ أعتَرِض الوجوه ولا أرى ... ما[1] بينَها وجهًا لِمن أدرِيه

2. عودي على بدئِي ضلالاً بينَهم ... حتى كأني من بقَايا التيه

3. ويح الغَرِيبِ توحشَتْ ألْحاظُه[2] ... في عالَمٍ ليسوا له بِشَبِيه

4. إن عاد لي وطَني اعترَفْتُ بِحقه ... إن التغَرب ضاع عمري فيه

---

* تخريج المقطعة رقم (186)، وردت في:

- المقري، م.س، 29/3. وقدم لها بقوله: "فمن نظمه عندما ورد الديار المصرية".
- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، 131/4. وأورد منها ثلاثة أبيات هي: (1-3)، وجاءت على هذا النحو: (1، 2، 3). وقدم لها بقوله: "لما قدم الديار المصرية واشتهر، كان مما نظمه سلما لمعرفة الأدباء والظرفاء قوله، وقد رأى بساحلها وجوها لا يعرفها، وألسنًا غير ما عهد"

* * * *

([1]) في لسان الدين، م.س، 131/4: من.

([2]) الألحاظ: جمع لحظ، وهي مؤخر العين؛ اللسان: مادة لحظ.

قافية الواو

-187-

في الغزل بالمذكّر

وقال في شاب وسيم*:

(مجزوء الكامل)

.1	لَهفي على غُصنٍ ذَوى	أُفْقِدتُه لَما استوى
.2	ريان من ماء الصبا	ومن المدامع ما ارتوى
.3	لا تعذلوني إن نَطَقْـ	ـتُ الدهر فيه عن الهوى
.4	كم ضل صاحبه بسحـ	ـرِ اللحظ منه وكم غَوى[1]
.5	أنا لا أُفيقُ الدهر فيـ	ـه من الصبابة والجوى[2]
.6	إن الهوى حيًا وميـ	ـتًا لا يزالُ به سوى
.7	كم قد نَويتُ به النعيـ	ـم فقَدر اللهُ النوى[3]
.8	دار السلامِ[4]، حويت من	كُل المحاسن ما[5] حوى
.9	حوري[6] حسنٍ قد تَوى	في جنة وبها ثَوى[7]

---

* تخريج القصيدة رقم (187)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص8-9. وقد أوردها كاملة، وقدم لها بقوله: "وله في شاب جميل الصورة من أبناء العجم، صحبه في الطريق من حلب إلى بغداد، وكان ظريفًا أديبا فمات في بغداد".
- المقّري، نفح الطيب، 94/3. وأوردها كاملة.

* * * *

([1]) في البيت اقتباس من قوله تعالى: ما ضل صاحبكم وما غوى ، النّجم، 2/53.

([2]) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن؛ اللسان: مادة جوي.

([3]) النوى: البعد؛ اللسان: مادة نأي.

([4]) دار السلام: مدينة السلام وهي بغداد عاصمة الخلافة العباسية. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 421/2.

([5]) في المقري، م.س، 94/3: قد.

([6]) في المقري، م.س: مجموع.

([7]) التوى: الهلاك، والثوى: طول المقام؛ اللسان: مادة توي وثوي.

قافية الياء

-188-

في الوصف

وقال في ثورٍ أصاب طالبا*:

(الخفيف)

1. إن عين الكـمال لم تلْـقَ غيـا | يوم جاء الزمان شيـئًا فريـا[1]
2. ثار ثور السماء[2] في الأرضِ لما | أن رأى منْـك نيـرا قمـريـا
3. جعلَ النـطْح بين روقيـه[3] بأسا | فتـلقـيـتـه بخمسٍ الثـريـا
4. ذلك الكـف كـف عنْـها فأبقـى | أثـرا فـيـهـا أرادك حـيـا
5. برئـتْ راحـةٌ قضـتْ بارتيـاحٍ | ووقى اللهُ حسـن ذاك المحـيا

---

* تخريج المقطعة رقم (188)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص2-3. وقدم لها بقوله: "وكان واليا بالجزيرة الخضراء في عامٍ أحد وثلاثين، فخرج في يوم جمعة راكبا متنزها مع جملة من طلبتها وأعيانها، طلبوا منه الحضور معهم بخارج سور المدينة في وليمة كانت لهم احتفل فيها بعضهم، فنَدّ ثور من الثيران التي احتُضرتْ للوليمة، وند الناس أمامه، واتقاه بعض الطلبة براحته فأثر فيها الثور بطرف روقه، فقال ارتجالاً".

* * * *

([1]) الغي: الضلال. الفري: الكاذب؛ اللسان: مادة غوي، وفري. في البيت اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾؛ مريم، 27/19.

([2]) ثور السماء: برج من بروجها؛ اللسان: مادة ثور.

([3]) الروقُ: القرن من كل ذي قرنٍ؛ اللسان: مادة روقَ.

-189-

في المدح

وكتب إلى ابن عمار البرجي يمدحه في نهاية رسالة*:

(مجزوء الرمل)

1. يا بن عمـارٍ لقَد أحـ ـييتَ لي ذَاك السـمـيا
2. في حلـى نَظْمٍ ونَثْـرٍ علـقًا من[1] مسمـعـيا
3. ولقَـد حزتَ مكـانـًا من ذُرى المـلْك علـيا
4. مثْـلَ ما قَد حاز لكن عشْ ينُـعـماك هـنـيا

---

* تخريج المقطعة رقم (189)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص217. وقدم لها بقوله: "ومن الرسالة المذكورة: إني أيها السيد الجليل، والذي أسأل إليه أن يكون لي منه نعم الخليل، وإن لم أرك، ولا أُعطيتُ من التمتع بك إلا خبرك، لذو قلبٍ دائمٍ على أُفقك، وذو ظمأ لا يزالُ شاخص النظر إلى طرفك؛ لأقتبس من فوائدك السائرة، وألتقطُ من فرائدك الفاخرة. ثم ختمتها بهذه الأبيات". وأورد المقطعة كاملة. وابن عمار البرجي هو: أبو عبد الله محمد بن عمار البرجي، (ت 629هـ)، ينتسب إلى برجة في غرناطة، كان أديبا شاعرا، وكاتب العسكر لمحمد بن هود: ترجمته في: ابن سعيد، اختصار القدح، ص217-218.
- المقري، نفح الطيب، 273/4. وقدم لها بقوله: "وقال ابن سعيد: في أبي بكر محمد بن عمار البرجي، كاتب ابن هود". وأورد المقطعة كاملة.

* * * *

([1]) في المقري، م.س، 273/4: علقًا في.

في الإخوانيات

وكتب إلى أبي العباس بن بلال يستدعيه ليوم أُنسٍ*:

(الوافر)

1. أبا العباسِ، لو أبصـرتَ حولي　　نَدامى بادروا العيـشَ الهنـيا
2. يبِـيحـون المـدام ولا انْتِـقَاد　　وقَارهـم ويـزدادون غَـيـا
3. وهم مع ما بدا لَكَ من عفَـاف　　يحبـون الصبِـيةَ والصبِـيا
4. ويهـوون المثَـالِثَ والمثَـاني　　وشُرب الراحِ صبحا أو عشيا
5. على الروضِ الذي يهدي لِطَرف　　وأَنْف منْـظَـرا بهجـًا وريا
6. وقد صدح الحـمام ومالَ غُصن　　وأمسى النهـر صبـًا أريحيا
7. فلا تَأْمِ الســري على ارتيـاحٍ　　حكَـى طَربـًا يجانبه سريا(1)
8. ويرتَـاح ارتيـاحـًا بالمثَـاني　　ولا ينْفَـك بالنـعـمى يحـيا
9. فَبادر(2) نَحـو نَاد ما خَـلا من　　نَداك فَقَد عهـدتُك لَوذَعيـا(3)

---

* تخريج القصيدة رقم (190)، وردت في:

- ابن سعيد، اختصار القدح، ص86. وقدم لها بقوله: "ومن ذلك أني كتبتُ له من حبة على وادي العسل بظاهر الجزيرة، والأرض قد أظهرتْ زينتَها ولم تُبق في باطنها السحب سريرة، في يوم أُنسٍ سمح به الزان فكمله، وبلغَ من ظفر به ما تمناه وأمله". وأورد منها بيتين هما: (1-2). وأبو العباس بن بلال هو: الفقيه أبو العباس أحمد بن بلال، وقرية بني بلال بالجزيرة الخضراء، أورد له ابن سعيد شعرا كثيرا: ترجمته في: ابن سعيد، اختصار القدح، ص86-88؛ ابن سعيد، المغرب، 248/1.
- ابن سعيد، المغرب، 249/1. وقدم لها بقوله: "ولقد مر لي معه أيام لا يزال يتمثّلها الضمير، فتميد عليها أغصانه، ويتذكّرها فتشوقه أكثر مما تشوقه أوطانُه. كتبتُ إليه في يوم أُنسٍ سمح به الزمان فكمله، وبلغ من ساعده ما تمناه وأمله". وأورد القصيدة كاملة.
- المقري، نفح الطيب، 216/5. وقدم لها بقوله: "ولما كتب أبو الحسن بن سعيد إلى الأديب القائد أبي العباس أحمد بن بلال يستدعيه ليوم أُنسٍ بقوله". وأورد سبعة أبيات هي: (1-5، 7، 9).

* * * *

(1) السري: صاحب المروءة؛ اللسان: مادة سرا.

(2) في المقري، م.س، 216/5: وبادر.

(3) اللوذعي: ذو اللسان الحاد؛ اللسان: مادة لَذَع.

-191-

في الغزل بالمذكر

وقال يصف غلاما*:

(مجزوء الرمل)

1. ستَر الجمرةَ بالآ س فلَم تَعد علَيه
2. إنما ذَلِك سحـ ر أَصلُه من نَاظريه

---

* تخريج النتفة رقم (191)، وردت في:

- ابن سعيد، المغرب، 148/2. وقدم لها بقوله: "وقوله".

فهرس المصادر والمراجع

أولاً- المصادر.

- القرآن الكريم

أ. المصادر المخطوطة.

1. ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت685هـ)، **المشرق في حلى المشرق،** القاهرة: مكتبة جامعة القاهرة، رقم (2532).
2. شمس الدين النواجي، محمد بن حسن (ت859هـ)، **روضة الأزهار في معاني أنواع الثّمار،** حلب: مكتبة معهد التراث العلمي العربي، رقم (162/15).

ب. المصادر المطبوعة.

1. ابن الأبار القضاعي، محمد بن عبد الله (ت658)،
 أ. **التكملة لكتاب الصلة،** تحقيق عبد السلام الهراس، بيروت: دار الفكر، 1995/1415.
 ب. **الحلة السيراء،** تحقيق حسين مؤنس، ط2، القاهرة: دار المعارف، 1985.
 ت. **الديوان،** تحقيق عبد السلام الهراس، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999/1420.
2. ابن الأثير، محمد بن محمد الشيباني (ت630هـ)، **الكامل في التاريخ،** راجعه وعلق عليه نخبة من العلماء، ط4، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983/1403.
3. ابن إدريس الحمودي، محمد بن عبد الله (ت560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** ط1، بيروت: عالم الكتب، 1989/1409.
4. الأزهري، محمد بن أحمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001.
5. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (ت535هـ)، **دلائل النبوة،** تحقيق محمد محمد الحداد، ط1، الرياض: دار طيبة، 1409هـ.
6. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ)، **الأغاني،** تحقيق علي مهنا وزميله، بيروت: دار الفكر، د.ت.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، **صحيح البخاري،** تحقيق محمد ديب، ط3، بيروت: دار ابن كثير، 1987.
8. ابن بطّوطة، محمد بن عبد الله (ت779هـ)، **تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار،** تحقيق علي المنتصر الكتاني، ط4، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.

9. البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ)، **معجم ما استعجم**، تحقيق مصطفى السقا، ط3، بيروت: عالم الكتب، 1403هـ.

10. البلاذري، أحمد بن يحيى (ت279هـ)، **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ.

11. ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي، (ت 874هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992/1413.

12. الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ)، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمد رشيد رضا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1988/1409.

13. الجمحي، محمد بن سلام (ت231هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق محمود محمد شاكر، جدة: دار المدني، د.ت.

14. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992/1413.

15. ابن حجة الحموي، تقي الدين علي (ت837هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق عصام شقيو، ط1، بيروت: دار الهلال، 1987.

16. ابن حزم وابن سعيد والشقندي، **فضائل الأندلس وأهلها**، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1968.

17. الجزري، علي بن أبي الكرم (ت630هـ)، **اللباب في تهذيب الأنساب**، بيروت: دار صادر، 1980/1400.

18. الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984.

19. ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، د.ت.

20. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط5، بيروت: دار القلم، 1984.

21. الدمشقي، أحمد بن مصطفى (ت1318هـ)، **اللطائف في اللغة**، القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.

22. الدمشقي، محمد بن عبد الله (ت842هـ)، **توضيح المشتبه**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993.

23. الذهبي، محمد بن أحمد (ت748هـ)،

أ. **تاريخ الإسلام،** تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1987/1407.

ب. **تذكرة الحفاظ،** ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

ج. **سير أعلام النبلاء،** تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، ط9، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ.

د. **العبر في خبر من غبر،** تحقيق صلاح الدين المنجد، ط2، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1984.

24. الرازي، محمد بن عبد القادر (ت721هـ)، **مختار الصحاح،** تحقيق محمود خاطر، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1995/1415.

25. ابن رشيق القيرواني، الحسن بن رشيق (ت456هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه،** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت: دار الجليل، 1972.

26. الزبيدي، مرتضى بن محمد (ت1205هـ)،

أ. **تاج العروس من جواهر القاموس،** تحقيق مجموعة من المحققين، القاهرة: دار الهداية، د.ت.

ب. **ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب،** تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة: دار الفكر، 2000.

27. الزمخشري، محمود بن عمر (ت538)، **المستقصى في أمثال العرب،** ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987.

28. ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت685هـ)،

أ. **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى،** اختصره محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1959.

ب. **رايات المبرزين وغايات المميزين،** تحقيق النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1973/1393.

ج. **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة،** تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار المعارف، (سلسلة ذخائر العرب: 14).

د. **المرقصات والمطربات،** ط2، الجزائر: دار حمد ومحيو، 1973.

ه. **المغرب في حلى المغرب،** تحقيق شوقي ضيف، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1955.

و. **المغرب في حلى المغرب،** تحقيق خليل منصور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997/1417.

ز. **المقتطف من أزاهر الطرف،** تحقيق ودراسة سيد حنفي حسنين، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.

ح. **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة،** تحقيق حسين نصار، ط2، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، 2000.

29. ابن سنان الحلبي، عبد الله بن محمد (ت466هـ)، **سر الفصاحة،** ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982/1402.

30. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004/1425.

31. ابن شاكر الكتبي، محمد بن أحمد (ت764هـ)، **فوات الوفيات،** تحقيق علي معوض وزميله، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000/1421.

32. أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت655هـ)، **الروضتين في أخبار الدولتين: النورية والصلاحية،** وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002/1422.

33. ابن شداد، محمد بن علي (ت684هـ)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،** تحقيق سامي الدهان، دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

34. الصفدي، خليل بن أيبك (ت764هـ)، **الوافي بالوفيات،** تحقيق أحمد الأرناؤوط وزميله، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000/1420.

35. العاصمي، عبد الملك بن حسين (1111هـ)، **سمط النجوم العوالي،** تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وزميله، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998/1419.

36. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت328هـ)، **العقد الفريد،** ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999/1420.

37. ابن عذاري، أبو عبد الله بن محمد المراكشي(ت695هـ)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،** تحقيق ج.س كولان وزميله، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1983.

38. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت395هـ)، **جمهرة الأمثال،** بيروت: دار الفكر، 1988/1408.

39. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي (ت1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وزميله، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1406هـ.

40. الغبريني، أحمد بن عبد الله (ت714)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،** بيروت: لجنة التأليف والترجمة والنشر، (ذخائر التراث العربي- المكتبة الجزائرية).
41. ابن فرحون، إبراهيم بن علي (ت799هـ)، **الديباج المذهب،** بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
42. ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت749هـ)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،** تحقيق زينب طاهر ساق الله، ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004، (في الإنصاف بين المشرق والمغرب).
43. الفيروزابادي، محمد بن يعقوب (ت817هـ)،

أ. **البلغة،** تحقيق محمد المصري، ط1، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، 1407هـ.

ب. **القاموس المحيط،** تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

44. ابن القاضي المكناسي ، أحمد بن محمد (ت1025هـ)، **درة الحجال في أسماء الرجال،** تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، تونس، القاهرة: المكتبة العتيقة، دار التراث، د.ت.
45. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت278هـ)، **الشعر والشعراء،** راجعه وأعد فهارسه محمد عبد المنعم العريان، ط3، بيروت: دار إحياء العلوم، 1987/1407.
46. القرشي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت257هـ)، **فتوح مصر وأخبارها،** تحقيق محمد الحجيري، ط1، بيروت: دار الفكر، 1996/1416.
47. القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ)، **صبح الأعشى في سر صناعة الإنشا،** تحقيق عبد القادر زكار، دمشق: وزارة الثقافة، 1981.
48. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ)، **البداية والنهاية في التاريخ،** بيروت: مكتبة المعارف، د.ت.
49. لسان الدين ابن الخطيب (ت776)،

أ. **الإحاطة في أخبار غرناطة،** شرح وضبط يوسف الطويل، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003/1424.

ب. **روضة التعريف بالحب الشريف،** تحقيق محمد الكتاني، الرباط: دار الثقافة، د.ت.

50. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ)، **سنن ابن ماجه،** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر، د.ت.
51. المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت647هـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب،** تحقيق محمد سعيد العريان وزميله، ط1، القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1368هـ.

52. المقريزي، أحمد بن علي (ت845هـ)، **السلوك لمعرفة دول الملوك،** تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997/1418.
53. المقري، أحمد بن محمد (ت1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب،** تحقيق مريم الطويل وزميلها، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995/1415.
54. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711هـ)، **لسان العرب،** ط1، بيروت: دار صادر، 1968/1388.
55. الميداني، أحمد بن محمد (ت518هـ)، **مجمع الأمثال،** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
56. الناصري، أحمد بن خالد (ت1315هـ)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،** تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997/1418.
57. ابن هشام، عبد الملك بن أيوب (ت213هـ)، **السيرة النبوية،** تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط1، بيروت: دار الجيل، 1411هـ.
58. ابن الوردي، عمر بن مظفر (ت749هـ)، **تتمة المختصر في أخبار البشر،** ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996/1417.
59. اليافعي، عبد الله بن أسعد (768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان،** القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، 1993/1413.
60. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت1228/626)، **معجم البلدان،** بيروت: دار الفكر، د.ت.

ثانيا- المراجع.

1. أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر العربي،** ط5، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1981.
2. بكار، يوسف حسين، **بناء القصيدة العربية،** القاهرة: دار الثقافة، 1979/1379.
3. بهنام، هدى شوكت، **مقدمة القصيدة العربية في الشعر الأندلسي؛ دراسة موضوعية فنية،** ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 2000.
4. حسن، محمد عبد الغني، **ابن سعيد المغربي: المؤرخ- الرحالة- الأديب،** القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
5. دوزي، رينهارت، **تكملة المعاجم العربية،** نقله إلى العربية محمد سليم النعيمي، بغداد: دار الرشيد، 1980، (سلسلة المعاجم والفهارس 32).
6. الزركلي، خير الدين، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،** ط13، بيروت: دار العلم للملايين، 1998.
7. سلام، محمد زغلول، **الأدب في العصر الأيوبي،** القاهرة: دار المعارف، 1983.
8. الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي،** ط8، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
9. صبح، علي، **البناء الفني للصورة الشعرية،** القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، 1996/1416.
10. ضيف، شوقي، **في النقد الأدبي،** ط7، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
11. عاشور، سعيد، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك،** بيروت: دار النهضة العربية، 1972.
12. عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين،** عمان: دار الشروق، 1997.
13. عباس، فضل حسن، **البلاغة: فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)،** ط1، عمان: مؤسسة الرسالة، 1989/1407.
14. عنان، محمد عبد الله، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،** ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1998.
15. عناني، محمد زكريا، **تاريخ الأدب الأندلسي،** الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1999.
16. عياد، شكري محمد، **موسيقى الشعر العربي،** ط1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1968.

17. العيادي، محسن حامد، **ابن سعيد الأندلسي؛ حياته وتراثه الفكري والأدبي،** القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، د.ت.
18. فنديك، إدوارد، **اكتفاء القنوع،** بيروت: دار صادر، 1896.
19. كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي،** ترجمة عبد الحليم النجار، ط5، القاهرة: دار المعارف، د.ت.
20. يونس، علي، **نظرة جديدة في موسيقى الشعر العربي،** القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

ثالثًا- الرسائل الجامعية

1. الأنصاري، محمد، **ابن سعيد المغربي: حياته وآثاره (رسالة ماجستير)،** بيروت: الجامعة الأمريكية، 1966.
2. عبد الرحمن، خميس أحمد محمد، **شعر الطبيعة عند شعراء سيف الدولة: دراسة موضوعية وفنية (رسالة ماجستير)،** القدس: جامعة القدس، 2009.

الفهارس الفنية

أولاً- فهرست الآيات القرآنية

ثانيا- فهرست الأعلام والأماكن

ثالثًا- فهرست الأشعار

رابعا- فهرست المحتويات

أولاً- فهرست الآيات القرآنية

رقم السورة	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
53	النجم	ما ضل صاحبكُم وما غَوى	2	132، 187
5	المائدة	فَعموا وصموا كثير منْهم	71	133، 172
110	النصر	إذا جاء نَصر اللهِ والفَتْح	1	197
80	عبس	ضاحكةٌ مستَبشرةٌ	39	224
19	مريم	لَقَد جِئْت شَيئًا فَريا	27	281

ثانيا- فهرست الأعلام والأماكن*

* رقم الصفحة باللون الغامق يعني أن فيها تعريف بالعلم أو المكان.

ثالثًا- فهرست الأشعار

162	2	24	الطويل	عليه به قَطْع وفيـه نصـاب
163	1	25	الطويل	فَلا رأْي للمضطَر إلا ارتكابها
163	28	26	الطويل	ويـبـعـد من قـد كان منه التقَرب
165	2	27	الطويل	ومن يتَرضى بالحياة فَيغْضب
165	5	28	الكامل	ما منْكُم بعد التـفَـرق مرغَب
166	45	29	الرمل	مذْ نَأى عني فَعيـني تَسـكُب
168	3	30	الكامل	فَتَراجع الروض الهشيم المذْنب
169	35	31	الطويل	بِكأْسٍ بها وسواس فكْري ينْهب
171	52	32	الطويل	وقَد بعـدتْ دار وحان حبيـب
175	2	33	الطويل	فَتَذْري صومي منْذُ يومِ ذَهابِه
175	3	34	السريع	قَد قَربتْني من علا الصاحبِ
176	7	35	البسيط	للعـلْمِ والحـلْمِ والعلْيـاء والأدبِ
177	3	36	الطويل	فَسوفَ تَراني طَالِعا فَوقَ غَارِبِ
177	5	37	البسيط	فَاسجد هديتَ إلى الكاسات واقْتَرِبِ
178	4	38	السريع	يفْعلُ ما يطْعـن في المنْصـبِ
178	3	39	البسيط	إِذْ لَيس يخْلو ذَوو الآدابِ من شَغَبِ
179	8	40	الطويل	تَئِـن وتَبـكي بِالـدموعِ السواكبِ
180	3	41	مخلع البسيط	في الشوق لِلْغُصنِ والكثيبِ
التـاء				
181	3	42	مخلع البسيط	قَولُهـم بهرج شَتَـيتُ
الجيـم				
182	2	43	المجتث	ـج راكبا متْن لُج
الحـاء				
183	42	44	السريع	ومن رأى قَتْـلي حلالاً مبـاح
185	3	45	السريع	يسحب من لَيلٍ علَيه الوشاح
186	7	46	مجزوء الكامل	بين السواني والبِـطَاح
187	15	47	مخلع البسيط	ولَحظُـها أم ظُبا الصفاح
188	34	48	الخفيف	ودمـوعي على نَواك سـوافح
190	1	49	الكامل	مدتْ لِتَوديع البحيـرة راحـا

190	4	50	الكامل	واشْرب إلى وقْت الصباح صباحا
191	7	51	مخلع البسيط	وزاد تَبـريحـه قَـنَـاحا
192	4	52	الوافر	كأن لَيـلاً يقَلـده صبـاح
193	14	53	مجزوء الكامل	ما العيشُ إلا الإصطباح
194	3	54	الكامل	حيثُ المناظر أَنْجم تَلْتـاح
195	13	55	مجزوء الكمال	سلبوا المروءةَ فاستَراحوا
196	4	56	الطويل	ولِلْفَجرِ في خَصرِ الظلامِ وِشاح
197	6	57	السريع	والصبح لَما رضيتُ صبح
198	9	58	الرمل	يعرِفُ اللـذات من يصطَبِح
198	1	59	المديد	كيفَ تُخْفي الخمـرةَ القَـدح
199	5	60	مخلع البسيط	تَدعو النـدامى لِلاصـطـباح
200	11	61	الكامل	ويمـد راحتَـه لِغَـيـرِ الـراح
201	17	62	الخفيف	كيـفَ بِاللهِ نُور تلْـك البِطـاح
202	4	63	الكامل	واعدلْ بِسمعـك عن كلامِ اللاحي
202	4	64	الوافر	مطارِ بيـن أَجنحـة الرياح
الخـــاء				
203	6	65	الطويل	وعهدي وقَد أَحكَمتُه كيـفَ يفْسخُ
الـدال				
204	3	66	الطويل	يرِيك على الأَجياد درا منَضدا
204	2	67	الكامل	كرما لِمن هو دونَه يتَودد
205	2	68	الكامل	طَير المدائِح في البِلاد تُغَرد
206	53	69	الكامل	كـم ذَا أُقَـرب ما أَراه ويبـعـد
211	6	70	السريع	قَارِعَـةً يملَـؤُها الحمـد
212	24	71	مجزوء الكامل	ما أَبدت الخُـدود
213	6	72	الكامل	والغُصن من طَربٍ بِها يتَأَود
214	3	73	الطويل	جرتْ مدحةٌ لِلْعلْمِ والْفَضل والْمجد
214	2	74	السريع	قَد كُنْـتَ فيه دائِم الوجـد
215	3	75	مجزوء الرمل	ف وعن رِيـق وخَـد
215	9	76	الطويل	فَعـانَقْـتُه شَوقـًا إلى ذَلِك القَـد

تُجمع أَشْتاتـًا تُتُرجِم عن ودي	الطويل	77	3	216
ونَهرٍ وخَـد بِالْحيـاء مورد	الطويل	78	2	216
تَنَاهى ولَم يشْمـتْ بِه كُل حاسد	الطويل	79	2	217
إذا ما بدا للصبح بِثْرِ المواعد	الطويل	80	2	217
تَرفقْ رماك اللهُ يا طَيـر بِالْبـعد	الطويل	81	4	218
كي أَستَعين بِه إِذَا لَم يسعـد	الكامل	82	2	218
بِحيثُ امتـداد النيـل قَد دار كَالْعقْد	الطويل	83	5	219
الـراء				
ركُوب الحمـارِ وكُحلَ الغُبـار	المتقارب	84	4	220
إِذْ لاح في سلْسلَة من عذَار	السريع	85	2	220
نَفَع الزمان بِه وضرْ	مجزوء الكامل	86	3	221
فَيلْبس درعا لَها من خَفَر	المتقارب	87	2	221
وجه الهلال كَقَارِئٍ أَسطَـاره	الكامل	88	2	221
أَما حسن أَن لا تَضيقَ بِها صدرا	الطويل	89	5	222
دنْيا وأَن أُمسي غَرِيبا معسرا	الكامل	90	2	222
لا بد للضيف الملم من القـرى	الكامل	91	21	223
شُموسٍ بواطنُها مقْمـره	المتقارب	92	4	224
وما لِي بِها راحةٌ ظَاهره	المتقارب	93	2	225
فَنَبتْ بِي الأَوطَان والأَوطَار	الكامل	94	2	225
زوجٍ لِكَيما تَخْلُص الأَفْكـار	الكامل	95	7	226
شَابتْ لِطُول الحبس، ولى النهار	السريع	96	3	226
لِسـاعة تُطْلِم أَنْوارهـا	السريع	97	2	227
وبعد ذَلك يلْقَـى وهو يعتَـذر	البسيط	98	4	227
جنـاتُ عدنٍ بِها ما يشْتَهي البشَر	البسيط	99	9	228
فَخلْتُها أَضلُعي هاجتْ بِها الْفكر	البسيط	100	2	229
ولَيس لِي منْه لا ظل ولا ثَمـر	البسيط	101	2	229
وحبي فيـك لَيس لَه نَظيـر	الوافر	102	1	229
وقَد أَتَى مسبلَ الإِزارِ	مجزوء البسيط	103	3	230
نَنْـف ما قَد أَصابنَا من خُمارِ	الخفيف	104	9	230

231	2	105	الوافر	يمتْن المـاء منْه جـل نَـارِ
231	1	106	الطويل	صليبٍ علَى الأعداء، والْماء في الصخْرِ
232	2	107	البسيط	بِها المنَاظر كالأهدابِ لِلْبصرِ
232	4	108	البسيط	في جنة هي ملْء السمـع والْبصرِ
233	2	109	الطويل	فَأكْسبكُم تلْك الحلاوةَ في الشعرِ
233	3	110	الطويل	كمثْل التي عودتَ بالدوحِ والنهـرِ
الـزاي				
234	9	111	الكامل	والنهر سيـفٌ بالصبا مهـزوز
235	2	112	السريع	من العدا من بعد إحرازِ
السـيـن				
236	2	113	السريع	يرضى بِحكْمِ الورد إِذْ يرأس
236	2	114	الطويل	إلَيك كما تَرنُو العيون النواعس
237	10	115	المتقارب	وأَمستْ تُشير إِلى الأكْؤُسِ
238	2	116	الكامل	وحظيتُ بعد الهجرِ بالإيناسِ
الصـاد				
239	2	117	الكامل	فَاشْهد أَخي أَني المحب المخْلص
الضـاد				
240	2	118	دوبيت	والْعمر يمر ضائِع الأغْـراضِ
الطـاء				
241	2	119	الطويل	كساها وحلاها بِزِينَته القَـرطُ
العيـن				
242	1	120	الطويل	حياء بِوجه أَسود اللونِ ضائِع
242	2	121	مخلع البسيط	والْبين قَد حان والْوداع
243	1	122	البسيط	والرعد زفْرتُه والْقَطْر أَدمعه
243	2	123	مخلع البسيط	أَمـر مـن وقْـفَـة الـوداعِ
244	2	124	البسيط	لَها الغَزالَةُ فَجرا من مطَالِعها
244	2	125	الطويل	يفُض ضلُوعي أَو يفيض دموعي
الفـاء				
245	6	126	الطويل	وقَفْتُ علَيها السمع والْفكْر والطرفَا

فإن سروري بعــدها متكلــفُ	الطويل	127	1	246
فكم يداني إلفــًا من ألف	مجوزء البسيط	128	2	246
بشهبٍ عوالٍ أو بروق سيوف	الطويل	129	1	246
القــاف				
وأني إذا وافى المشيــب بها أحــقْ	الطويل	130	2	247
وحكمــتُ في جفْــني المــدامع والأرقْ	الطويل	131	7	247
راقتْ لنا حيثُ السحاب يراقُ	الكامل	132	2	248
وتُساقُ روحي والركاب تُساقُ	الكامل	133	4	248
من جانبــيه بأجفــانٍ لها حدقُ	البسيط	134	4	249
سحاب قتامٍ والسيــوفُ بوارقُ	الطويل	135	1	249
طالــتْ تُلاقي غراما ثُم تفْترقُ	البسيط	136	3	250
أبدا تهيم كما أهيم وأعشــقُ	الكامل	137	8	251
مثْل الطيورِ على عداك تُحاقُ	الكامل	138	2	252
تصحيفُها وبها الحياةُ تروقُ	الكامل	139	4	252
ومن النجيع على الكُماة خلُوقُ	الكامل	140	2	253
وقد حان موعدنا للفراق	المتقارب	141	2	253
سقْ فروحي من بعدهم في سياق	الخفيف	142	6	254
عيناي بالمغْربِ والمشْرقِ	السريع	143	3	254
أفْنيتُ فيها من عفافي ما بقــي	الكامل	144	2	255
الكــاف				
يومــًا ولا وافى إلى أملاكــه	الكامل	145	2	256
الــلام				
كأسحارٍ وآخــره أصائِلْ	الوافر	146	1	257
لما رأى وقْع الأسلْ	الرجز	147	1	257
فقد منعــتْه سيــوفُ المقــلْ	المتقارب	148	3	258
أروم البلاد وأرعى الدولْ	المتقارب	149	3	258
من ظله أبدا ظليلْ	مجزوء الكامل	150	2	259
مناظرها مثْل النجــومِ تلالا	الطويل	151	5	259
ونهرٍ معقــل حله	المجتث	152	4	260

ـلَ أن نُسائِلَ فَضلَه	المجتث	153	6	260
فَتَوقفْـتُ ثُم نَاديتُ قَائِلْ	الخفيف	154	2	261
وتُذْخَر أَبنَاء القَنَا والقَنَابِلُ	الطويل	155	1	261
وحسبنَا أَنْتَ، تَرعى حسنَك المقَـلُ	البسيط	156	2	262
ويعيـني دائِمـًا منْهـاُـه	الرمل	157	2	262
وغُصن الْعمرِ دب بِه الذبولُ	الوافر	158	4	263
فَكأنما شَفَـقُ الصباحِ شَمولُ	الكامل	159	3	263
رأَيتُ الحسن عنْه لا يميلُ	الوافر	160	4	264
فَكُـل قلْـبٍ لَـه يميـلُ	مخلع البسيط	161	2	265
أن تَطأَ الأعين بِالأرجل؟	السريع	162	2	265
يروم شَيئًا سوى الدخُول	مخلع البسيط	163	2	266
لَم يكُن عنْدي لِلْوجه الجميل	الرمل	164	3	266
الميـم				
قَطَعتُم وصلي كفعل الحسام	السريع	165	2	267
يدع من كُل فَضـلٍ وحكـم	الرمل	166	2	267
كما جردتَ من غمد حساما	الوافر	167	1	268
على ملة الإسلامِ كيما يسلَما	الطويل	168	2	268
لَمـا بعثْـتَ مسـائِلاً ومسـائـما	الكامل	169	14	269
فَقَـابلَني منْه القَبولُ الذي عمـا	الطويل	170	3	270
قَصدتُ عليه عارِض الجود فانْهمى	الطويل	171	1	270
إِلا إِذَا أُسـدلَ الظـلام	مخلع البسيط	172	8	271
ويقْضي لَه بِالسـعد من لا ينَجم	الطويل	173	1	271
بنَوا لَه منْه طَودا لَيس ينْهدم	البسيط	174	1	272
وهبـاتُه شَـدتْ عرى الإسلامِ	الكامل	175	5	272
فَوجهه ما امتَد من كوكَبِ الرجمِ	الطويل	176	2	273
ـع سهامي تَنْقَض مثْلَ النجومِ	الخفيف	177	3	273
النـون				
يمـد إِلى لَفْحِ الهجِيرِ لِسانَا	الطويل	178	4	274
لَما استَوفَتْ محاسنَها العيون	الوافر	179	1	275

رابعا- فهرست المحتويات